# ثقافة الهند

Volume 66 No. 1, 2015

المجلد ٦٦، العدد ١، ٢٠١٥

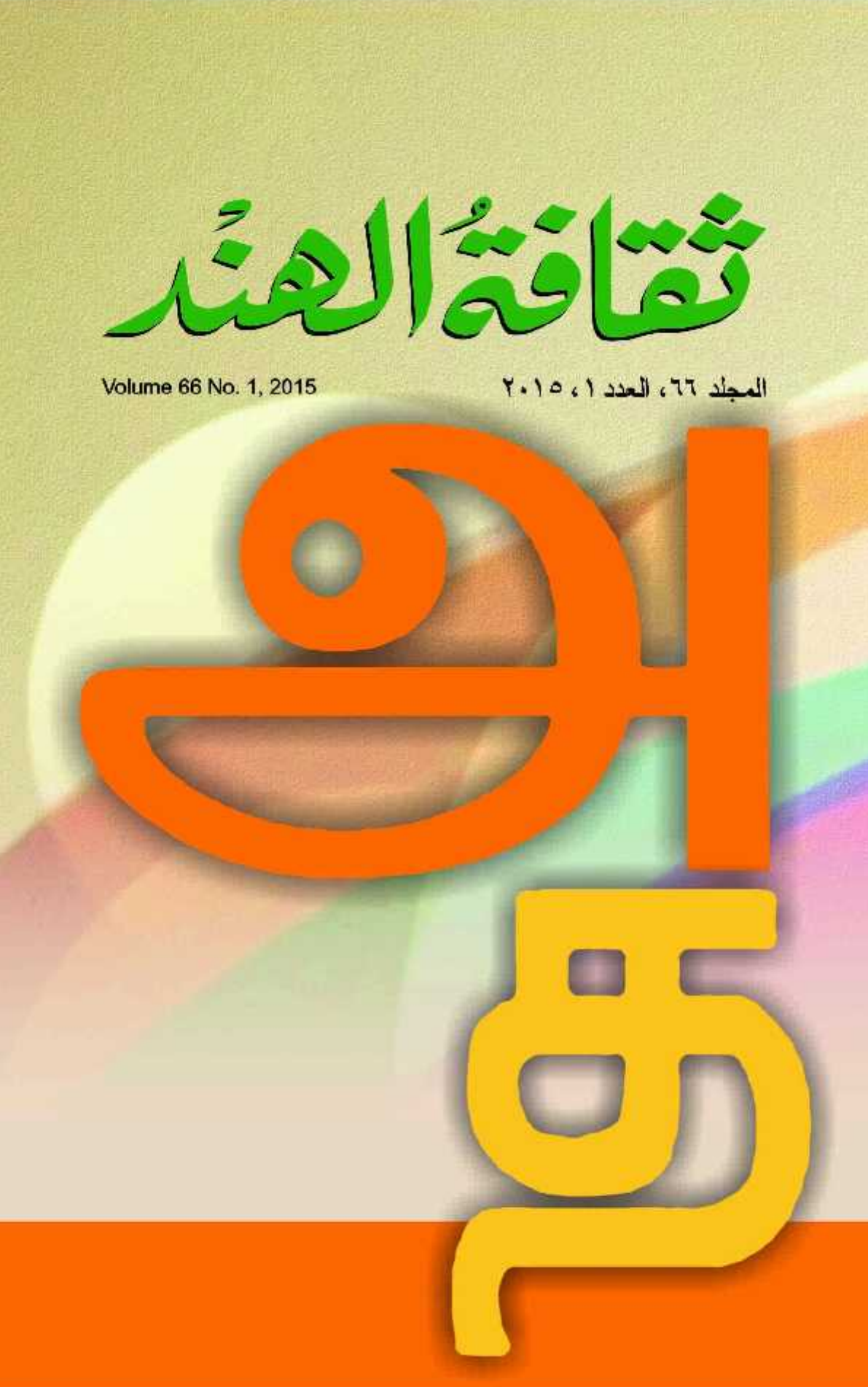

ISSN 0970-3713

# ثقافة الهند

مجلة علمية ثقافية جامعة فصلية

**المجلد 66، العدد 1 ، 2015**

رئيس التحرير
**سيد إحسان الرحمن**

مساعد التحرير
**د. محمد قطب الدين**

المجلس الهندي للعلاقات الثقافية

المجلس الهندي للعلاقات الثقافية منظمة حرة لوزارة الشؤون الخارجية في حكومة الهند أنشئت عام 1950م لإيجاد وتنمية العلاقات الثقافية والتفاهم المتبادل بين الهند والبلدان الأخرى، وضمن برنامج مطبوعاته ينشر المجلس، بين ما ينشر، عدة مجلات، ففي العربية "ثقافة الهند" وفي الإنكليزية "Indian Horizons" و "Africa Quarterly" وفي الفرنسية "Rencontre Avec L'Inde" وفي الأسبانية "Papeles de la India" وفي الهندية "Gagananchal" وكلها يصدر أربع مرات في السنة.

والمراسلات المتعلقة بالاشتراك في الطباعة والنشر توجه إلى:

**EDITOR, Thaqfatul Hind**
**The Programme Director (Pub.)**
**Indian Council for Cultural Relations**
Azad Bhavan , Indraprastha Estate
New Delhi-110002 (India)
E-mail: editor.thaqafatulhind@gmail.com

ويدفع الثمن لـ:

**The Programme Director (Pub.)**
**Indian Council for Cultural Relations**
Azad Bhavan , Indraprastha Estate
New Delhi-110002 (India)

حقوق جميع المقالات المنشورة في ثقافة الهند محفوظة فلا يجوز نشرها بدون الإذن الخطي، والآراء التي تحويها المقالات هي آراء شخصية للمساهمين والكتاب ولا تعكس سياسة المجلس بالضرورة.

بدل الاشتراك للمجلات الصادرة عن المجلس:

| ثمن النسخة | الاشتراك السنوي | اشتراك ثلاثة أعوام |
|---|---|---|
| 25 روبية | 100 روبية | 250 روبية |
| 10 دولارات | 40 دولارا | 100 دولار |
| 4 جنيهات | 16 جنيها | 40 جنيها |

نشرها وطبعها السيد ستيش ميهتا، المدير العام للمجلس الهندي للعلاقات الثقافية – آزاد بهوان، نيودلهي، الهند.

# ثقافة الهند

**المجلد 66، العدد 1 ، 2015**


- كلمة إدارة التحرير
- **أبو الحسن علي الحسني الندوي :عميد الأدب الإسلامي** 1

أ. د/ شفيق أحمد خان الندوي

- **اللغة التاميلية وأدبها قديما وحديثا** 19

أ. د/ بشير أحمد جمالي

- **أمير خسرو بن سيف الدين الدهلوي واللغة العربية** 35

أ. د/ محمد نعمان خان

- **قضايا الشعر العربي في الهند** 49

أ. د/ محمد أيوب تاج الدين الندوي

- **التجارة العربية ودورها في توارد الألفاظ الأردية والسواحلية** 61

أ. د/ أحمد محمد أحمد

- **صفي الرحمن المباركفوري في ضوء كتابه "الرحيق المختوم"** 73

د. نسيم أحمد

- **حركة "ريشمي رومال" ودورها في تحرير الهند** 94

د. معراج أحمد

- **الدولة المغولية وأسباب انحطاطها** 109

د. محمود عالم صديقي

- **عناية الأدباء العرب بالثقافة الهندية : سورياال عبد الملك أنموذجا** 121

د. مظفر عالم

- **تأثيرات الثقافة الهندية على المجتمع العماني** 131
  آفتاب أحمد
- **دور الكتّاب الهنود في تدوين تاريخ الأدب العربي الهندي** 144
  محمد سليم
- **السير سيد أحمد خان مصلحا تعليميا** 154
  د. محمد قطب الدين
- **العلامة شبلي النعماني وندوة العلماء:نظرة في التاريخ** 169
  أ. د/ مسعود عالم الفلاحي

# كلمة إدارة التحرير

يقدم المجلس الهندي للعلاقات الثقافية بمناسبة حلول العام الجديد 2015 لقراء المجلة أطيب التمنيات مع باقة من زهور الثقافة الهندية في شكل مقالات وبحوث تتناول مختلف الجوانب الثقافية تحيط بمختلف مناطق البلاد والطبقات الحياتية الهندية ابتداء من الاهتمام بالتعليم والشخصيات البارزة والتبادل الثقافي بين الهند والناطقين باللغة العربية والمجهودات المبذولة من الهنود في ترويجها عن طريق الكتابة فيها نظما ونثرا. إننا جمعنا في هذا العدد للمجلة مقالات قيمة من تأليف الباحثين والأساتذة الجامعيين هنودا وعربا.

نورد في هذا العدد ثلاث عشرة مقالة. تتحدث المقالة الأولى عن مكانة الأستاذ الجليل أبوالحسن علي الحسني الندوي في الأدب العربي- الإسلامي وأيضا الأدب - العربي الهندي. وهي من تأليف الأستاذ شفيق أحمد خان الندوي. والمقالة الثانية من قلم الأستاذ بشير أحمد الجمالي وهي تتحدث عن الأدب التاميلي قديما وحديثا. شرح الأستاذ بشير أحمد مختلف جوانب اللغة والأدب التاميلي مع ذكر أسماء أبرز الأدباء التاميليين وهكذا تقدم هذه المقالة تصويرا شاملا لمختلف فروع الأدب في اللغة التاميلية. إن المقالة الثالثة تسلط الضوء على شخصية الشاعر الأمير خسرو واتقانه اللغة العربية. وفي هذه المقالة يكشف لنا الأستاذ نعمان خان أن الأمير خسرو لم يكن شاعرا أردويا وفارسيا فحسب بل كان يقرض الشعر في اللغة العربية أيضا. والمقالة الرابعة تحدثنا عن الشعر العربي الهندي. أبان فيها الدكتور محمد أيوب تاج الدين الندوي أن الهنود قرضوا الشعر في اللغة العربية في موضوعات شتى وليس فقط في مدح النبي صلى الله عليه وسلم. وبعدها نورد مقالة شيقة تتحدث عن تواجد الكلمات العربية في اللغة الأردية واللغة السواحلية. إنما هذه مقالة قيمة أهداها لنا للمجلة الأستاذ الدكتور أحمد محمد أحمد الذي يدرّس اللغة الأردية

في جامعة الأزهر المصرية وتأتي هذه المقالة لإثبات طول باعه في اللغة الأردية. وبعدها تأتي مقالة عن صفي الرحمن المباركفوري يحدث فيها الدكتور نسيم أحمد عن كتابه الشهير في السيرة النبوية "الرحيق المختوم"، إنه يقدم لنا ملخصا لهذا الكتاب عن طريق هذه المقالة. والمقالة السابعة كتبها الدكتور معراج أحمد عن دور "حركة الرسائل الحريرية" في تحرير الهند من براثن الاستعمار الإنجليزي. والدكتور محمود عالم صديقي من الأكاديمية البحرية الهندية يأتي بمقالة في موضوع " الدولة المغولية وأسباب انحطاطها". تحدث فيها أخونا محمود عالم عن تاريخ الدولة المغولية بالاستيعاب وقام بتحليل أسباب انحطاطها في الهند تحليلا دقيقا. والمقالة الأخرى بعنوان "عناية الأدباء العرب بالثقافة الهندية: سوريال عبد الملك أنموذجا" للدكتور مظفر عالم، وكما يتضح من الموضوع أن المؤلف يبرز أعمال أديب ومترجم مصري سوريال عبد الملك القيمة في مجال نشر الثقافة الهندية باللغة العربية أصلا وترجمة وذكر أن هذا الأديب قدم خدمات مشكورة عن طريق ترجمة الكتب المقدسة الهندوسية إلى جانب الأعمال الأصلية الأخرى. ويضاف أن هذا العدد للمجلة يشمل مقالة معنونة بـ" تأثيرات الثقافة الهندية على المجتمع العماني" للأخ آفتاب أحمد وهو يعطينا فكرة شاملة عن تأثير الثقافة الهندية في الثقافة العمانية مع ذكر الأسباب في ضوء مصادر أولية وثانوية. كما لا يخلو هذا العدد من ذكر المجهودات اللائقة المبذولة من الأساتذة والعارفين للغة العربية الهنود بكتابة تاريخ الأدب العربي الهندي، فكتب الباحث محمد سليم مقالة قيمة في هذا الموضوع. والدكتور محمد قطب الدين وهو مساعد تحرير لهذه المجلة يهدي مقالة قيمة عن السير سيد أحمد خان بصفته مصلحا تعليميا وألقى ضوء وافيا على المجهودات المبذولة منه في توعية المسلمين حول فوائد التعليم العصري. إن السير سيد أحمد خان أنشأ مدرسة تعليمية أصبحت من أشهر الجامعات الهندية مع مضي الوقت. وأخونا الأستاذ مسعود عالم الفلاحي يحدثنا في مقالته عن مساعي العلامة شبلي

النعماني المبذولة في إنشاء ندوة العلماء مع الإشارة إلى محاولاته الفاشلة في إدخال تحسينات في نصابها التعليمي.

أيها القراء الكرام!

نتطلع إلى تلقي آرائكم القيمة التي تنور دربنا حتى ندخل في مجلتنا المزيد من الاصلاحات ونرتفع إلى توقعات قرائنا الكرام.

**سيد إحسان الرحمن** — رئيس التحرير

**د. محمد قطب الدين** — مساعد التحرير

# أبو الحسن علي الحسني الندوي:
# عميد الأدب الإسلامي

**أ. د. شفيق أحمد خان الندوي***

**تمهيد وتعريف:**

عميد الأدب الإسلامي، ورائد اللغة العربية في الهند الحديثة سماحة شيخنا الجليل أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله (1914-1999) م كان من عباقرة العصر الحاضر .عرفناه أمة في ذاته، وقرنا في صفاته. بذل جهودا جبارة موفقة في إحياء التراث الإسلامي، ونشر المعارف الإسلامية عن طريق كتاباته وإنشاء الكتاتيب والمدارس والجامعات والمؤسسات والجمعيات في الشرق والغرب، وسعى إلى توحيد صفوف الأمة في مشارق الأرض ومغاربها، ونفخ روحا جديدة في كافة أرجاء المعمورة عن طريق جولاته وصولاته الدعوية والأدبية بصفته مؤسسا لرابطة الأدب الإسلامي العالمية، ورئيس ندوة العلماء، ورئيس مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية. ولم يكتف بذلك، بل تقدم إلى الأمام، فخاض المعارك السياسية والاجتماعية في الأوساط غير

* نائب رئيس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي في نيو دلهي. shafiqnadwi@gmail.com

الإسلامية في الهند، وحرك ضمير الشعب، وقاد الأمة، وكشف الغمة، وأصلح ما اعوجّ بآرائه السديدة وجهوده البناءة.

أسس هيئة عموم الهند الاستشارية للحفاظ على القوانين الإسلامية الشخصية، ومجلس التعليم الديني والتربية الإسلامية، وحركة رسالة الإنسانية.

أمّا مؤلفاته فإنها تزيدعلى 159 كتابا باللغة العربية بين صغير وكبير، و 88 كتابا باللغة الأوردية ومعظمها مترجمة إلى عديد من اللغات العالمية الحيّة، كان يؤلّفها الشيخ باللغة العربية أو باللغة الأوردية في أغلب الأحيان ثم يترجمها هو بنفسه إلى اللغة الأوردية أو العربية حسب الحالة والحاجة، أو يترجمها تلاميذه تحت إشرافه بالأردية ومنها إلى الإنكليزية واللغات الأخرى.

**تضلعه من التعريب والترجمة:**

قرأنا جُلّ مؤلّفات الشيخ أبي الحسن باللغتين العربية والأردية قراءة متأنية، ولله الحمد، فعرفنا تضلّعه من الترجمات العربية والأردية والفارسية على السواء، وتأكدنا من أن الترجمة جسر بين الثقافتين، ووسيلة لتعزيز العلاقات الودية بين الثقافات. وخير دليل على ذلك، على سبيل المثال، لا الحصر،كتاب ألّفه الشيخ أبوالحسن باللغة العربية بعنوان" الطريق إلى المدينة "وترجمته إلى الأردية بعنوان" كاروان مدينة"، وهو في الحقيقة مجموع أحاديثه عن الرسول عليه الصلاة والسلام، ظهرت طبعاته الإنكليزية، والتركية والهندية والفارسية مرارا، وتلقى الكتاب قبولا حسنا، وأبدى عدد من الأدباء والكتاب إعجابهم به، وتأثرهم العميق بما جاء فيه. وقد كان له فضل في إشعال الجمرة الإيمانية والحب الدفين الكامن للرسول الأعظم عليه أفضل الصلاة والتسليم. ويحتوي الكتاب على مقدمة الأديب الألمعي البارع فضيلة الشيخ علي الطنطاوي وعشرة أحاديث عناوينها(1) الكتاب الذي لا أنسى فضله،(2) محمد إقبال في مدينة الرسول عليه السلام،(3) وفود الأمة بين يدي نبيها عليه السلام،(4) من غارحراء (5)ميلاد عالم جديد،(6) في مهد الإسلام،(7) البعثة المحمديّة عليه السلام،(8) صلة

مسلمي العجم بالنبي العربي،(9) شعراء العجم باللغة الفارسية في مدح سيد العرب والعجم عليه السلام،(10) شعراء العجم في مدح سيد العرب والعجم عليه السلام بالأردية.

أتقدم إليكم بلمحة خاطفة عن الحديث الثاني من هذه المجموعة والذي عنوانه : "محمد إقبال في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم "أذاعه صاحبه من محطة إذاعة دمشق عام1956 م. وقام بترجمته إلى اللغة الأردية ابن أخيه محمد الحسني رحمه الله رئيس تحرير مجلّة البعث الإسلامي حينذاك. يدور الحديث حول ديوان من دواوين الشاعر محمد إقبال الفارسية عنوانه :أرمغان حجاز) هدية الحجاز(، وهو في الحقيقة رحلته الشعرية الخيالية إلى المدينة المنورة باللغة الفارسية.

عاش الدكتور محمد إقبال، مدة حياته، في حب النبي صلّى الله عليه وسلّم وفي أشواقه إلى مدينته الطاهرة، وتغنى بهما في شعره، وقد طفحت كأسه في آخر حياته، فكلما ذكر المدينة المنورة فاضت عيناه وانهمرت بالدموع. ولم يقدّر له الحج وزيارة مدينة الرسول صلّى الله عليه وسلّم لأسباب شخصية وصحية، ولكنه رحل إلى الحجاز بخياله القوي، وشعره العذب، وقلبه الولوع الحنون. وحلق في أجواء الحجاز، وتحدث إلى الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام بما شاء قلبه وحبه وإخلاصه ووفاؤه، وتحدث إليه عن نفسه وعن عصره وعن أمته وعن مجتمعه، وعلى حد تعبير شيخنا الجليل أبي الحسن الندوي رحمه الله، وليس ذلك من الاستعانة في شيء، إنما هو أسلوب من أساليب الشعر والحب استعمله الشعراء قديما وحديثا. فكان شعره في النبي الكريم عليه السلام من أبلغ أشعاره وأقواها.

قال الشاعر هذه الأبيات وهو يتخيل أنه مسافر إلى مكة والمدينة يسير به الركب على رمال الصحراء، فيتخيل بشدّة شوقه أنها أنعم من الحرير، ثم يسعد بالمثول بين يدي الرسول فيصلّي ويسلّم عليه بما يفتح الله به عليه، وينتهز الفرصة فيحدثه عن نفسه وبلاده وعن أمته وعن الأزمات والمشاكل التي تعانيها، ومافعلت بها الحضارة الغربية والفلسفات المادية، يشكو غربته في وطنه، وضياع رسالته في أمته.

وقد سمّى هذه المجموعة (أرمغان الحجاز)، ومعناها: (هدية الحجاز) التي حملها من الحجاز لأصدقائه وذويه. ولاشك أنها هدية مباركة للعالم ونفحة فائحة من نفحات الحجاز، ينشد شيخنا بيتا من الشعر الأوردي بهذه المناسبة وهو:

باد نسيم آج بهت مشک بار هے

شايد هوا كي رخ پي كهلي زلف يار هے

أي :إن رياح النسيم معطرة كالمسك اليوم، وذلك لأنني أتفكر في حبيبي، وأتخيل عسى أن تكون شعرات رأسه مفتوحة على اتجاه هبوب الرياح.

يريد الشاعر أن يعلّم الناس قدسية المكان بهذه القصيدة، ويزوّدهم بتغذية للفكر والتبصر لمدة طويلة وبصورة جدية ومتأنية. فيقوم بهذه الرحلة الملهمة بتوفير زادهم للتقوى، وقد تجاوز ستين سنة من عمره، ووهنت قواه في سن يفضل فيها الناس الراحة والإقامة، إنه يسافر وهو شيخ وقد أضعفه المرض والشيب، والسفر إلى الحجاز شاق ومضنٍ، وقد نصحه الأطباء والأحبة بالراحة والهدوء ولكنه يعصيهم ويطيع أمر الحب، ويلبي منادي الشوق طبقا لترجمة شيخنا أبي الحسن:" لقد توجهت إلى المدينة رغم شيبي وكبر سني، أغني وأنشد الأبيات في سرور وحنين، ولا عجب فإن الطائر يطير في الصحراء طول نهاره فإذا أدبر النهار وأقبل الليل، رفرف بجناحيه وقصد وكره ليأوي إليه ويبيت فيه" كأنه يقول: إن المدينة المنورة هي وكر طائر الروح وملجأ المؤمن ونهاية مطافه:

باين پيري ره يثرب گرفتم نواخوان از سرورعاشقانه

چو آن مرغي كه درصحراسرشام كشايد پر به فكر آشيانه

يطوي إقبال هذه المسافة في سرور وحنين حتى يصل إلى المدينة المنورة فيقول لزميله: "تعال ياصديقي نبك سرورا ونتحدث ساعة ونرسل النفس على سجيتها، فإن لناشأنا مع هذا الحبيب الذي أسعدنا به الحظ بعد طول فراقه وشدة اشتياق:

بيا اي هم نفس باهم بناليم من وتو كشته شان جماليم
دو حرفي برمراد دل بگويم بائي خواجه چشمان را بماليم

ويقبل على نفسه فيتعجب كيف اختص من بني أقرانه بهذه السعادة، ثم يقول: لا عجب! فإن المحبين المتيمين أكرم هنا من الحكماء المتفلسفين، ياسعادة الحظ ! وياحسن الطالع! لقد سمح لصعلوك مملوك بأن يدخل على السلاطين والملوك:

حكيمان را بها كمترنها دنـــــــد بنادان جلوه مستانه داد ند
چه خوش بختي چه خرّم روزگار در سلطان به درويشي كشادند

ولايلبث محمد إقبال وهو في هذا الفيض من السرور والسعادة أن يذكر أمته المسلمة، يذكر آلامها وآمالها، ثم يذكر الفرق بين ماضيها العظيم وحاضرها القاسي الكالح، كما يتذكر فتنة (اللادينية) التي توجهت إلى العالم الإسلامي، ويذكر السرّ في ضعف المسلمين من أجل حب الدنيا وكراهية الموت، وعدم الاعتصام بحبل الله جلّ وعلا. ولكنه رغم ذلك كلّه فإنه غير قانط من رحمة الله، وغير يائس من المسلمين، فيدعو الله عزّ وجلّ أن يوفق أمته الإسلامية جمعاء إلى مافيه السعادة، ويحضّ البشرية على تقليل من شأن المادية والالتزام بطريق سيدّنا أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، وعلى أن تجعل مخافة الله والمصير الأخروي وصفة حتمية للتغب على المشكلات الاجتماعية.

ويختم قصيدته بأبيات يوجهها إلى عبد العزيز بن سعود– رحمه الله -باعتباره ملك الحجاز في عهده، وهو خطاب موجه إلى جميع ملوك العرب وزعمائهم وعظمائهم، يحذره من الاستعانة بالأجانب والدول الأوروبية، ويدعوه إلى الاعتماد على الله ثم على ماعنده، كما يقول: "اضرب خيمتك حيث شئت في الصحراء، ولتكن خيمتك قائمة على عمدك وأطنابك، ولاتنس أن استعارة الأطناب من الأجانب حرام."

ترا اندر بياباني مقام است كه شامس جون سحر آئينه قام است
بهرجائي كه خواهي خيمه گستر طناب از ديگران جستن حرام است

هذا أنموذج لنبوغ شيخنا أبي الحسن في القيام بعمل الترجمة من اللغتين الفارسية والأردية إلى اللغة العربية، ومن أراد التوسع في البحث فليراجع إلى كتابه الشهير "روائع إقبال" الذي يتطرق إلى صلته بمحمد إقبال وشعره، وعبقريته الشعرية وبراعته في تقديم الرسالة الإلهية الخالدة، والعوامل التي أدت دوراً فعالاً في تكوين شخصيته، وموقفه من نظام التعليم العصري ومراكزه ونظرته إلى العلوم والآداب، والحضارة الغربية وتأثيرها السلبي على المجتمع كما يبحث في الإنسان الكامل وقوّة المؤمن ورسالته إلى الأمة العربية ثم اليقظة الإسلامية ونحو ذلك.

هذه لمحة خاطفة عن "روائع إقبال" لصاحبه الشيخ أبي الحسن. إنه كتاب يعرض فكر شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال- رحمه الله -خير عرض وأصدقه، كما أنه على حدّ تعبير فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي، يقدم نماذج شعره منقولة إلى العربية نثراً بأدقّ ترجمة وأروعها، نجد فيها الدقة والقدرة على النقل الأمين والروعة البيانية.

**اهتمام الشيخ الندوي بأدب الأطفال وتربية النشء:**

بذل الشيخ جهوداً ملحوظة ووجيهة في ترويج الأدب العربي للأطفال بهدف تهذيبهم الخلقي وتربيتهم تربية صالحة، فقام بإعداد منهج دراسي للأطفال في أربعة أجزاء، وسيرة خاتم النبيين عليه الصلاة والتسليم، وكان قد أكمل سلسلة القراءة الراشدة في ثلاثة أجزاء. وقصص النبيين للأطفال. وقال عن هذه المجموعة في سيرته الذاتية في مسيرة الحياة :إنه التزم بأربعة أمور:

أن تكون ثروة الأطفال فيه أقل قليل، ولكنها تنقش في ذهن الطالب بكثرة التكرار والإعادة.

أن يكون الكتاب في لغة القرآن، وتوضع الآيات الكريمة في مجالها كالفص في الخاتم.

أن يشتمل على تعليم العقائد الأساسية (التوحيد والرسالة والمعاد)، وتلقنها للطالب بطريقة عفوية.

أن تبسط القصص، وتزود الأطفال بما يكره إليهم الكفر والشرك والمعاصي، ويحبب إليهم الإيمان والعقيدة، ويرسخ فيهم الاعتقاد بعظمة الأنبياء، وجلالة مكانتهم . وكل ذلك بطريق لا يشعر الطالب بثقله وأنه يلقى عليه، بل يتلقاه ضمنا وعفوا وينسجم معه.

نالت هذه المجموعة القصصية قبولا حسنا لدى المربين المعنيين بأدب الأطفال، وفي مقدمتهم الأديب البارع الناقد البصير سيد قطب- رحمه الله -الذي كان قد أعد بمساهمة بعض زملائه، قصصا للأطفال، فقد مارس العملية بنفسه فيقول في تقديمه لهذه المجموعة :

"لقد قرأت الكثير من كتب الأطفال بما في ذلك قصص الأنبياء عليهم الصلوات والسلام، وشاركت في تأليف مجموعة القصص الديني للأطفال في مصر مأخوذا لذلك من القرآن الكريم، ولكني أشهد في غير مجاملة أن عمل السيد أبي الحسن في هذه القصص الذي بين يدي جاء أكمل من هذا كله."

و تقدمت معاهد ومدارس في المملكة العربية السعودية والبلدان العربية وغير العربية الأخرى، فأدخلت هذه المجموعة القصصية في مقرراتها الدراسية، وكان الجزء الأخير خاتم النبيين عليه السلام يدرس في شعبة تعليم اللغة العربية لغبر الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

لقد تقدم شيخنا الجليل بمجموعة أخرى من قصص الصحابة- رضي الله عنهم - وغيرهم، بلغة سهلة وأسلوب شيق بعنوان: قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال ، مراعيا فيها عقلية الأطفال ومستواهم لكي يتيسر لهم الاستمتاع بذلك من غير سآمة وملل. والمجموعة كلها بالإجمال تتمثل في تهيئة أجواء ملائمة للتذوق والتشويق، والتعود والتعويد على القراءة والتعلم بجنب رفع المعنوية والخلق النبيل، والعقيدة القويمة.

هذا وقد ألف شيخنا كتابا في ثلاثة أجزاء، وهو القراءة الراشدة جمع فيها ثمانية أجناس من الأدب للنشء وهي القصة، والسيرة، والحوار، والمقالة، وأدب الرحلات، والخواطر، والوصايا والمواعظ، والشعر. وذكر السبب لهذا التنوع أنه يقصد إلى تنشيط الطالب وإمتاعه بالإضافة إلى الاستزادة في معلوماته.

أما أسلوبه فإنه سهل وميسور ينسجم مع طبيعة الأطفال مع مراعاة نفسياتهم وميولهم وإلماماتهم، يهتم بالجمل القصيرة غير المعقدة، من غير إهمال النمو العقلي واللغوي والثقافي للأطفال وللنشء، حيث التزم المؤلف في استخدام الكلمات والتراكيب اللغوية بمبدأ التدرج من السهولة إلى الصعوبة. وإذا تأملنا في عمله وجدنا أنه استخدم أمورا فنية أهمها مقدمة مشوقة تبدأ بالاستفهام حينا، وبالأسلوب الممتع حينا آخر، فمثلاً: هل سمعت سفينة تسير على البر؟ وهل تصدق إذا أخبرك أحد؟ أو مثلاً: ترون أمامكم صورة مسجد، هذا مسجد رسول الله صلي الله عليه وسلم، هل تعرفون من خبر هذا المسجد شيئا؟ أو الدرس الذي عنوانه: المنارة تتحدث، يريدها منارة قطب تتحدث عن تاريخ أمجاد المسلمين في دلهي. أما بالنسبة للتكرار والإعادة وضرب الأمثلة فإنها أكثر نفعا في مثل هذه السن المبكرة من الواجبات المنزلية المرهقة، وتصير كالمسك إذا كرّرته يتضوع.

**حبه للعرب والإسلام:**

ألف شيخنا كتابا بعنوان" العرب والإسلام "وهو في الحقيقة مجموعة محاضرات ومقالات كتبها الشيخ أبو الحسن- رحمه الله -في مناسبات عدة، ألقاها في أمكنة وأزمنة مختلفة في العالم العربي، توجد منها وحدة معنوية وغاية مشتركة تتغلب على اختلاف الزمان والمكان وتنوع أساليب البيان، وهي على حد تعبير المؤلف نفسه، إثارة الشعور الإسلامي، أو إيقاظ الروح الإسلامية في نفوس العرب الذين أصبح كثير منهم بفعل عوامل كثيرة في حاجة إلى ذلك، وهو إثارة كريمٍ عريقٍ في الكرم، وتحريك أريحيته

الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي

للمكارم والبطولات، وهو إيقاظ أسد غلبه النعاس أخيراً ليحتل مكانه الطبيعي في الغابة، وحاشا أن يكون تعليم جاهل أو إقناع جاحد.

يحتوي الكتاب على 11 حديثا أو مقالا في حدود 120 صفحة من المقاس المتوسط، بالعناوين التالية:(1) من العالم إلى جزيرة العرب، (2) من الجزيرة العربية إلى العالم،(3) اسمعي يا مصر ! (4)اسمعي يا سورية!(5) اسمعي يا زهرة الصحراء (الكويت)!، (6)اسمعوها مني صريحة أيها العرب،(7) إلى الراية المحمدية أيها العرب،(8) القومية في ميزان العلم والتاريخ وواجب العرب،(9) لا تحرجوا الأوفياء للإسلام بموقفكم أيها العرب،(10) أجاهلية بعد الإسلام أيها العرب،(11) مصر جوهرها إسلامي، إيماني، محمدي، مهما تراكمت عليه الأتربة.

وفيما يأتي بعض التفاصيل:

من العالم إلى جزيرة العرب حديث أذاعته دار الإذاعة السعودية بمكة المكرمة عام1950م، حاول الشيخ أن يخاطب العالم، ويستنطق فاه فيقول على لسان حاله: إن الجزيرة العربية تغتبطني في تقدماتي الصناعية والمادية ولا تدري الواقع، وهو أن الإنسان أصبح يطير في الهواء كالطير، ويسبح في البحار كالسمك، فإنه لا يحسن أن يمشي على الأرض كإنسان، إنها تغتبطني في امتدادي المادي ورفاهيتي البراقة، ولا تدري أنني استسمنتها بصورة اصطناعية فأصبحت عليلا ذا أورام غير طبيعية. وقد اجتمع حولي متطببون ومشعوذون يعالجونني بالأمراض، ويداوون الداء بالداء، وبعمليات جراحية خرقاء، لقد داووا جورا بجور، وظلما بظلم، وإسرافا بإسراف، وجهلا بجهل، وعلة بعلة، فزادوني مرضا على مرض وضعفا على ضعف .

إليك جئت أيتها الجزيرة العربية، وكشفت سري؛ فهل تغيثينني وتسعفينني كما أغثتني بالأمس وأنقذتني بالموت الأحمر ! فلست اليوم بأقل حاجة إلى إسعافك وإنجادك من يوم بعث رسولك، وأشرق علي نورك، نفسي فداؤك يا جزيرة العرب! خذي مني ما شئت من سيارات وقُطُر وطائرات وماكينات وآلات وزخارف وأدوات؛ وتصدقي علي بهذا الإيمان الذي لا أجده في أسواقي.

ويستطرد قائلا: إنك تجودين علي أيتها الجزيرة العربية بمقدار عظيم من البترول أدير به ماكيناتي، وأسير به عجلاتي. فأنا أدين لك بالفضل، وأشكر صنيعك، ولكنني كنت أنتظر منك -أيتها الجزيرة العربية السعيدة، يا مولد نبي الرحمة -شيئا أعز وأثمن من الذهب الأسود! كنت أنتظر منك أن تخرجي لي عجلة الحياة التي غاصت في الوحل، وأن توجهيها وتخلصي ركابها من هذا المأزق، فقد عجزت حكمة الحكماء، وصناعة الصناع من إخراجها، فأخرجيها بما معك من حكمة النبوة وبقية قوة الرسالة والإيمان واليقين، وسيّريها بنور الشريعة الإلهية والهداية الإسلامية.

وفي الحديث الثاني: من الجزيرة العربية إلى العالم، تحبيب الجزيرة العربية إلى العالم، فبدورها تقول: غلبتك المادة أيها العالم فجئتني لا ترغب إلا فيما أحتوي من كنوز الثروة والقوة، ولا يهمك إلا ما يجري في بطني من عيون البترول، فأعطيتك سؤلك، وأشبعت نهمتك، وإنما يعطى السائل على قدر همته. وقد جئتني تسأل أعز ما عندي وأنفع للإنسانية تسألني الإرشاد والتوجيه؛ فأهلا بك وسهلا أيها الزائر الكريم، ودونك المنهل العذب الصافي من الدين السماوي، ومن الوحي المحمدي، احتفظت به طول هذه المدة، فارتو منه ما شئت من الإيمان واليقين، ومبادئ الحياة السعيدة، والعلم الصحيح، والعمل الصالح والخلق المستقيم، والاتجاه الصحيح في كل عمل وحركة، وفي كل دقيقة وجليلة، ذلك الاتجاه الذي لا يكون إلا بالإيمان بالله وبرسله واليوم الآخر والحساب والعقاب. تشرب هذه المبادئ من هذا المعين الصافي، واستمد منه الحياة والقوة والشباب والرسالة، وأطلع عالما فتيا مشرقا يخلف العالم الشائب المظلم العليل الذي قد فقد الروح والحياة والشباب، وأصبح لا يحمل رسالة للإنسانية.

أما الحديث الثالث فهو عبارة عن حلقة أولى من سلسلة (اسمعيات) شيخنا الندوي المعروفة وهي: اسمعي يا مصر، ونشر ذلك أولا مقالا في مجلة الرسالة لصاحبها أحمد حسن الزيات1951 م ثم نشر في رسالة مفردة في مصر نفس العام، يحيي فيه الشيخ مصر العزيزة بتحية الإسلام، ويحيي فيها الزعامة للعالم العربي، الزعامة التي كانت في جدارة واستحقاق لا عن احتقار واغتصاب، ويقول: إنك يا مصر تحلين اليوم

في العالم العربي محل السمع والبصر، ومحل العقل والفكر، رضي به الناس أم لم يرضوا! ولكن الواقع لا ينكر.

ثم يحييها بالعلوم والفنون، وبوجود المكتبات والأزهر الشريف، والنيل، ورواج سوق اللغة العربية وآدابها، وبالتالي فإنه يذكر بمسؤوليتها ملتقى الثقافتين الشرقية والغربية، ألا وهي مسؤولية كونها قنطرة لعبور تجارب أوربا الجديدة إلى الشرق، وتبليغ الرسالة الإلهية الإسلامية الخالدة إلى أوربا في سبيل حل مشكلات الروح والجسد معا بالعدل والإحسان.

وفي الحديث الرابع: اسمعي يا سورية الذي أذيع من دار الإذاعة السورية بدمشق سنة 1956م يحيي الكاتب سورية تحية محب لها، معجب بها، ويذكرها بالأيام التاريخية البطولية السعيدة السورية، ثم يقول: إن سر عظمتك يا سورية وسيادتك على العالم كله، سيادة دامت قرنا كاملا؛ هو أنك تزعمت هذه الأمة التي بعثت بعثا جديدا، وكلفت تبليغ رسالة إنسانية عالمية. فدعي التردد يا سورية واحملي راية الإيمان والدعوة في الخارج، وراية الإصلاح والتربية في الداخل، وحاربي فساد الأخلاق والتحلل، والميل الزائد إلى الملاهي والرخاوة والترف.

وأخيرا فإنه يذكرها بتاريخ صقر قريش وإقامة دولة أندلسية وحضارة عربية إسلامية دامت ثمانية قرون في الغرب،كما يذكرها بفضلها على بلاده الهندية عن طريق محمد بن القاسم الثقفي وفتحه باب التبادلات الثقافية من حيث الاعتبارات المنوعة، ويطالبها باستعادة المجد المفقود، والرجوع إلى القيم الخلقية الإسلامية النبيلة من جديد.

أما بالنسبة إلى حديثه: يا زهرة الصحراء، والمراد بها الكويت، والذي أذاعه من الإذاعة العربية الكويتية عام1962م فإنه يذكرها بنعم الله التي أنعمها الله عليها في صحاراها القاحلة التي لم يتخيل أحد من العالمين في عهد قريب. ثم يقول: لقد شاءت سماحتك العربية وأريحيتك المعروفة في التاريخ أن تجودي بالنفط على العالم، فكنت من ذلك السخية المحسنة المشكورة، ولا شك أنها مساهمة غالية منك في بناء هذا

الصرح الصناعي الكبير الذي يفتخر به العالم المعاصر، وقد شهد الجو والبر بقيمة هذا النفط الذي يستخرج من أرضك، ودانت له الطائرات والسيارات بالفضل والشكر، فشكراً لك أيتها الجزيرة الكريمة العريقة في السماحة والسخاء من كل من ينتفع بهذه الوسائل، وما أكثرهم في العالم!. ولكن فيك ما هو أغلى من هذا الذهب الأسود، وأنفع للمدنية، وأعود على الإنسانية بالخير والنفع العام. هو الإيمان الذي نبع عينه من أرضك لأول مرة بعد قرون متطاولة، فإذا كان هذا النفط تحفة الأرض إلى الأرض، كان الإيمان الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم تحفة السماء إلى الأرض، وفيك اتصلت السماء بالأرض لآخر مرة، وقد انقطعت صلة الأرض بالسماء والأجسام بالروح والقلب، والصناعة والحضارة بالإيمان والأخلاق فلتتصل الأرض بالسماء والأجسام بالأرواح والقلوب، والصناعة والحضارة بالإيمان والأخلاق مرة ثانية عن طريق الجزيرة العربية وعن طريق الوحي المحمدي وقد اشتدت حاجة الإنسان إلى هذا الاتصال.

وبعد أسلوبه الهين اللين المزيج من اللطف والعطف والإخاء والمجاملة فإنه يخاطب العرب والقوميين بوجه خاص فيقول: اسمعوها مني صريحة أيها العرب! إذا أردتم استعادة المجد المفقود فعليكم أن تتمردوا على المادية العصرية كما تمرد أسلافكم على مادية عصرهم، وتضحوا برفاهيتكم وترفكم وأمانيكم المعسولة في سبيل الإسلام وفي سبيل المصلحة العامة والسعادة البشرية وتنضموا إلى الراية المحمدية، وهي راية العدل، وراية الحق، وراية الله في العالم التي اختارها الله لكم كراية، واختاركم لها كأمة وجند إلى آخر الدهر.

ثم يقوم الشيخ بموازنة القومية، ويضعها في ميزان العلم والتاريخ، وينذر إخوانه العرب والمسلمين بخطرها، ويدعوهم إلى شد المئزر ضدها وضد التيارات الهدامة المناوئة للإنسانية جمعاء، فيقول: ولا تحرجوا أوفياء الإسلام بموقفكم أيها العرب؛ في كلمته التي ألقاها في حفلة تكريم له أقيمت في جدة أمام أعيان البلد. كما خاطبهم في مكة في بستان عبدالله السليمان يوم 21 من إبريل1963م بعنوان: أجاهلية بعد الإسلام

أيها العرب!؟. وأخيرا فإنه ينبه العرب في مصر على الأخص، فيقول: إن مصر جوهرها إسلامي إيماني محمدي مهما تراكمت عليه الأتربة.

هذا وفي ختام جولتنا السريعة في هذا الكتاب فإننا نستطيع أن نقول: إنه دعوة العرب لاستعادة مكانهم الطبيعي في القيادة البشرية والحضارة الإنسانية، وفي خلال ذلك المؤلف يتوجه إلى العرب من غير مجاملة بل يعتبرها جريمة خلقية في حق هذه الأمة فيقول: إنني لا أقل عن أكبر عربي يعيش في العواصم العربية في عربيتي، ونسبي الصريح، وحبي للعرب، وتضلعي من ثقافتهم وعلومهم وآدابهم ولغتهم، وليس أحد من إخواني العرب الأقحاح أولى بالاعتزاز بالعربية مني، وأوفر نصيبا مني، ولكن الإسلام أفضل من كل نسب، وأقوى من كل عصبية .

**دور رحلات الشيخ الندوي في نشر الأدب الإسلامي:**

كان أستاذنا الجليل الشيخ أبو الحسن الندوي- رحمه الله - مولعاً بالرحلات بصورة طبيعية ولاسيما للدعوة والتبليغ، وإيقاظ الوعي الإسلامي، وترشيد الصحوة الإسلامية، واستلفات أنظار الناس إلى الشعور بمسؤوليتهم عن الاحتفاظ بحقوق الإنسان وأداء واجباتهم نحو الإنسانية، والتأكد من عدم انتهاك حرماتها بين بني آدم، وترسيخ جذور الإيمان بالله العلي القدير والتمسك بسنة رسوله عليه السلام عن طريق الندوات والمؤتمرات، والتعليم والتربية.

كان الشيخ معجبا بالعالم العربي، ومحبا للثقافة العربية الإسلامية، وعاشقا للجزيرة العربية، ومنطقة الحجاز والحرمين الشريفين منبع الوحي والرسالة الخالدة ومهوى أفئدة الناس. وكذلك فإنه كان مولعا بالرحلات الهادفة إلى التربية والتعليم، وتلقي دروس وعبر وبصائر. إنه قام برحلاته المتكررة إلى المملكة العربية السعودية ومن ثم، على التوالي في فترات مختلفة إلى مصر، والسودان، وسوريا، وفلسطين، والأردن، ولبنان، وتركيا، والعراق، وبورما، والكويت، وأوروبا والأندلس، وإنكلترا، وأفغانستان، وإيران، والمغرب الأقصى، والجزائر، وأمريكا، وباكستان، وقطر، وسري لانكا، واليمن، وبنغلاديش، وماليزيا، وأوزبكستان، والإمارات العربية المتحدة. ورحلاته نافعة وممتعة،

وموجودة باللغتين العربية والأردية، ولله الحمد، ومتسمة بالسهولة والعفوية في سرد الوقائع وروعة البيان، ودقة التعبير، من غير إيجاز مخل، ولا إطناب ممل.

استمرت رحلاته الخارجية لمدة تتجاوز خمسين (٥٠) عاما، بدأت بزيارة أرض القرآن الكريم والحرمين الشريفين وأداء مناسك الحج والعمرة عام ١٩٤٧م، وانتهت في استلام جائزة القرآن الكريم العالمية بدبي، دولة الإمارات العربية المتحدة عام ١٩٩٨م، وذلك بالإضافة إلى رحلاته إلى أمريكا وأوروبا وإلى سمرقند وبخارى أرض الإمام المحدث محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الجامع الصحيح أصح الكتب في الأحاديث النبوية الشريفة بعد كتاب الله، عام ١٩٧٣م، المعروفة بأرض المحدثين والفقهاء الآخرين كالإمام الترمذي، والفقيه أبي الليث السمرقندي، وشمس الأئمة السرخسي (صاحب المبسوط) ، والفقيه أبي الحسن علي المرغيناني (صاحب الهداية) ونحوهم. ويبدو من خلال سيرته الذاتية "في مسيرة الحياة" (العربية)، وكاروان زندگي (الأردية)، ورحلاته أنه قام بإحدى وعشرين رحلة إلى الأراضي الحجازية المقدسة فيما بين ١٩٤٧ – ١٩٩٨م.

لا شك في أن الرحلة عند شيخنا الندوي كانت وسيلة للتوعية والتثقيف والإصلاح والتربية، وأنه لم يكتف في كل ما قام به من الرحلات بأداء أعماله الروتينية، وواجباته التربوية والدينية، بل تعدّى إلى تقييدها في مذكراته اليومية بانتظام وبشكل فوري، بهدف استخدام وقائعها وسيلة للتذكير والتبليغ والدعوة الإسلامية تؤدي إلى بصائر ذات دروس و عبر، وفيما يأتي بعض النقاط :

زار سماحة الشيخ الحرمين الشريفين أول مرة في ١٩٤٧م فلم ينحصر في محيطهما فيما بين المناسك والشعائر فحسب، بل اتصل بأعيانهما من أجل الإصلاح الاجتماعي. فذكرهم بأن الهدف الحقيقي وراء الحكومة الإسلامية السعودية لابد من أن يكون الهدي والهداية، بدلا من الحكم الاقتصادي والجباية كالحكومات الدنيوية الأخرى. وألف رسالة عنوانها "بين الجباية والهداية" وسلّمها إلى سماحة الشيخ عمر بن حسن بن الحسين آل الشيخ، رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتوصيلها

إلى فاتح الجزيرة العربية جلالة الملك المعظم عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود. وولي العهد الأمير سعود بن عبد العزيز آل سعود- رحمهما الله.

وفي رحلته الثانية عام ١٩٥٠م، نشر سلسلة من المحاضرات عنوانها بين العالم وجزيرة العرب، من الإذاعة السعودية. أبرز فيها مكانة الجزيرة العربية المقدسة الرفيعة وحاجة العالم إلى ثرواتها الروحية والخلقية الفريدة من نوعها والتي لاغنى عنها في سبيل الحصول على سعادة الدنيا والآخرة.

ندّد الشيخ الندوي بتأثير التفرنج والتحرر في الجزيرة العربية المقدسة رغم وجود هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، و أثر دعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله– في المجتمع وفي الحكومة الإسلامية الوحيدة، وقابل سمو الأمير فيصل (حينذاك) في القصر الملكي، فاستمع إلى حديثه، وطمأنه على أنه لن يحدث شيء مما يخاف منه، والذي يخالف مكانة هذا المركز للإسلام ورسالته. ثم لما استلم الملك فيصل زمام الحكومة في البلاد كتب إليه رسالة مفصلة في هذا الخصوص، فبعث إليه الملك ردا على هذه الرسالة مع الشكر والتقدير. وبعد ذلك قابل الشيخ أبوالحسن الندوي الملك فيصل- رحمه الله - مرتين في جدة ومكة المكرمة، في جو من الأخوة الإسلامية الصادقة. وكان الملك فيصل يعتبره مخلصا للإسلام والمسلمين، وناصحا أمينا للمملكة.

تأسست الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٩٦٢م. وتمّ تعيين الشيخ أبي الحسن الندوي عضوا في المجلس التأسيسي والاستشاري لها. كما تعين عضوا للمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في نفس العام. وذلك لأنه أبلى بلاء حسنا في سبيل إنشائهما بداخل مهبط الوحي الإلهي، مهد الثقافة الإسلامية الغراء. حيث ألقى مقالة عنوانها: "الأخوة الإسلامية فوق العصبيات" انتقد بها سياسة جمال عبد الناصر وفكرته الخاصة بالقومية العربية. واستنكرها استنكارا شديدا، مناديا بالتمسك برابطة الأمة الإسلامية العالمية، وعقيدة التوحيد الخالص والأخوة الإسلامية بدلا من العصبيات القومية، والجنسية، والعرقية، والجغرافية، واللسانية ونحوها .

تم تأسيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية برئاسته في لكنؤ بالهند عام ١٩٨٤م بإيعاز منه وبجهود من الأستاذ الدكتور عبد الرحمن رأفت باشا أستاذ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وعدد من أساتذة الجامعات السعودية الآخرين ومنهم الأستاذ الدكتور عبد القدوس أبو صالح الرئيس الحالي للرابطة .

وفي نفس العام عندما كانت دول إفريقيا تواجه مجاعة انتبه الشيخ إلى خطورتها وضرورة إغاثة المتضررين منها، إلى جانب تنبيهه إلى خطورة أخرى، هي أخطر وأدهى وهي مجاعة إيمان وأخلاق، أصيب بها أكثر بلدان العالم ولكنها لاتهمها ولا تفكر فيها كأن قيمة الجسد عندها أغلى من قيمة الروح .

وفي عام ١٩٧٩م/١٤٠٠هـ عندما أثار المتطرفون الشغب برئاسة المدعو محمد عبدالله القحطاني مدعي المهدية واستولوا على الحرم بعد ما أتوا بالأسلحة إلى الحرم المكي الشريف عن طريق توابيت الجنائز، وأطلقوا النيران على الحجاج الأبرياء، قال الشيخ: إن هذا الحادث هو أول من نوعه بعد حادث القرامطة واستيلائهم البشع على الحرم الشريف. وقد انتكست بهذا الحادث رؤوس المسلمين خجلا وحياء في العالم كله، وتعرض أمان الحرم وهدوؤه والأدب معه إلى الخطر الشديد.

وقع حادث مشؤوم بسبب شغب الإيرانيين وغوغائهم في أيام حج ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م. فنادى الشيخ الندوي في مؤتمر رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة بالشعور بمسوؤلية الحفاظ على قداسة الحرمين الشريفين واحترامهما، و أداء المناسك في جو من الأمن والسكينة و الطمأنينة إذ إنها – فيما يراه– مسؤولية لاتنفرد بها الحكومة السعودية، بل يشارك فيها جميع البلدان الإسلامية والمسلمون بصفة عامة. وبالتالي فور عودته إلى الهند قام الشيخ بعقد ندوة حول قدسية الحرمين الشريفين في دلهي، وفي لكنؤ بإدارة المرحوم الدكتور محمد يونس النكرامي .

أشاد الشيخ الندوي بالحكومة السعودية عام ١٩٨٧م قائلا: إن الواقع أن ما حققت الحكومة السعودية لتأمين سبل الحجاج، وإراحتهم وتسهيلاتهم، من توفير المياه وإعداد

الشوارع الراقية. وحفظ الأنفس، والأموال والأعراض، في سخاء وأريحية بالغة، لا نجد نظيرها في التاريخ عبر عدة قرون.

وفي عام ١٩٩٦م أتيحت له فرصة فتح باب الكعبة المشرفة بيده والدخول فيها مع نخبة من الأمة الإسلامية ؛ وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله عنده أجر عظيم.

وبناءً على ما ورد، من وقائع وبصائر في رحلات شيخنا الندوي، فلا يسعنا إلا الاستنتاج بأن الشيخ- رحمه الله - رفع لواء الحضارة الإسلامية عن طريق رحلاته الدعوية والتربوية في الشرق والغرب، وأدى دوراً مهماً في تعزيز العلاقات العربية الهندية، بلغته العربية الناضجة المتسمة بالروعة البيانية وأصالة التعبير العربي السليم في وقائع الرحلات والإفصاح عما يجد فيها من بصائر. وهكذا فإنه قام باستلفات أنظار العالم إلى الجزيرة العربية وإلى العالم العربي، وإلى اهتمام الهند بالثقافة العربية الإسلامية. فاعترف كثير من العرب والعجم بأن الشيخ الندوي كان محباً للعرب، وعاشقاً للثقافة العربية الإسلامية، وحريصا علي تعزيز العلاقات السعودية الهندية، وودوداً للقيم الخلقية الإنسانية النبيلة، ومتحمساً في تحبيبها إلى الإنسانية جمعاء، كما كان حريصاً على الاحتفاظ بقداسة الحرمين الشريفين، ومتفانياً في حبهما واستبقائهما مركز السلامة والإسلام والحضارة الإسلامية السمحاء إلى آخر الأبد.

## الخاتمة:

وأخيرا، فإننا نستطيع أن نقول: إن الشيخ أبا الحسن ملأ الدنيا وشغل الناس في النصف الأخير من القرن العشرين بكتاباته الأدبية ومحاضراته الثقافية ورحلاته الدعوية، وجهوده التربوية وقيادته الحكيمة في صالح الإسلام والمسلمين، وقد سبقه كتابه الرائد (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟) إلى العالم العربي حتى صار يعرف به. إنه أثرى المكتبة الإسلامية الأدبية، وقام بترسيخ جذور الأدب الإسلامي، فأسس رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، كما أسس هيئة الحفاظ على قوانين الشخصية

الإسلامية، ومجلس التعليم الديني والتربية الإسلامية، وحركة رسالة الإنسانية والقيم الخلقية النبيلة. وبرز نبوغه في التعبير الأدبي السليم والتعريب من اللغات الأردية والفارسية والإنكليزية وبالعكس. وبالتالي فإنه ركز على تربية الأطفال، وتثقيف النشء، وتوعية الجيل الجديد توعية إسلامية صالحة، وذلك عن طريق إعداد المناهج الدراسية وقصص للأطفال. وهكذا فإنه أثبت نفسه محبا للعرب والمسلمين، ومتفانيا في حبهم لمصالحهم الخاصة بالدنيا والآخرة، وخاطبهم مخاطبة ودية مؤثرة ومثيرة للانتباه، أما بالنسبة لرحلاته الثقافية والأدبية والدعوية، فإنها كانت وسيلة فعالة لنشر الأدب الإسلامي والثقافة العربية الإسلامية.

والله هو الموفق الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

# اللغة التاميلية وأدبها قديما وحديثا

**أ. د. بشير أحمد جمالي***

تعد لغة التاميل أو التاميلية واحدة من اللغات الواسعة الانتشار في العالم حيث يتحدث بها أكثر من 77 مليون شخص. وتنتمي التاميلية إلى اللغات الدرافيدية ويستخدمها بالأساس شعب ولاية تاميل نادو في الهند وسيرلانكا وماليزيا وسنغافورة وموريشيوس وجنوب أفريقا ، بالإضافة إلى عدد من الجاليات التي هاجرت إلى مختلف دول العالم. والتاميلية هي لغة ولاية تاميل نادو الرسمية وهي أيضا من اللغات الرسمية في سريلانكا وسنغافورة.

والتاميلية واحدة من لغات العالم القديمة والتي تمتلك تاريخا يضرب بجذوره إلى نحو ألفين ومائتي عام، وقد نشأت وازدهرت بالجزء الجنوبي من الهند كلغة درافيديانية مستقلة، مصحوبة بأدب ثري، يعد الأدب التاميلي الأقدم بين الآداب الموجودة باللغات الدرافيديانية الأخرى وأنه على قدم المساواة مع الأدب السنسكريتي القديم. ولكن التاميلية على عكس السنسكريت التي ماتت كلغة منطوقة لا تزال لغة منطوقة ومتطورة.

**تركيب اللغة التاميلية:**

كلمة "تاميل" معناها حلو وجمال وطبيعة مهذبة وفيها أيضا معنى الطائفة والبلاد والشعب. وترد هذه الكلمة في كتاب "تول كابيام" وهو أقدم الأدب المكتوب في التاميل وأنه كتب في القرن الثالث قبل الميلاد وهو موسوعة علوم الفونولوجيا والمورفولوجيا ودلالات الألفاظ. بما أن كتاب النحو يكتب في أية لغة بعد تطورها

* أستاذ اللغة العربية وآدابها، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي.

نطقا وكتابة لقرون من الزمن يمكن أن نستنبط أن تاميل كانت لغة أدبية منطوقة ومكتوبة منذ آلاف السنين قبل صدور كتاب "تول كابيام" في القرن الثالث قبل الميلاد. وهذا الكتاب بالإضافة إلى علوم النحو والصرف والمعاني يقتبس ويذكر كمية وافرة من الألغاز والأساطير والأمثال والأقوال المأثورة والقصص والأبيات التذكارية مما يدل على أن كتبا غزيرة كانت قد سبقته في الأراضي التاميلية.

**هيكلها الفونولوجي والمارفولوجي:**

هيكلها الفونولوجي: تتكون الحروف الأبجدية التاميلية الحالية (هيكلها الفونولوجي) من 12 حرفا لينا أي هي أحرف العلة (Uyir Ezhuthukkal)، و18 حرفا ساكنا أي هي الحروف الساكنة (Mei Ezhuthukkal) وحرف واحد آلي خاص ( Ayudha Ezhuthu)، وتتجمع حروف العلة والحروف الساكنة لتشكل 216 حرفا مجمعا (Uyir-mei Ezhuthukal) حتى تصير إجمال الحروف (12+18+1+216) 247 حرفا. وحروف 18 الساكنة تتفرع إلى ثلاث فئات تسمى والينام (Vallinam) وميلينام (Mellinam) وإيداييينام (Idayinam) بمعنى أن كل فئة تحتوي على 6 أحرف حسب الضغط النطقي للحروف.

التاميلية هي لغة آغلوتوناتيفية (agglutinative) معناها أن أواخر ألفاظها تتغير اسما وفعلا. وأن هيكلها المورفولوجي يتكون من (أي تقسم ألفاظها إلى) الأسماء والأفعال والأدوات والصفات والظروف. ويكون ورود الكلمات في الجملة التاميلية في نظام فاعل ـ مفعول ـ فعل. والاسم تسبقه صفاته والفعل تسبقه ظروفه وأحواله في الجمل. وهي غنية بمفرداتها ذات تغيرات دقيقة ورقيقة في معانيها.

في أوائل وأقدم المكتوبات التاميلية استعمل الخط البراهمي كما تم العثور على نماذجه. وتغير الخط البراهمي تدريجيا إلى الخط الحديث المستعمل حاليا في التاميلية. وترجع نقوش المغارة المكتشفة في التاميلية في أقصى جنوب الهند إلى القرن الثالث قبل الميلاد والأدلة الأثرية أيضا تشير إلى أن بلاد التاميل القديمة أجرت اتصالات مكثفة مع العالم الشمالي وكذلك عن طريق البحار مع غرب العالم وشرقه. وأن الصلات التجارية الواسعة النطاق والعلاقات الثقافية والدينية الطويلة المدى مع العالم اجمع قامت بإثراء اللغة التاميلية وآدابها والتي حافظت على عناصرها الأصلية بعناد وإصرار وبصورة متماسكة.

أنسب عدد قليل من العلماء أصول التاميل إلى السنسكريتية. وخلافا لمعظم اللغات الأدبية الأخرى المنشأة من الهند، كانت أصول التاميل مستقلة عن اللغة السنسكريتية. لأن في التاميلية أطول التقاليد الأدبية دون انقطاع بين اللغات الدرافيدية الرئيسية الأربعة (التاميل، التيلجو، الكانادا، والماليالام). ويعود تاريخ أقدم النقوش التاميلية المعروفة إلى 500 قبل الميلاد على الأقل. ووقع تأليف أقدم النص الأدبي التاميلي "تولكابيام" (Tolkappiyam) في حوالي 200 قبل الميلاد. ويعتقد أن الأبجدية التاميلية قد تطورت من الخط البراهمي رغم أن بعض العلماء يعتقدون أن أصولها تعود إلى خط (حضارة) اندوس (Indus)

**التغير في اللغة المنطوقة والمكتوبة:**

وقع التغير في نطق التاميلية وفي كتابتها في ثلاثة مراحل زمنية كما هي مذكورة أدناه:

**التاميلية القديمة (من 300 ق.م إلى 700م):**

إن النقوش القصيرة التي يفترض أن تتعلق بالقرن الثاني وما بعده والتي كتبت بالنص البراهمي والتي تم العثور عليها في الكهوف هي أقرب السجلات القائمة في دعم التاميلية القديمة. والحروف الساكنة وهيكل المقطع اللفظي ومختلف الأشكال النحوية هي بعض من الملامح الكثيرة من البروتو الدرافيدية التي حافظت عليها

التاميلية القديمة. وكما هو الحال في البروتو الدرافيدية، كان هناك زمنان فقط في التاميلية القديمة فهما "الماضي" و"غير الماضي". وكانت الأفعال التاميلية القديمة أيضا تتميز بصرف الأفعال السلبية. ويمكن أن تتخذ الأسماء لواحق ضميرية ذات علاقة بالضمير للتعبير عن الأفكار مثل الأفعال.

**التاميلية الوسطى (من 700م إلى 1200م)**

تطورت التاميلية القديمة إلى التاميلية الوسطى بحلول القرن الثامن وأنها تميزت بعدد من التغييرات الصوتية والنحوية. وكان الجانب الأكثر أهمية ظهور المضارع أو الزمن الحالي. ورأت التاميلية الوسطى أيضا زيادة كبيرة في إدخال الكلمات السنسكريتية إلى التاميلية. ومنذ فترة حكم مملكة بالافا (Pallavas) فصاعدا، نزل عدد من الكلمات المستعارة من اللغة السنسكريتية في التاميلية. وكذلك أثرت السنسكريتية أيضا على قواعد اللغة التاميلية. وتغير الخط التاميلي أيضا خلال الفترة التاميلية الوسطى. وكان الخط البراهمي و(الذي تطور فيما بعد إلى)الخط المدور كانا يستعملان في كتابة النقوش التاميلية القديمة. ومنذ القرن الثامن وما بعده جاء خط جديد مستمد من خط البالافا غرانتا الذي كان يستعمل لكتابة السنسكريتية إلى حيز الوجود وحل محل الخط المدور.

**التاميلية الحديثة (من 1600م إلى الحاضر):**

إن التاميلية العامية المنطوقة تظهر عددا من التغييرات من اللغة الوسطى. وتعرض التاميلية الحديثة المنطوقة أيضا عددا من التغييرات الصوتية إلا أن التاميلية الأدبية الحديثة لم تواجه أي تحول وأنها اتبعت القواعد والمعايير التي وضعها كتاب نانول (Nannool) النحوي. كما كان لاتصال الناس باللغات الأوروبية أثر على التاميلية المكتوبة والمنطوقة. وفي أوائل القرن العشرين اندلعت حركة جديدة متركزة على استئصال السنسكريتية والعناصر الأجنبية الأخرى من التاميلية الحديثة بدعم من بعض الأحزاب السياسية والقوميين ونجحت نجاحا كبيرا في مهمتها. ويمكن النظر إلى قدر كبير من التغيير النحوي والبنائي بين التاميلية

القديمة والوسطى والحديثة ولكن جوهر النظام النحوي لم يتغير طوال هذه المراحل. أن الشكل القديم للغة أو لغة عصر سانغا هو أساس الأدب الكلاسيكي. والأسلوب الرسمي المسمى سينتاميل (التاميلية الفصيحة) يشكل أساسا للأدب الحديث وشكل العامية. وفي العصر الحديث غالبا ما يستخدم سينتاميل في الكتب والأعمال الأدبية والخطابات والمناظرات.

**تطور الأدب التاميلي**

إن اللغة التاميلية كما قيل سابقا تتمتع بتاريخ غير منقطع من الإنتاج الأدبي منذ خمسة وعشرين قرنا مما أصبحت لغة مثقفة ذات مستودع ثري من الآداب الأصلية. ويمكن وضع تطور الأدب التاميلي في ثلاثة مراحل فهي الأدب القديم والأدب المتوسط والأدب الحديث.

**الأدب القديم أي عصر سانغام:**

يمتد انتاج الأدب التاميلي القديم من 600 ق.م إلى 200 م. وتم الاحتفاظ بأول نموذج الأدب المكتوب في التاميلية منذ تلك الفترة وتسمى أولى مجموعة الآداب المنتوجة في الفترة الواقعة بين القرن السادس قبل الميلاد والقرن الثاني الميلادي بـ "أدب سانغام"[1] بصورة متجمعة. وسانغام هي أكاديمية مقرها كان مادوراي وهي مدينة في وسط ولاية تاميل نادو. وفي هذه الدائرة كان النتاج الشعري يخضع لمراقبة قاسية. واعترافها بأي نتاج أدبي كان يعتبر أعظم شرف لمنتجه وكاتبه. ومن الآداب التاميلية القديمة المعترف بها من قبل دائرة سانغام بقيت حوالي 30 ألف مقطع تتجمع فيما يقرب من 2400 شعر قرضه نحو 400 شاعر بمن فيهم 25 شاعرة. وجمعها، فيما بعد، الأدباء التاميليون في ثمانية أجزاء مختارة مسمى بـ " يُد تّحَيْ" (ثماني مجموعات). وعداها ثمة عشر قصائد طويلة (أقصرها من 782 بيتا) عنوانها المشترك "باتوبادو" (عشرة ألحان). إن منتوجات أدب سانغام التاميلي كانت كلها علمانية في طبيعتها ومضمونها على عكس الوضع في الآداب الهندية الأخرى لاسيما النصوص الفيدية التي ركز معظمها على السلوك الديني وأما

المؤلفات التاميلية في عهد سانغام فهي كانت تدور حول موضوعات مختلفة من الأبطال والبطلات وكانت أيضا تروي وتقدم معلومات قيمة للغاية على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للشعب التاميلي العائش منذ القدم.

ومن النصوص الأخرى في مجموعة سانغام، سلسلة من 18 كتابا يسمى بـ (بدنَن كِيلْ كَنَكُّ) وبينها كتاب"التروكورال" الشهير أي "الكورال المقدس" (البيت المقدس) وأن التيروكورال (تِرُكُّ ـرَلْ)أو البيت/ الأبيات المقدسة التي كتبها تيروفالوفار(تِرُوَلُّوَرْ)، واحدة من أبرز الأطروحات الأدبية والأخلاقية في الآداب الهندية وأحد الأعمال الأكثر توقيرا في اللغة التاميلية. كذلك، تعد واحدة من المساهمات الأكثر روعة التي أهدتها القريحة الإبداعية التاميلية إلى ثروة العالم الثقافية والتي يجب أن يألفها العالم كاملا وأن تصير موضع إعجاب وحب من الجميع كما هو الأمر مع قصائد هوميروس ومسرحيات شكسبير ولوحات رامبرانت وكاتدرائيات فرنسا والمنحوتات اليونانية والأهرامات المصرية: فهي إحدى تلك التجليات الفريدة للقلب والروح الإنسانية التي تلح على أن يسلك الإنسان والعالم وفقا للمبادئ النبيلة للفضيلة والعفة والحب والتسامح والشرف والسلام[2]. إنه من العسير أن نجد بالأدب العالمي مثل هذه المجموعة من المبادئ الأساسية بهذه الدرجة من الحكمة السامية،[3] . وهذا هو الأمر الذي حدا بالمهاتما غاندي، الأب الروحي للهند المستقلة، أن يقول ذات مرة: "تمنيت أن أتعلم لغة التاميل كي أتمكن فحسب من دراسة التروكورال (تِرُكُّـرَلْ) التي كتبها فالوفار(وَلُّوَرْ) في لغتها الأصلية التي كتبت بها: فما من أحد وهب كنوز الحكمة مثل فالوفار(وَلُّوَرْ)".[4] ونجد أن مشاهير الفلاسفة من أمثال بوذا وكونفشيوس وسقراط وارسطو وأفلاطون تناولوا في كتاباتهم جوانب مختارة من القيم والخبرات الإنسانية بشكل عام، إلا أن تريوفالوفار قدم الخبرة البشرية على اتساعها بطريقة مكثفة، وبالرغم من ذلك فإن كثيرا من المثقفين في العالم العربي لم يسبق لهم وأن سمعوا بتيروكورال (تِرُكُّـرَلْ) أو تيروفالوفار(تِرُوَلُّوَرْ).

يعتبر العصر الواقع ما بين بداية القرن الثالث إلى نهاية القرن السادس (201م . 600م) الفترة الانتقالية حيث جاء الكلبرائيون (Kalabhras) إلى المنظر السياسي التاميلي وكانوا يحكمون هذا الإقليم لثلاثة قرون على الأقل قبل أن تغلب عليهم ملوك من ثلاثة مماليك "باندیا" و"سيرا" و"شولا" في القرن السابع. وفي هذا العهد نرى بداية تأليف الملاحم الخمس التي أصبحت الى الآن ألمع الجوهرة في الأدب التاميلي والتي رأت اكتمال تأليفها في العصر المتوسط. وسنذكر عنها في الفقرة التالية.

كانت هناك معركة حادة منذ القرن السابع الميلادي إلى القرن العاشر بين طائفتي الشيفيين والجينيين في جانب وبين الشيفيين والبوذيين في جانب آخر[5]. وبذل نايمار وهم القديسون في الشيفية جهودا عظيمة لنشر وإقامة دينهم في جميع أنحاء ولاية تاميلنادو. ونالوا نجاحا إلى حد كبير في محاولاتهم التبشيرية. واشتبكت الشيفية والفايشنافية مع الجينية والبوذية ونتيجة لتلك الاشتباكات فقدت الجينية والبوذية نفوذهما على أرض تاميل نادو. وكان أتباع هذه الأديان يستخدمون آدابهم الدينية في نشر اعتقاداتهم ومذاهبهم بين الناس التاميليين. وهكذا ظهر كتاب "سيواكا سينتاماني" (Sivakasinthamani) كتابا رائعا للجينيين وكما بدأ ظهور كتاب "كامبا رامايانام" هو العمل الشهير للوايشناويين. والكتاب المسمى "تيروفاشاكام"(Thiruvasakam) هو العمل الأكثر شهرة في الأغاني التعبدية الشيفية. وبالإضافة، هناك عديد من الأعمال الأدبية التي تمثل مختلف المجموعات الدينية.

**الأدب في العصور الوسطى:**

كانت العصور الوسطى فترة مملكة تشولا الإمبراطورية (Dynasty Chola) إذ كانت جنوب الهند كلها تحت سيطرتهم. وهي ما بين القرن العاشر إلى السابع عشر(1000 . 1600م) وكانت سلطة تشولا في ذروتها في القرون الثلاثة الواقعة ما بين القرن الحادي عشر والثالث عشر. وكانت حياة الشعب في الأمن والسلام

والازدهار مع قلة الغارات الأجنبية نسبيا كما قدم طقس السلام داخل البلاد فرصة التفاعل مع الثقافات الخارجية لأن ملوك تشولا كانوا يحكمون معظم جنوب الهند وسيري لانكا وكانوا يتصلون مع الممالك في جنوب شرق آسيا. وفي هذه الفترة قام ملوك تشولا ببناء عديد من المعابد لمعبودهم المفضل الشيفا. وكانوا يحتفلون بربهم الشيفا بالتراتيل المتعددة التي جمعوها فيما بعد بشكل منهجي في كتابهم المسمى "تيروموراييس" في 11 مجلدا. وكتابهم الآخر الذي نال شهرة مماثلة هو "بيريابورانام (Periapuranam) الذي ألفه شيكيلار. وتم جمع الكتب الفيشنافية في اللغة السنسكريتية في هذه الفترة. والعالم الكبير في طائفة الفايشنافية هو رامانوجام. وفي هذه الفترة اكتمل تأليف الملحمة التاميلية العظيمة "كامباراماياانام" (Kambaramayanam) الذي ألفه كامبار على منوال ملحمة رامايانا السنسكريتية للكاتب المشهور فالميكي(Valmiki). والشاعرة الشهيرة آوايار كانت معاصرة للشاعر كامبار فهي نالت سعادة عظيمة في تأليف الأشعار للأطفال والصغار وكتبها آتي تشودي ِ)Athisudi) وكورتراي فيندان (Kotraivendhan) ومودوراي (Moodurai) ونالوالي (Nalvali) هذه كلها لا تزال تدرس في المدارس العصرية حتى في أيامنا هذه لأن هذه الكتب كلها حكم أساسية وقيم إنسانية تهدى الأولاد إلى حياتهم الدنيوية الجميلة.

في هذه الفترة تم تأليف الملاحم الخمس التاميلية المشهورة فهي سيلابااديكارام (Silappathikaram) ومانيميكالاي (Manimekalai) وولاياابادي (Valayapathi) وكوندالاكيسي (Kundalakesi) وسيواكا سينداماني (Sivakasindhamani). وهذه الملاحم الخمس التي كتبت على مدى عشرة قرون تكون في مثابة الأدلة التاريخية لحياة التاميليين الاجتماعية والدينية والثقافية والأكاديمية. وصدرت في هذه الفترة عدة كتب في مجال قواعد النحو والصرف التاميلية منها كتاب يابيرونكالام (Yapperungalam) وكتاب فيراسوليوم (Virasoliyam) وكتاب "نانول" (Nannul) وواساناندي مالاي ( Vasanandhi

Malai) وغيرها من الكتب القيمة التي عالجت معظمها فنون العروض والشعر وتصحيح القراءة والكتابة فيها. وكتبت في هذه الفترة أيضا أعمال السيرة الذاتية والسياسية مثل "كالينغاتو باراني (Kalingathupparani) عن حروب الملوك التاميليين ونجاحهم.

**الأدب في العصر الحديث:**

الأدب التاميلي الإسلامي: شهد العصر الحديث تأثير الإسلام والمسيحية على الأدب التاميلي. والشاعر عمر (Umaruppulavar) الذي عاش ما بين 1605م إلى 1703م يعتبر اقدم الشعراء المسلمين في اللغة التاميلية، الذين يبلغ عددهم مئات. وهو قد ألف ملحمة شعرية حول حياة النبي صلى الله عليه وسلم. وتحتوي هذه الملحمة التي تسمى "سيرا برانام (Sira Puranam) على 5027 قصيدة في ثلاثة أجزاء في أسلوب رائع ومدلول عميق. وهناك شاعر مسيحي إيطالي باسم كونستانزيو بسكي (1680 ـ 1747م) الذي كتب عن حياة المسيح عليه السلام تحت اسم مستعار وهو "فيراما مونيفار" (Veerama Munivar) وكتابه يسمى "تيمبافاني" (Thembavani).

من بين الشعراء المسلمين المشهورين بعد الشاعر عمر المذكور آنفا كان محمد إبراهيم الذي ألف ملحمة صغيرة حول حياة الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني رحمه الله. والشاعر الصوفي مستان صاحب (اسمه الأصلي سلطان عبد القادر لباي) قد ألف مؤلفا صوفيا ممتازا يسمى "مستان صاحب بادلكال" في 1011 قصيدة تعبدية. والشاعر التاميلي الآخر الشهير هو الشيخ بير محمد أبا المدفون بقرية تاكالاي. ويقال انه معاصر الشيخ صدقة الله أبا مما يعني أنه لا بد أن يكون مولودا في القرن السابع عشر. وكتابه التاميلي المشهور هو "غانبوكالتشي" (Ganappukalchi) وغان راتينا كوراوانجي (Ganarathinakkuravanji).

الأدب الإسلامي يشير إلى مختلف الأعمال الأدبية الاسلامية التي ألفها الشعراء والأدباء المسلمون التاميليون. وكانت معظم كتبهم ترجمة وتفسيرا للقرآن

الكريم والحديث النبوي والفقه الإسلامي والفلسفة الإسلامية أو كانت شرحا لمختلف الأفكار والمفاهيم والمبادئ المتعلقة بدينهم الحنيف. وكتب بعضهم أعمالا أدبية خالصة مثل الروايات والقصص القصيرة والمقالات حيث نرى تقاليدهم وعاداتهم وطقوسهم الإسلامية في أسلوب جلي رائع. ومن الكتاب المحدثين يجدر ذكر المشهورين مثل كويكو عبد الرحمن و مو ميتا والسيد انقلاب وك.م. شريف ومانواي مصطفى وغيرهم.

**الشعر الحديث:**

شهدت ولاية تاميل نادو خلال قرني الثامن عشر والتاسع عشر بعض التغييرات الأكثر عمقا في المشهد السياسي. وقد حل المستعمرون الأوروبيون والمتعاطفون معهم محل العشائر الحاكمة التاميلية التقليدية مما أدى إلى إصابة صدمة ثقافية عميقة بالمجتمع التاميلي نتيجة لفرض التأثيرات الثقافية الغربية. وحاولت المؤسسات الدينية الهندوسية لوقف تيار التغيير والحفاظ على القيم الثقافية التاميلية. ومن أبرز هذه المؤسسات أديرة الشيفية الكائنة في كل من مناطق تيروفادوتوراي ودارما بورام و تيروبانانتاي وكوندراكودي. وكان العالم التاميلي الكبير ميناكشي سوندارام بيلاي (1815 ـ 1876) يقوم بالتعليم والتدريس في إحدى هذه الأديرة ويقال إنه قد كتب أكثر من ثمانين كتابا تتكون من مائتي ألف قصيدة تاميلية. وهو الذي أرسل سواميناداا آير تشجيعا إياه في البحث عن الكتب التاميلية المفقودة منذ القرون الماضية الطويلة. وكتب العالم الكبير الثاني راماليغا أديغال {المشهور باسم "ولالار" (1823–1874)} مجموعة من القصائد التعبدية المسمى "تيرو واروتبا" التي تعتبر غاية في جمال الأسلوب وبساطة المعنى. ثم جاء العالم التاميلي الآخر مارايمالاي أديغال (1876–1950) الذي دعا للتاميلية النقية وأراد تنقيتها من التأثيرات السنسكريتية. وفي هذه الفترة جاء أحد أكبر الشعراء التاميليين سوبرامانى بهاراتي { (1882 ـ 1921) Subramani Bharathi }الذي اشتهرت أعماله الأدبية بالأفكار التقدمية مثل الحرية والنسوية. وأدخل بهاراتي أسلوبا جديدا

في كتابة الشعر التاميلي والذي كسر القواعد التقليدية التي نصت عليها ملحمة تولكابيام. وقدم أسلوبه للشعراء المعاصرين حرية التعبير عن أنفسهم. وقد كتب بهاراتي أعمالا أخرى مثل القصص القصيرة والروايات والتعليقات والافتتاحيات والمقالات. وأخذ أتباعه من أمثال بهاراتي داسان (Barathidasan) الشعر وسيلة لإصلاح قومهم. وإذ كان بهاراتي مشغولا بنضال الحرية والمصالح الأخرى الوطنية، كان بهاراتي داسان يعتني بتطوير اللغة والثقافة التاميلية. ويرجع إلى العالم الفاضل سواميناذا آير (Swaminatha Iyer) فضل إعادة إحياء تراث الأدب التاميلي من عصر سانغام لأنه سافر إلى جميع أنحاء ولاية تاميل نادو وجمع وفك رموز الكتب القديمة ونشرها واحدا بعد آخر. وهكذا استطاع أن ينشر 90 كتابا من التراث التاميلي القديم مثل "سيلاباديكارام" و" كورنتوكاي". وأخيرا كتب سيرة ذاتية عن حياة نفسه أيضا. وهذا الكتاب يسمى " ين ساريتيرام" (حياتي).

هناك سلسلة كبيرة من الشعراء المحدثين الذين ساهموا مساهمة عظيمة في الأدب التاميلي. من بينهم يجدر ذكر الأسماء مثل كاناداسان (Kannadasan) ووايراموتو (Vairamuthu)، كلاهما مشهوران لكتابة آلاف من أغاني الأفلام التاميلية وسورادا (Suratha) وتاميل الاحان (Tamilalahan) وآروناتشالام (Arunachalam) موديارasan (Mudiyarasan). وهؤلاء قد كتبوا ما لا يحصى من الأعمال الشعرية الحديثة حول شتى المواضيع المعاصرة التي تجذب قلوب القراء. وإلى جانب آخر نجد عددا كبيرا من القصائد المختارة والمنشورة في القرن الحادي والعشرين. ويجرى نشر العديد من القصائد في المجلات الأسبوعية والشهرية التاميلية في كل آن وحين. ويهتم شعراء هذا العصر بالشعر الحر ويرون أن الحقل الأدبي التاميلي يحتاج إلى تجارب جديدة وتطورات جديدة ويعتقدون أن محاولاتهم قد تساهم في الميدان الأدبي التاميلي إلى حد بعيد.

**الرواية:**

الرواية كنوع من الأدب وصلت في التاميل في الربع الثالث من القرن التاسع عشر بعد أكثر من قرن من كونها شعبية عامة عند كتاب الإنجليزية. وربما كان ظهورها بسبب تزايد عدد السكان التاميليين في التعليم الغربي وتعرضهم للروايات الإنجليزية المشهورة. كما أدى نفوذ الفرنسيين على نهضة الأدب العربي الحديث كذلك كان أثر الإنجليزيين سببا رئيسيا في بروز الأدب التاميلي الحديث. ويعتبر مايورام فيدانا ياكام بيلاي (Mayuram Vedanayakam Pillai) أول من كتب الرواية التاميلية[6] وكانت روايته الأولى "برادابا موداليار ساريترام" التي صدرت في عام 1879. وكانت هذه الرواية عن قصة حب مختلطة بمجموعة متنوعة من الخرافات والحكايات الشعبية وحتى القصص اليونانية والرومانية وكان هدفها الرئيسي ترفيه القراء. وظهرت بعدها رواية ثانية مسمى "كامالامبال ساريترام" بقلم بي.آر.راجام في عام 1893م ورواية ثالثة باسم "بادماوادي ساريترام" بقلم أيه. ماداوايا في 1898م. وصوّرت هتان الروايتان حياة البراهمة في أرياف ولاية تاميل نادو في القرن التاسع عشر وقدمت للقراء عاداتهم وخصلاتهم وطقوسهم ومعتقداتهم. ثم جاء السيد دي. جاياكانتان الذي أصبح واضع الاتجاه الحقيقي في روايات العصر الحديث التاميلية. وهذا الأديب لم يخصب التقاليد الأدبية التاميلية خصبا عاليا فحسب ولكنه أيضا ساهم مساهمة بارزة في تشكيل الأدب الهندي. وأن أدبه يقدم فهما عميقا حساسا للطبيعة البشرية المعقدة ويشير إشارة أصيلة حية للواقع الهندي. ورايته الشهيرة المسمى "سيلا نيرانكاليل سيلا مانيداركال" (بعض الرجال في بعض الأحيان) واحد ملحوظ منها.

وكان الكاتب المشهور كالكي كريشنامورتي (Kalki Karishnamurthi) يكتب في الأربعينات والخمسينات روايات تاريخية واجتماعية. وكذا كان الكاتب تشانديليان (Chandilyan) يكتب في الخمسينات والستينات عددا من الروايات

الرومانسية التاريخية التي تدور قصصها في طرق التجارة الكائنة في القرون الوسطى مع البلدان مثل ماليزيا وإندونيسيا واليوروبا. منذ تسعينات القرن العشرين قد ظهر كتاب جدد في عصر ما بعد الحداثة كالشخصيات الرئيسية من أمثال جايموحان (Jaymohan) وراما كريشنان (Rama Krishnan) وتشارو نيفديتا (Charu Nividita) وغيرهم. وتشمل أعمالهم التي تعرضت للانتقادات اللاذعة بعض الروايات مثل "فيشنوبورام" (مدينة "فيش.. ") لجايموحان و"يالو تالاي ناكارام" (مدينة سبعة رئوس) لراما كريشنان، و "زيرو ديغري" (صفر الدرجة) لتشارو نيفديتا و"بالي" (الثأر) لكونانغي، و"راتا أورافو" (علاقة دموية) ليوما فاسوكي وغيرها من الروايات التي تمتزج الالتوائيات الكلاسيكية مع الأصوات العاطفية التجريبية.

نالت الروايات الخيالية التي تركز على الجرائم والمباحث والتحقيقات البوليسية شعبية عظيمة في الأدب التاميلي منذ ثلاثينات القرن العشرين. وكان من بين الكتاب المشهورين في السنوات التي سبقت الاستقلال كورومبور كوبوسامي وفادفور دورايسامي آيانغار. وفي الخمسينات والستينات كان الكاتب المشهور تاميل فانان (Tamil Vanan) يأخذ القراء إلى مواقع أجنبية مختلفة في حين استعماله في رواياته التاميلية النقية مع عدد قليل من الكلمات المستعارة من الهندية والانجليزية. وقد جاء ما لا يحصى من الكتاب الروائيين منذ الثمانينات إلى زمننا هذا ومن بين رواد الروايات التاميلية الحديثة يشمل الكتاب من أمثال سوبا (Subha) وباتوكوتاي براباكار (Pattukottai Prabhakaran) وراجيش كومار(Rajesh Kumar). وهؤلاء كتبوا روايات وافرة يبلغ عددها مئات. وهناك كاتب شعبي آخر يسمى انديرا سوندار راجان (Indira Sundar Rajan) الذي يكتب روايات ذات خيالات تخرق الطبيعة وتقوم على الأساطير الهندوسية[7].

تعتبر السيدة أرونا ناندیني روائية مشهورة في الأدب التاميلي الحديث وتدور الحكايات في رواياتها حول المحبة الرومانسية والواقعية بمزج من الفكاهات حتى يتمتع بها القراء في أوقاتهم الفراغية. ومنذ أن انخفضت مبيعات الروايات الخيالية

التاميلية من أوائل القرن الحادي والعشرين قد تحول العديد من الكتاب إلى سوق المسلسلات التلفزيونية لاكتساب ربحا أكثر لأن هذه السوق أصبحت سوقا مزدهرة للغاية.[8]

**القصص القصيرة:**

لا يزال جدال يجري بين الكتاب التاميليين حول من هو رائد القصة القصيرة في التاميل. وهناك من يرى أن القصة الصغيرة بدأت على يد الشاعر سوبرامانيا بهاراتي الذي كان يكتب قصته المسمى "تولاسي بهاي" (Thulasibhai) التي كانت تصدر في حلقات وجيزة في مجلة "تشاكراوارتي في عام 1905م وهي التي تعتبر أولى قصة قصيرة في التاميلية[9]. وبما أن هذه القصة تحتوي على بعض السطور الشعرية و في أسلوب المسرحية كان الناس يترددون في قبولها أولى قصة في التاميل. و كتب بهاراتي قصة ثانية وأصدرها في عام 1910 باسم "آريل أورو بانغو" (السدس) هي كانت قصة سليمة وجميلة. وفيما بعد كتب سواميناتا آيار قصة تسمى "كولاتانغاراي آراسامارام" (Kulathangarai Arasamaram) وكانت هذه القصة تدرس في المدارس كأولى قصة حديثة في التاميلية. ولكن هذه القصة ترجمة لقصة من قصص طاغور.

إن التقدم العلمي وظهور المطبع منذ أوائل القرن العشرين في تاميل نادو لم يكن لهما أثر في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية فحسب بل كان لهما تأثير عظيم على المجال الأدبي التاميلي أيضا. ومنذ النصف الثاني من القرن العشرين احتل شكل القصة القصيرة مكانا مهما في الأدب التاميلي. وفي هذا الزمن المعاصر نرى أن كثيرا من الشباب يأخذون هذا النوع من الإبداعية باستخدام التقنيات المختلفة ويكتبون قصصا جديدة مع ظلال من الواقعية السحرية[10]. ومن الكتاب الذين يشتغلون بكتابة هذا النوع من القصص القصيرة يجب ذكر الرجال من أمثال بودوماي بيتان (Puthumai Pithan) وتشيلابا (Chellapa) ورامايا

(Ramaya) وهناك كثير من الصحف والمجلات التاميلية الأسبوعية والشهرية التي تساعد هؤلاء الكتاب بنشر قصصهم مما أدى إلى ظهور الإبداعية والابتكارية في كتابة القصص. وتطورت كتابة القصة الصغيرة إلى محاولة بعض المترجمين إلى ترجمة أحسن القصص في التاميلية إلى اللغات الهندية الأخرى وأيضا إلى اللغات الأجنبية مثل الإنجليزية والفرنسية والروسية والعربية وغيرها.

رغم كثرة الأدباء التاميليين الذين نالوا من خلال انجازاتهم الإبداعية شعرا ورواية وقصة ما نالوا من الشهرة والاعتراف في المجتمع داخل الولاية وخارجها إلا أن مستواهم لا يعتبر مساويا للمستوى العالمي بحيث يستطيع أن ينال أحد من أولئك الأدباء جائزة دولية في مجال الأدب. وما عدا طاغور الذي نال جائزة نوبل للأدب في 1911م لم يحصل أحد آخر من الهنود المحليين بمن فيهم التاميليون مثل هذه الجوائز. والجائزة الادبية الكبرى من الحكومة الهندية هي جائزة ساهتيا أكادمي التي أسست في 1954م. ومنذ إنشائها قد نال أكثر من 50 أديبا تاميليا جائزتها مما يدل على اعتراف الحكومة بالإنجازات التاميلية في الأدب. ويرجى من الحكومة المركزية والولايتية إقامة مزيد من الجوازات الأدبية سعيا وراء تشجيع الأدباء المبدعين المنجزين إلى أن يزيدوا في منتوجاتهم الأدبية.

فيما مضى من الصفحات قد رأينا تاريخا وجيزا للغة التاميلية ومختلف المنتجات الأدبية فيها. وفي الاختتام يمكن القول بأن التاميليين يمرون بلا شك بفترة من النهضة الجديدة في طريق التعبير عما عندهم من الأفكار الرائعة والخيالات البديعة الممتازة. وتتوقع أنه قبل مضي فترة طويلة من الوقت سيستطيع هؤلاء الكتاب التاميليون أن يصلوا إلى المستوى العالمي في قمة التعبير وملء الإنتاج. وسينتجون مؤلفات علمية وأدبية في الفكر الحديث بالروح التاميلية العبقرية. ويرجى من الشعب التاميلي أن يعترف بمحاولات هؤلاء الكتاب الجدد في عالم الأدب وأن يساعدهم في تحديث آفاقهم الأدبية والثقافية لكي تستمر مساهماتهم الأدبية مقبولة ومحمودة لدى بقية الناس في العالم.

**الحواشي:**

[1] تاميل سانغام اسم يشار إلى الأكاديمية الأدبية التي أقيمت في مدينة مادوراي حيث تجمع رجال العلم والمعرفة وناقشوا كل الأعمال الأدبية الواردة من الكتاب والأدباء في ولاية تاميل نادو قبل الميلاد بأكثر من خمسة قرون.

[2] The Tamil Contribution to World Civilization - Czech Professor Dr. Kamil Zvelebil in Tamil Culture - Vol. V, No. 4. October, 1956 "...

[3] Dr. Albert Schweitzer , "Indian Thought and its Development" Reviewed Edition – Beacon Press, New York -1957

[4] The incomparable Thirukkural by Culture Editor Tamil Guardian dated 20 February 2008

[5] Pillai Vaiyapuri, S. History of Tamil Language and Literature. Madras, 1956

[6] The Tamil Contribution to World Civilization - Czech Professor Dr. Kamil Zvelebil in Tamil Culture - Vol. V, No. 4. October, 1956 "...

[7] Chakravarthy, Pritham (2008). The Blaft Anthology of Tamil Pulp Fiction. Chennai, India: Blaft Publications. p. 46

[8] Samanth Subramaniam (2008)." Meet Rajesh kumar, Author of 1500 novels" First Published in Live Mint – an online journal on Mon, Sep 08 2008

[9] Tracing long history of Tamil Short Story, an article in Hindu newspaper dated April 27, 2011

[10] The Story of Tamil Short Story by Thilakavathi, Indian Literature, Vol 49, (2) Sakithya Academy, 2005 page 195 -209

# أمير خسرو بن سيف الدين الدهلوي واللغة العربية

**أ. د. محمد نعمان خان***

ولد الشيخ الإمام الفاضل يمين الدولة[1] خسرو بن سيف الدين محمود البخاري الدهلوي سنة إحدى وخمسين وستمائة في پتيالي[2] ونشأ في دهلي عاصمة الهند، ونال مكانة عالية في عهد السلطان غياث الدين بلبن وبالإضافة إلى مكانته المرموقة لدى الحكومة. بالغ في تحصيل العلم حتى تفرد بالشعر والموسيقى والبلاغة وغيرها من العلوم، ومع تأدية واجباته تجاه الحكم واشتغاله بالعلم توجه إلى الزهد والتصوف فبايع الشيخ الإمام المجاهد نظام الدين الأولياء، ونال حظاً موفورا لديه وأصبح من أحب مريديه ولم يقصر مع انشغاله في خدمة الملوك والأمراء فنال منهم الجوائز والصلات.

وقال صاحب نزهة الخواطر[3]: "أشهر مشاهير الشعراء في الهند، لم يكن له نظير في العلم والمعرفة والشعر والموسيقى وفنون أخر قبله ولابعده. ومن مخترعاته في الموسيقى أغان كثيرة منها "القول" و"ترانه" و"خيال" و"نقش" و"نگار" و"بسيط"و"تلانه" و"سوهله" وله تصرفات عجيبة في الأغاني القديمة لا يحتملها هذا المختصر".

وأما مصنفاته فهي كثيرة تكاد كلها بالفارسية، منها إعجاز خسروي في البدائع ومحسنات الكلام، ومنها أفضل الفوائد[4] في ملفوظات شيخه نظام الدين، وله خمسة دواوين بالفارسية:

---

* جامعة دلهي، دلهي.

تحفة الصغر

وسط الحياة

غرة الكمال

بقية نقية

نهاية الكمال

وكذلك له خمس مزدوجات عارض بها خمسة الشيخ نظامي الگنجوي: الأولى مطلع الأنوار والثانية شيرين خسرو والثالثة ليلى مجنون والرابعة آئينة إسكندري والخامسة هشت بهشت. ومن مصنفاته قران السعدين في لقاء كيقباد وأبيه بغراخان. ومنها تاج الفتوح مزدوجة في غزوات السلطان جلال الدين الخلجي، ومنها خزائن الفتوح مزدوجة في فتوح السلطان علاء الدين محمد شاه الخلجي، ومنها "نه سپهر" صنفها باسم السلطان قطب الدين مبارك شاه الخلجي، ومنها ديول راني وخضر خان وهي مزدوجة غرامية في أخبار خضر خان بن علاء الدين الخلجي وعشيقته ديول راني، ومنها تغلق نامه في غزوات غياث الدين تغلق.

وكان ممن تفرد في علم الأدب والشعر، واشتهر أمره في حياته حتى بلغ صيته إلى أقصى إيران، وسارت بمصنفاته الركبان، فلما أراد السلطان محمد بن غياث الدين استقدام الشيخ مصلح الدين سعدي الشيرازي إلى الهند اعتذر لكبر سنه وأوصاه بالأمير خسرو.

قال القاضي ضياء الدين البرني في تاريخه: إنه كان ملك ملوك الشعراء من السلف إلى الخلف، لم يكن له نظير في اختراع المعاني وكشف الرموز الغريبة وكثرة المصنفات، فإن كان بعض الشعراء متفردين في فن أو فنين فإنه كان متفرداً في جميع الفنون الشعرية، قال: ومع ذلك الفضل والكمال كان صوفياً مستقيم الحال، صرف أكثر عمره في الصيام والتعبد والتلاوة، وكان صاحب وجد وحالة ماهراً في علم الموسيقى عالماً وعملاً، انتهى مختصرا من نزهة الخواطر.

ومن شعره الرائع القصيدة التالية بالعربية قوله:

ذاب الفؤاد وسال من عيني الدم وحكى الدوامع كلّما أنا أكتمُ
أفنيت وعمري يا نهاية منيتي خان الزمان وللمنية[8] أسقم[9]
وإذا أبحت لدى الورى [كرب الهوى][5] تبكي الأحبة والأعادي ترحم
يا عاذل العشاق دعني باكيا إن السكون على المحب[10] محرم
من بات مثلي فهو يدري حالتي طول الليالي كيف بات متيم[11]
يا صاح لاتطعن علينا للهوى[6] هذا من الرحمن حكم محكم
لا تشربن مدام ود خرائد قد ذقته، (إن)[12] الصبابة علقم
ما جاء (صحبي)[7]، راحلوا من بيننا جاء البهار، وقد تبسم حَوجَم[13]

يعتبر الأمير خسرو من عبقريات الهند الذي لم تلد النساء بمثله إلا ما شاء الله فهو من أكبر كتاب وشعراء الفارسية وعرف لشعره وكتاباته بالفارسية وكان متمكنا من الأردية الهندية وكذلك من اللغة العربية، وكان جل اهتمامه بالفارسية فلذلك لم تنل أعماله بالأردية الهندية اهتماما لائقا حتى اختلط الأمر فأنكر بعض العلماء أنه قرض شعرا أو كتب شيئا بالأردوية أو الهندية ولكن المحققين وهم على حق يقولون إن كتاباته الشعرية أو النثرية بهاتين اللغتين ليس كلها له بل استمر الناس يضيفون إليها وينسبون إليه ما ليس له فلا يمكن أن يرفض كله ولا أن يقبل كله.

أما بالنسبة لكتاباته باللغة العربية فلا شك أن كلها له وهي منتشرة في بطون مؤلفاته الفارسية، وكلامه بالعربية قسّمها الدكتور أظهر على ستة أنواع[14]:

الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة تزين بها النثر الفارسي, ويستخدم هذه المقتبسات بطريقة بارعة. انظر كيف يستخدم الآيات في هذه الفقرة الفارسية:

"هركه شعر گويد، دروغ گويد ((وَإِنّهُ لَقَولُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، وَمَا هُوَ بِقَولِ شَاعِرٍ))، زهى طائفه ناموزوں كه كتاب صحيح اورا بشعر ابتر داغ می كردند، وچشم می داشتند كه آں نسخه لوحِ محفوظ نسخ شود ((يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيبَ

المَنُونِ))، بر غلط است، آں كه قرآن منظوم كه كتاب محمديست، شعر می خوانند زيراكه شعر سخنی را گويند كه در بحر گنجدو[هيچ] بحری، اين كلامِ مبين را محيط نتواند شد ((لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ اَنْ تَنْفَدَ كَلِماَتُ رَبِّیْ)).[15]"

يعني كلّ من يقول الشعر يكذب [لذلك لم يجعل الله القرآن شعرا، بل قال]: ((وَاِنّهُ لَقَولُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، وَمَا هُوَ بِقَولِ شَاعِرٍ))، ويعيب بعض الجماعات المنحرفة الكتاب السليم الصحيح بالشعر الأحط شأنا ويتمنون أن تنسخ نسخة اللوح المحفوظ [من القرآن الكريم، وقالوا فيه]: ((يَقُوْلُوْنَ: شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المَنُوْنِ))، ومن الغلط [الفاحش] أن يعتبر القرآن الذي هو كتاب [مُنَزَّلٌ على] مُحَمَّدٍ [صلّى الله عليه وسلّم] شعرا لأن الشعر كلام يكون في بحر معيّن، ولا يمكن لبحر أن يحيط هذا الكلام المبين ((لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ اَنْ تَنْفَدَ كَلِماَتُ رَبِّیْ)).

النوع الثاني من كلام الأمير خسرو يشتمل على جمل وفقرات منتشرة في الخطب والمقدمات الموجودة في كتبه وخاصة في كتابيه في النثر الفارسي، هما: خزائن الفتوح والإعجاز الخسروي. وفيما يلي خطبة الإعجاز الخسروي[16]:

"الْحَمدُ لله الَّذي خَلَقَ القَلَمَ لِلرَّقْمِ وخَلَقَ النَّسَمَ لِرَقمِ القَلَمِ، وأجْرَى قَلَمَهُ عَلَى الْخَلْقِ بِالْحُكمِ والْحِكَمِ وجَعَلَ القَلَمَ عَلَمًا لِلعِلمِ في العالَمِ، كَما قالَ عَزَّ وعَلا: ((عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْاِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)) والصَّلاةُ عَلَى الرَّسُولِ الْمُرسَلِ الأُمِّيِّ الَّذي أنزَلَ عَلَيهِ الكِتابَ وبُرِأَ بِهِ اللَّوحُ والقَلَمُ بِما[17] صَدَرَ مِنهُما الصِّدقُ والصَّوابُ، وعَلَى آلِهِ وأصْحابِهِ ذَوي الفَضلِ والآدابِ، ثَبَّتَنا اللهُ عَلَى اتِّباعِهِم لِلنَّجاةِ يَومَ الْحِساب".

وقبل هذه الخطبة بيتان بالعربية وبيت بالفارسية، والبيتان العربيان، هما:

هَذَا الكِتابُ بِفَضلِ اللهِ ذي الكَرَمِ  أنشَأْتُ سِحرًا لِصَيدِ الْجِنِّ والنَّسَمِ
فالله نَوَّرَ أعْيانَ الكِرامِ بِـه  ما لاحَ حَرفٌ عَلَى القِرطاسِ مِن قَلَمِ

وكذلك بدأ كتابه "خزائن الفتوح" بعد ذكر بيت وعنوان فارسيين بالخطبة التالية ويليها بيت بالعربية[18]:

"الحمد للفتّاح الّذي فَتَحَ خَزائِنَ الفُتوْحِ عَلَى دِينِ مُحَمَّدٍ وأعَزَّ جَمِيعَ أنْصارِهِ بِنَصرٍ مُؤَيَّدٍ، عَزَّ شَأْنُهُ وعَلا سُلطَانُهُ. والصَّلاةُ عَلَى نَبِيِّ السَّيفِ [كذا] الَّذي شُقَّ بِإشارَتِه قَلبُ القَمَرِ والصَّدرُ، ووَضَّحَ مِن بُرْهانِهِ القاطِعِ: ((وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ)). والتَّحِيَّةُ والسَّلامُ عَلَى آلِه وأصْحابِهِ الكِرامِ الْمُنَبِّهِينَ النِّيامَ بِاللِّسانِ والحُسامِ. بيت:

لا زالَ وُدُّهُم يُلازِمُ قَلبَنا كَالفَتحِ لازَمَ قَلبَ سُلطانِ الدُّنَى

والنوع الثالث يتضمن شعره بمعاني الكلمات التي ذكرها لمختلف حروف التهجئة يقول فيه[19]:

أدغَمتُ الْمَعانيَ في الْمعاني كما أُدغِمَت حُرُوفٌ في حُرُوفِ

ثم يقول في هذا الصدد:

وَلَدَت طَبِيعَتِي القابِلَةُ مِن أُمَّهاتِ الحُرُوفِ قَلِيلًا مِن مَعانٍ تَكثُرُ [أوْلادُها] كَثرَةَ أوْلادِ [اللُّؤْلُؤِ]، فَتَوَلَّدَ مِنْها طَرِيقَةٌ عَذراءُ ذَكَرُ كُلِّ فَحلٍ إن بَطَنَ القِرطاسِ أتَت بِها حامِلاً أطْفالاً بَالِغَةَ الكَمالِ وهَذا أُنْموذَجٌ لِتَعلِيمِ أخْلافٍ سَعِيدَةٍ، زادَهَا اللهُ:

مَن زادَ مَعنًى عَلَى ما فاضَ مِن خَلَدي يَفدِيهِ رُوحي وبِنتُ العَينِ والكَبِدِ

ثُمَّ يَذكُرُ مَعانِي حُرُوفِ الهِجاءِ حَرفًا حَرفًا ويُقرِضُ الشِّعرَ فيها، فيقول:

تَفصِيلُ الحُرُوفِ وتَشرِيحُ ما يَصدُرُ مِنْها، مِن دُرَرِ اللَّطائِفِ: الألِفُ: السَّخِيُّ والفَردُ في الفَضائِلِ:

تَرَى ألِفاً عَلَى أعْلَى أرائِك دَوامًا في الفَضائِلِ والعَطايا

وهكَذا يَتَناوَلُ كلامَهُ في جَمِيعِ حُرُوفِ الهِجاءِ. و يذكر أحيانا بيتا كاملا وأحيانا بمصراع واحد. ويَعُدُّ أيْضاً اللّامَ والألِفَ (لا) من هذِهِ الحُرُوفِ:

اللّامُ مَعَ الألِفِ بِالتَّركِيبِ: لا، اللّا: شِراكُ النَّعلَينِ، شعرٌ:

جاءَ نَعْلانِ إلَيْنا مِنكُمُ لَم نَجِد بَينَهُما إلّا لا

ثُمَّ يَذكُرُ الحُرُوفَ الْمُرَكَّبَةَ، فَيَقُولُ:

تَركِيبُ الحُرُوفِ وما يَجرِي مِن تَرتِيبِها:

لك منزل يا باء تحت التاء تب حاء باء، منهما حُبٌّ بَدا
فَالحاءُ مِن باءٍ تُبِينُ بِقَطعِ حُبٍّ نَرَى في الحَجِّ حاءاً فَوقَ الجِيمِ

والنوع الرابع هو الرسائل التي كتبها بالعبارات المسجعة والمقفاة حسب ما كان سائدا في زمنه.

والنوع الخامس هو تزيين نثره وشعره بالآيات القرآنية بطريقة بارعة فيقول خسرو عن طريقته هذه: "لفظ عرب عاريتى است كه در پارسى برائي زيب وزينت در مى آيد بارى زيور باشد" يعني يأتي الكلام العربي في الكلام الفارسي للتزيين والتجميل وبعد تزينه بالعربية يصبح مجوهرا.

والنوع السادس والأخير هو شعره الخالص ويمكن تقسيمه كما وضح الدكتور ظهور أحمد أظهر إلى قسمين الأول قصائده الكاملة وصلتنا، منها قصيدتان الأولى منهما في مدح الملك علاء الدين سلطان دهلي وثانيهما قصيدة جميلة ذكرها في مقدمة تأليفه "غرة الكمال" الفارسي. والنوع الثاني من شعره والمصاريع والأبيات المتفرقة في كتبه بالفارسية مثل خزائن الفتوح والإعجاز الخسروي.

يقول الدكتور أظهر في هذا الصدد:

"يبلغ عدد مصاريعه وأبياته ما يفوق ست مئة بيت ولو جمعت هذه المصاريع والأبيات ودوّنت فيمكن إعداد ديوان عربي للأمير خسرو"[20]. وقد ذكر الدكتور وحيد مرزا في فهرس شعر خزائن الفتوح[21] ستة وثمانين بيتا بالعربية بالإضافة إلى أكثر من مئة مقتبس من الآيات القرآنية.

كان النثر فى أيام خسرو نثرا مسجعا مقفى فاختار طريقة زمنه المثلى وكتب في الأسلوب السائد بين الكتاب والأدباء في أيامه، فهذا نموذج من رسالته التي كتبها إلى شيخه جمال الدين البدايوني، أولها ديباجه أو مقدمة:

الديباجة: حررت هذه المكاتبة المرفوعة إلى سدة مولانا الإمام شهاب الملة ، لا زال نور عين الأعيان والأجلة وأعليت عبارتها إلى أعلى السماوات لكي تقبل بابه،

أمير خسرو بن سيف الدين الدهلوي

وأطلعت منها شهب الدقائق عدد النجوم، نثر خص جنابه ولقد أردت أن أرعى فيها نسب العلويات مناسبة لخطابه[22] لكن اسمه السامي أعلى مما يعلى بهذه المناسبات والمخاطبات فالتزمت فيها تناسب العلوم لأنها[23] أرفع الدرجات وأشرف المقامات فأخذت أذيال عواطف العلاة لترمى عنها من المعائب والزلات. بيت:

كالشَّمسِ تُسبِلُ ذَيلَ أنْوارٍ عَلَى قَمَرٍ تُلبِسُ نَقصَهُ بِكَمالِ

من هنا تبدأ الرسالة:

العنوان: يسفر هذا السفر المظلم بنور عين مولانا شهاب الحق والدين، لازال أعلى من شهب السماء بعلو علم اليقين، تحميد الحمد لمضيء الشهاب [و]الله منور الشهاب:

شهاب الحق منك يفيض علم كما فاض الحيا من سبح سحب

شهاب! أنت تحجب نور شمس كنور الشمس يحجب كل شهب

الله النور الذي جعل الشهب محرقة للشياطين ووفق لاحتراق شياطين الإنس والدين مولانا شهاب الملة الزهراء أزهر نجوم السماء أصبح شمس السعود طالعة على جبينه وأمسى ليلة القدر ساطعة في سواد يمينه، رفع بالشهاب علمه ونصب على فتح باب الألباب قلمه، طاعن الفرقدين بالعلو وثالث السمكين بالسمو يراعه سهم للسعادة لجرح الأشقياء وسهم للغيب معه في كتابة الإنشاء وهو عصا كليم بل عصا كليم وثعبان ملذوعه سليم ومبغوضه كليم ولو يبلع عصا كليم سحرا فهو يلد من يكلب السحر الحلال فمنه يجد لسع العدى كالحيات وهل رأيت أيما أيما يقطر من لسنته ماء الحياة ما غرق قصب في البحر قط وإذن قصب يغرق في البئر حين يخط فيطلع من ظلمة البئر عين العمر في التحرير فالحمد لله الذي خصه بعلوم حق بها أن يخاطب بنعمان الزمان لى أن أصوله في الفقه بدايته بمحو الضلال بالبرهان وذهنه نسخة صادقة من لوح محفوظ وبيانه في معاني التفسير كما هو من جبرئيل ملفوظ وعند المحدثين مشهور كالنيرين في مشارق الأنوار وقد انتشرت أنواره كضوء الشهاب في الأخبار ولفظه يوجب صحة كل العلل وفضله ينصب

علمه على التعظيم برفع المحل وفي النظر لا يقاس الدوران نظيره وشامل لكل ما هو لازم من العلوم ضميره هو فيلسوف الإسلام و"أبو علي في الأيام"[24]، [و]منطقه قوام أنواع الإنسان بأجناس الجواهر وكلامه أثبت الصانع بالعلم القطعي والبرهان الباهر بلغ إلى كمال ما يعرف الإنسان من الإلهي وبلع تلك البحار وعرقها كما هي وفي الرياضي برقه الحساب ويحسب ذرات الرمل على لوح التراب ولو أراد طبعه في الطبعي ثبت بالدليل القطعي في الأبعاد الثلاثة رابعا ويزيج على الجهات سابعا لما يشير بحاجبه أدرك الغرائب في الحال كإدراك العيد بإشارة الهلال وإذا يبحث بجدة البوس يتفجر منه لطائف الأفكار كانفجار العيون من الآبار. شعر:

تبارك الله بأن كان بري يجعل من قطرة ماء بحرا

أما بعد، فإن مرقوقك القديم خسرو بن لاچين يعرف بالنديم، وضع المقلة اليمنى على سدتك العليا، وسوّد التراب بمس السواد حتى يصير كحلا، فكحل بعين الوداد ثم أمضى على رأيك المنير مضي البدر المنير، إن الصانع تعالى صان عن الخطإ قلمه في إنشاء المصنوعات وتنزه عن الغلط رقمه في إبداع المنشآت، وهب لي بفضله العظيم أبيات هوى فيها الأهواء، إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء. وأمطر من يراعي بالندى حياء في أندائه تلاطم بحور الأشعار كما قد يتلاطم البحر بأقطار الأمطار ، غواصها ملأ بالنفائس سفائن وعابرها حصل من العبرة خزائن.

وبعد ما زينت آذان المستمعين الدار المنظومة ورتبت أجزاء المنشئين بتلك البدائع المرقومة هيجني القريحة[25] الفياضة (على)[26] نثر اللآلي المنشورة لأن أحلى منها للعرائس المستورة.

وقد كنت نظمت نثرا من قبيل الماء المعين أحيانا ولكن أرقت الآن لألأ دائما أحيانا وأبدعت ترسلا كسد به متاع البهاء وحسد عليه روح أبي العلاء، وتقتبس منه الفوائد ناثرا للغرر وتلتقط منه الفرائد ناشرا للدر، سواده كحل العين لأرباب البصيرة وبياضه عين النور لأعين القريرة، وحين حررت مملوك هذا بحكم القضاء، قال متعجبا في تحريره المشتري قاضي السماء، شعر:

من نادرات الدهر مملوكا أرى لما يقيد بالسلاسل حرر

رب ليال أحييتها ويَراعي فيها يهتز (كأنه)[27] جانّ، وكم أوقدت مصابيح النور في الدجى والمعنى غير معدود مع دود السراج في الطيران عطرت عيد اللطائف بالعنبر والعبير حتى تحلب مثلثة[28] بين القصب والحرير.

فيا من يثقب جوهر الدقائق بجدة الفكر، قد اقترحت منك نظرا إلى هذا البكر لأن تغسل خيلان المعائب من وجنتها بريقك المطيب فلا تتركها معيبة[29] مضحكة كجلوة المشيب وتنخل ذاك الكحل على الأوراق الرقيقة وتخرج الخشن من الدقيقة[30] حتى يليق بعين المبصرين ويسود وجه المقصرين، ولا بد أن يطلب مثلي من مثلك هذا الإشفاق، إذ ليس من يحيط بجمهور المعاني دونك[31] في الآفاق ويراعك قسام لقدم السماحة عصا لأهل الزلل فظل بين أبنية البراعة عمدة الخلل، شعر:

فاليوم أصلح ما كتبت بغافر ما في كتابك يوم حشر يصلح

وجب على شكر ما رتبت بكسرات موائد فوائدك وكم ذباب مثلي يحتظ من عوائد موائدك، شعر:

الله ضاعف ما أعطاك من نعم حتى يفيض بها في الجن والنسم

كتب في الثاني من الربيع الأول و تاريخ العام.

آخر الكتاب وأول الذيل: ع

أعني اثنين بعده سبع مئة

**تسليمات:**

سلام على الشهب المضيفة للنور في بيتك المعمور المحرقة للحساد دواما سلاما يحاكي بردا وسلاما شهب سماء الهوى سجدتك كالنجم إذا هوى سجد دراري باب الشهاب كشهب تسجد نجوم التراب.

الأدعية:

لشهاب العالم يقتبس المشتري من شهب ظهوره أحرق شياطين الإنس بنوره راحت في أنامله شهب الأقلام أسلم شياطين الجهل لإفاضة يتتبع طروقه شهب العلو، ثبت علوه بعلوم لا نهاية له. الإعجاز الخسروي 2/168–173).

أما شعره فله قصيدتان كاملتان في ديوانه "غرة الكمال"[32] فهو يستخدم كلمات وجمل عربية كثيرة بين الكلمات الفارسية خاصة من القرآن والحديث:

تا همه لبها بود آنجا به بند أو لمن الملك بر آرد بلند
از قلمت يافته حرف صواب جائزه إن علينا حساب
خطبه قدس است بملك قديم بسم الله الرحمن الرحيم
چه ملامت كنيد خسرو را فاتقوا الله يا أولي الألباب
توقيع تو كز صحيفه پاك آمد لولاك لما خلقت الأفلاك آمد[33]

ويصر خسرو على استخدام الكلمات الفارسية في أشعاره العربية:

فوق المربع بين الحوض جُنَبدٌ كنصف بيضة العنقاء على الجبل
ما جاء صحبي راحلوا من بيننا جاء البهار وقد تبسم جوجم[34]

وهو استعمل الكلمة الفارسية "جنبد" أي گنبد للقبة بالبيت الأول. وفي البيت الثاني استخدم الكلمة الفارسية مضيفا ألـ للتعريف بمعنى الربيع.

خصص السيد غلام علي البلكرامي "المقالة الثالثة" من كتابه "سبحة المرجان"[35] في نوع من مستخرجات الأمير خسرو الدهلوي وثمانية أنواع قديمات فقال:

أبو قلمون: وهو في اللغة ثوب رومي يتلون ألواناً، ومنه يقال للمتلون أبو قلمون، وفي الإصطلاح لفظة مشتركةبين اللسانين أو أكثر ، وهو يرجع إلى التورية والتورية المركبة منالألسنة المختلفة تحلو للمذاق، والأمير خسرو رحمه الله تعالى اخترع أنواعا من البديع، منها هذا النوع، وهو من ألطف الأنواع ولكن تسميته بأبي قلمون من مخترعاتي. ومنها ذو الوجهين، وهو أن يرتب المتكلم كلاماً يصح معناه بالعربية والفارسية بالتصحيف والتحريف، ومنها قلب اللسانين، وهو أن يرتب المتكلم كلاماً عربياً إذا قلب يكون كلاماً فارسياً أو كلاماً فارسياً إذا قلب يكون كلاماً عربياً.

والأمثلة التي أوردها الأمير لهذا النوعين في كتابه المسمى بالإعجاز الخسروي مشحونة بالتكلف تمجها المسامع الكريمة وتردها الطبائع السليمة"

وقد ذكر الدكتور أظهر بأنه توجد في غرة الكمال قصيدتان ميميتان كاملتان للأمير خسرو إحداهما في مدح سلطان دلهي السلطان علاء الدين مطلعها:

هذا مديح مقتدر من جنابه قد يحمل النضار على النوق فالجمال

وقال[36]: إن القصيدة تبدأ بالتشبيب والذكريات التي مر بها مع حبيبه [على طريقة شعراء العرب] ثم يبدأ بمدح السلطان. وموضوع القصيدة الثانية الحب وآثاره وآلامه وما إلى ذلك، والنصيحة بالابتعاد عن الحب وغير ذلك.

ويرى الدكتور أظهر[37] أن الشاعر الذي يستطيع أن يقرض حوالي ست مئة بيت بالعربية ويمكن له أن يوجد أنواعا من البلاغة وعلم البيان ليست معروفة لدى العرب يستحق كل الاستحقاق أن يعد من كبار شعراء العربية في شبه القارة الهندية الباكستانية. ومن الظلم الصريح أن لا يذكر [مثل هذا الشاعر وهو الأمير خسرو] في شعراء العربية بشبه القارة.

أشعاره بالعربية منتشرة في مؤلفاته الفارسية نثرا ونظما في شكل الرباعيات والمصاريع والأشطر. ومن عادة شعراء الفارسية القدماء أنهم يزينون عباراتهم بالشعر العربي ويكون الشعر عادة من نظمهم.

ولكن شعره متاثر تماما بالفارسية لا يمكن أن نقول أنه على مستوى شعراء العرب ونختتم كلامنا بما قاله الأستاذ الدكتور سيد رضوان علي الندوي[38]:

"ولنا بعد عرض هذه النماذج أن نقول أن شعره في العربية ليست في مستوى شعره الفارسي في الجودة والروعة، وقد اعترف هو بنفسه في مقدمة ديوانه الفارسي "غرة الكمال" ومع ذلك فهو يعتبر من قدامى الشعراء بالعربية في شبه القارة الهندية في عهود الدولة الإسلامية بها".

**الحواشي:**

[1] وحيد مرزا ص 27 (هامش).

[2]بتيالي (Patiali) حاليا بلدة في مديرية كاسگنج (Kasganj) في ولاية أترا براديش من الهند.

[3]نزهة الخواطر (الإعلام) 2/39–42.

[4]قال الشيخ أبو الحسن علي الندوي في هامش نزهة الخواطر: يشك كثير من المؤرخين في صحته ونسبته إلى المؤلف، وقد صرح الشيخ الإمام محمد بن يوسف الحسيني المدفون بگلبرگه –وهو خليفة الشيخ نصير الدين الدهلوي– أن كتاب "فوائد الفؤاد" للشيخ حسن بن علاء السجزي هو الكتاب الوحيد الذي يعول عليه في ملفوظات الشيخ نظام الدين الدهلوي، وأما ما عداه من [الكتب] التي ألفت في ملفوظاته فلا أساس لها (جوامع الكلم ص 134).

[5]في المخطوط: كرت اليهوى وفي المصدر االسابق ونزهة الخواطر: النوى مكان (الهوى).

[6]في أظهر (السابق): الهوى

[7]في المخطوط صحبتي مكان (صحبي) ورل حلو مكان (راحلوا).

[8]في المخطوط: حان الزمان وللسنيت ؟

[9]رواية البيت في أظهر (1975) ص 70:

أفنيت عمري وحانت منيتي خان الزمان وللمنية أسقم

[10]في المخطوط: المحبة مكان المحب

[11]في المصدر السابق: مبتيم

[12]من أظهر (السابق)، في المخطط (ارى) مكان (أن) ودَقته مكان (ذقته).

[13]في المخطوط وأظهر (ص 65 و70): جوجم وذكر الدكتور أظهر (ص 65) أن كلمة جوجم غير عربية ومعناه غصن الأزهار (the branch of flowers) ولم يشر إلى أي مصدر أو مرجع. ولم أجد هذه الكلمة في بعض القواميس الفارسية التي راجعتها بل وجدت في جمهرة اللغة (ص 1177): وحَوْجَم، وَقَالُوا الحَوْجَمة: الوردة الْحَمْرَاء، وَقَالُوا جَوْحَم أَيْضا، وَالْأول أَعلَى". تبسم الورد يعني جاء فصل الورود.

[14]أظهر (1975) ص 55–56.

[15]ديباجه غرة الكمال (خ) ورق 139أ

[16]اعجازِ خسروي 2/1.

[17]بما: يعني مع ما

[18]خزائن الفتوح ص 1.

[19]إعجاز خسروي 4/1–5.

[20]أظهر 58.

[21] ص 175–189.

[22]في الإعجاز: لخطايه

[23]في الإعجاز: لابها

[24] يعني "أنه ابن سينا وقتِه".

[25]في الأصل: قريحه

[26]في الأصل: (الى)

[27]في الأصل: (كأنها)

[28]أظهر: مثليه

[29]في الأصل معيته

[30]في أظهر 61: الرقيق

[31]في الأصل: دوتك

[32]أظهر 66

[33] أظهر ص 63–64.

[34] أظهر 66.

[35] 2/239–240.

[36]أظهر ص 67

[37]ص 71

[38]اللغة العربية وآدابها ص 174.

## المصادر والمراجع:

أظهر = The Arabic Poetry & Prose of Amir Khusrau by Dr. Zahur Ahmad Azhar, in: Amir Khusrau, Critical Studies, National Committee for 700th Anniversary of Amir Khusrau 1975, Lahore

إعجازِ خسروي (بالفارسية، أمير خسرو دهلوي، مطبع نولكشور

الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام يعني نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، الشيخ عبد الحي بن فخر الدين الحسني (ج1 و2) مكتبة دار عرفات رائيبريلي (الهند) 1412هـ/ 1991م.

خزائن الفتوح (بالفارسية)، حضرت أمير خسرو دهلوي، به تصحيح وتنقيد وتحشيه محمد وحيد ميرزا، كلكته 1953م.

سبحة المرجان في آثار هندوستان (مج 2)، السيد غلام علي البلكرامي تحقيق الدكتور محمد فضل الرحمن الندوي السيواني، معهد الدراسات الإسلامية، جامعة علي كره الإسلامية (ط1) 1980.

ديباجه غرة الكمال (بالفارسية)، أمير خسرو دهلوي، نسخة خطية

اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية الباكستانية عبر القرون، د. سيد رضوان علي (الندوي)، منشورات جامعة كراتشي 1416هـ/ 1995م.

وحيد = أمير خسرو دهلوي (باللغة الأردوية)، النسخة المطبوعة التي اطلعت عليها لا توجد فيها ورقة العنوان فكتب عليها العنوان المذكور بخط اليد.

# قضايا الشعر العربي في الهند

**أ. د. محمد أيوب تاج الدين الندوي***

الشعر العربي في الهند رافد من روافد الشعر في العالم العربي، وقد امتاز شعر العرب من شعر الآخرين في التعبير عن العواطف التي تجيش في القلوب فلا نجد فيه تكلفا ولا رياء وذلك لأن العرب أشعر الأمم فطرة وأبلغهم على الشعر قدرة لأنهم عاشوا في الصحراء وكانت معيشتهم ساذجة وقريحتهم صافية وحريتهم كاملة وما كانوا خاضعين لإرادة حاكم، واهتموا بشعرهم إلى حد أنهم إذا ولد في قبيلة لهم شاعر احتفلوا به واعتزوا به اعتزازا.

وللشعر العربي تاريخ طويل، يبدأ منذ العصر الجاهلي إلى عصرنا هذا، ولكل عهد للشعر العربي ميزة يمتاز بها ولكن الشعراء في العصر الجاهلي والعصرالعباسي الأول والعصر الحديث قرضوا شعرا فريدا غلب تأثيره على جميع العهود والأوطان.

وأما الشعر العربي في الهند فنجده لا يختلف جدا من شعر هذه العصور وخاصة الشعر الجاهلي، والسبب في ذلك هو أن معظم الشعراء الهنود في اللغة العربية كانوا متخرجين في المدارس العربية الإسلامية وكانوا درسوا في مناهجهم الدراسية دواوين وقصائد للشعراء العرب من العهد الجاهلي حتى العصر العباسي فقد درسوا المعلقات السبع وديوان الحماسة لأبي تمام والمفضليات وحفظوا شعرا كثيرا

* أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الملية الإسلامية، نيودلهي.
mail:ayubnadwi@gmail.com

لهؤلاء الشعراء فتأثروا بأسلوبهم وقرضوا شعرهم على منوالهم ، فإذا قرأنا شعر هؤلاء الشعراء الهنود وجدنا أنفسنا في جو جاهلي صرف أو بيئة أدبية شعرية من العهد العباسي. ويقول الدكتور عبد الكبير محسن في مقاله المعنون بـ"محاكاة شعراء العربية في شبه القارة الهندية: "...وشعر شبه القارة الهندية الذي قرضه شعراؤها باللغة العربية لم يخل من أثر الشعر العربي القديم، ويبدو ذلك واضحا في تقليد شعراء العربية في شبه القارة شعر العرب القدامي"[1].

وإذا درسنا الشعر العربي للهنود وجدنا أنه لا يساوي أبدا شعر الشعراء العرب في سهولته ورقته وحتى في فخامته وجزالته. ولم يكن قريض هؤلاء الشعراء الهنود إلا كما قال الشاعر حافظ إبراهيم:

سرت لوثة الأعجام فيها كما سرى لعاب الأفاعي في مسيل فرات
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة مشكلة الألوان، مختلفات

وفي هذا الصدد يقول مسعود عالم الندوي وهو صادق فيما قاله: "...فكل ما تعثر عليه من شعر هؤلاء ومنظوم كلامهم، لا تجد فيها شيئا منه يتعدى وزنا وتفعيلا وتقفية، ولا يقع نظرك على شيئ أسمى طبقة من البدائع والمحسنات اللفظية."[2]

ومما لا يختلف فيه اثنان أن الآداب العربية في شبه القارة الهندية بما فيها الشعر ما زالت خافضة الرؤوس، ناكسة الأعلام، وذلك لتهاون الحكومات الإسلامية في أمرها، وانصراف الهمم إلى اللغة الفارسية أولا وإلى اللغة الأردية آخراً.

وإذا قمنا بدراسة الشعر العربي وشعرائه في الهند دراسة تحليلية وجدنا أن كثيرا من شعراء الهند لم يكثروا في نظم الشعر العربي بالقياس العام لكثافة الإنتاج الشعري بالنسبة إلى متوسط أعمار الشعراء، وقياساً إلى عموم نشاطهم الثقافي والعلمي، ومن هنا خلا شعر الهند العربي من فحل ينضم إلى قافلة كبار الشعراء في اللغة العربية.

ورغم كل ما قلنا فقد أسهمت الهند في الشعر باللغة العربية إسهاما لا يستهان به، وقد استمر ذلك منذ أن وطئت أقدام العرب هذه البلاد واستوطنوا بها في أوائل القرن الثاني للهجري، فمنهم أبو عطاء السندي ومسعود بن سعد بن سليمان اللاهوري والآخرون ونجد لهم شعرا في أغراض مختلفة. ونقدم في التالي نموذجا من شعر أمير خسرو بن سيف الدين الدهلوي:

ذاب الفؤاد وسال من عيني الدم وحكى الدوامع كل ما أنا أكتم
وإذا أبحت لدى الورى كرب النوى تبكي الأحبة والأعادي ترحم
يا عاذل العشاق دعني باكيًا إن السكون على المحب محرم
من بات مثلي فهو يدري حالتي طول الليالي كيف بات متيم

إن أغراض الشعر العربي كثيرة، ولكن أشهرها خمسة، وقد أشار إليها أبو هلال العسكري حين قال: "ولما كانت أغراض الشعراء كثيرة، ومعانيهم متشعبة جمة، لا يبلغها الإحصاء، كان من الوجه أن نذكر ما هو أكثر استعمالاً، وأطول مدارسة له، وهو: المدح والهجاء والوصف والنسيب والمراثي والفخر"[3].

"وقال بعض العلماء: وبني الشعر على أربعة، وهي المدح والهجاء والنسيب والرثاء، وقالوا: قواعد الشعر أربعة الرغبة والرهبة والطرب والغضب، فمع الرغبة يكون المدح والشكر ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب الموجع."[4]

وقد تناول الشعراء الهنود باللغة العربية معظم هذه الأغراض، ونذكرها بالتفصيل لتكون صورة الشعر العربي في الهند أكثر وضوحا ولنشيد بذكر الشعراء الهنود الذين قرضوا الشعر باللغة العربية رغم عدم وجود بيئة عربية في هذه البلاد. وقد أنجبت شبه القارة الهندية ولا تزال تنجب الكثير من الشعراء الذين نظموا قريضهم باللغة العربية.

ومن هذه الأغراض الشعرية التي طرقها الشعراء الهنود غرض المديح. إن المدح غرض من أغراض الشعر في كل عهد من العهود، وتحول المدح إلى المديح بعدما بدأ الشعراء يمدحون الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، فالمديح النبوي قضية من قضايا الشعر قديمة وما حسان وكعب والأعشى والفرزدق إلا نماذج نخبة في العهد الأول لهذا النوع من الشعر، والمديح النبوي عبارة عن الشعر الذي لا يهتم إلا بمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتحدث الشاعر في هذا النوع من الشعر عن صفاته الخُلُقية والخَلقية، ويظهر شوقه لرؤيته وزيارته أو زيارة قبره في مسجده بمدينته، وكذلك الأماكن المقدسة التي ترتبط بحياته، ويذكر معجزاته المادية والمعنوية، ويشيد بغزاوته وبسيرته الطيبة الطاهرة. فلم يخل عصر من العصور ولا زمن من الأزمنة، ولا أمة من أمم الإسلام ولا شعب من شعوب المسلمين إلا وكان هناك شعراء كثيرون مدحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وإن المديح أكثر الأغراض الشعرية دوراناً في الشعر العربي في الهند، وفي هذا المجال نجد الشعراء الهنود قد أكثروا في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، حتى إنك لا تكاد تجد شاعرا إلا وله في ذلك أكثر من قصيدة..

وقد حظيت شخصية النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لدى الشعراء الهنود باهتمام بالغ, وعناية فائقة, منذ أن دخل الإسلام هذه البلاد واستمرت هذه العناية على مر العصور, في توهج عاطفي, وفيض وجداني وذلك يعكس مدى حب المسلمين الهنود للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم. فالشعراء الهنود الذين مدحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، عددهم كبير ولا حصر لهم، ولا أستطيع أن أعد حتى أسماءهم في هذا الوقت القليل، لقد أنتجت الهند شعراء في اللغة العربية منذ القرن الثامن للهجرة وكان أكبر إنتاجهم في المديح النبوي ففاضت قريحتهم غزيرا في هذا الغرض دون غيرها من الأغراض، والفضل يرجع في ذلك إلى اهتمام هؤلاء الشعراء بثقافتهم العالية بالعلوم الإسلامية وخاصة بعلوم الحديث النبوي، ومن المعروف أن الذين درسوا اللغة العربية في ذلك العهد كانوا علماء دين، وكان أكبر

همهم واهتمامهم الحديث النبوي وسيرة رسول الله، ونذكر – على سبيل المثال – قاضي عبد المقتدر الكندي، صاحب القصيدة اللامية، والشيخ أحمد بن محمد التهانيسري، صاحب القصيدة الدالية، والعلامة الشاه ولى الله الدهلوي صاحب ديوان في مدح سيد العرب والعجم، والعلامة غلام على آزاد البلكرامي الملقب بحسان الهند، والشيخ باقر مرتضى الشافعي المدراسي والشيخ فيض الحسن السهارنفوري، والعلامة فضل حق الخير آبادي والنواب صديق حسن خان القنوجي والعلامة أحمد رضا خان البريلوي والمحدث الكبير حبيب الرحمن العثماني والعلامة أنور شاه الكشميري والمحقق الكبير أبومحفوظ الكريم المعصومي وغيرهم الكثير الذين أسهموا بإنشاد شعرهم في المديح النبوي في الهند باللغة العربية.

فمن أولئك الشعراء صاحبنا العلامة عبد الحي الحسني(1869م–1923م) الذي ذاع صيته في العالم الإسلامي بفضل كتابه "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر" و"الثقافة الإسلامية في الهند" ونذكر – على سبيل المثال – بعض الأبيات من قصيدة له مدح فيها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم:

خير البرية رأسهم ورئيسهم ابن الكرام أخو الندى والسؤدد
رحب الذراع حليف مجد سابغ خدن الصلاح شقيق عز سرمد
نور الهدى، غوث الورى،غيث الندى غرض المنى متمسك المستنجد
كهف الأرامل عون قلب خائف مولى البرية ملجأ المسترفد
المصطفى المختار من تمت به نعم المليك الواحد المتوحد
أوفى البرية ذمة وأمانة بصداقة ووثاقة وتودد
ذاك المتوج بالأمانة والتقى ذانت كرامته مقام السودد[5]

ومنهم الشيخ حبيب الرحمن العثماني الذي كان يُعَدُّ من أكثر علماء دار العلوم بديوبند قدرةً على نظم الشعر باللغة العربية بأسلوب ممتاز بالسهولة والسلاسة والفصاحة والبراعة والروعة والأصالة اللغوية، وله ديوان مطبوع باسم «معين اللبيب

فى جمع قصائد الحبيب» وفيما يلي أبيات مختارة من القصيدة التي قالها في المديح النبوي.

ولي بعد هذا وصلة ووسـيلة بأكرم خلق الله أتقى وأورعا
نبي الهدى عم الورى بذل جوده شفيعا لأهل الأرض طرا مشعشعا
هو الرحمة المهداة للناس بعدما أظل العمى والخير عنهم تقشعا
وكانوا قلوبا ينظر الله فيهم بمقت وسخط تائهين تأمعا
فأرسله بالحق والصدق ناطقا بشيرا نذيرا داعيا ثم مصدعا
سراجا منيرا يبصر العمى نهجهم ويفتح للآذان سمعا تسمعا

ومنهم العلامة أنور شاه الكشميري (1875–1933م) الذي كان شاعرا كبيرا أنشد قصائد في اللغتين العربية والفارسية، وكانت له مهارة فائقة في قرض الشعر باللغة العربية ونقدم بعض الأبيات من قصيدة له في المديح النبوي على سبيل النموذج، وقد بدأ قصيدته بالتشبيب مثل شعراء العهد الجاهلي:

برق تألق موهنا بالوادي فاعتاد قلبي طائف الأنجاد
هب النسيم على الربى فتضاحكت بشرى العميد عرارها والجادي
لعبت صباها والشمال تارة لعب الغصون بعطفها المياد

ثم ينتقل إلى مدح الصحابة ومدح النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

لله در صحابة ألفيتهم ديم الندى للمجتدي والجادي
أنا في أمان من بوادي حيرة ولي اهتداء بالنبي الهادي
شمس الضحى بدرالدجى صدرالعلى علم الهدى هو قدوة للقادي

ومنهم الشيخ أبو سهيل أنور عبد الله بن عبد الرحمن الفضفري (المولود 1379هـ) من كيرالا وله عدد كبير من القصائد باللغة العربية في أغراض المدح

والتهنئة والرثاء وغيرها. ونقدم هنا أبياتا عديدة من القصيدة له في المديح النبوي وهي في بحر الطويل فيقول:

صحا القلب من ذكرى حبيب ومنزل وأنباء آكام وأرجاء محمل
تعال ! أقاسمك المحبة لحظة محبة من ينجيك من كل معضل
وتهدي إلى دار الخلود بلا امتراء أللمرء إلا تلك من خير موئل
فاقبل إلى ذكرى الحبيب محمد نبي الهدى، أسمى الورى، خير مرسل
رسول، رؤوف، رحمة الخلق، سيد سراج منير، شافع خير مأمل
وداع إلى الله، نذير، مبشر وصاحب حوض، والمقام المفضل
مناقبه لا منتهى لعدادها وهل قطرات الغيث تحصى بمكيل؟[6]

وهناك شاعر آخر من أرض كيرالا، وهو الشيخ محمد ضياء الدين الفيضي بن محمد حسن الكاديري الميلمري، ونقدم هنا نموذجا لشعره في المديح النبوي وهي قصيدة نال الشيخ الفيضي الجائزة الثانية في مسابقة جائزة السيد محمد علي شهاب الوطنية للإبداع الشعري المعقود في كيرالا عام 2012م فيقول:

قمر جلا بدجى الضلال يبيدها بشر علا قمم الكمال يفيدها
وغدا يؤرقني الربيع هلاله فبطيبة الخضرا ينام مليكها
عشق الفؤاد فبات يعشق وصله فسرى الخيال، ففي العيون دموعها
نزل الحبيب محمد برحابه فيه الهموم جلت، وزال ثقيلها
بشر على قدم مشى، وبروحه عرج العلى عجز الأنام بلوغها
بشر ولم تلد النساء بمثله قمر الهدى طلع القلوب يضيئها
وإذا العوالم أظلمت بضلالة بعث النبي محمد ليزيلها[7]

**الوصف:**

يعد الوصف من الأغراض الأصيلة في الشعر العربي، وقد طرق الشعراء الهنود أيضا هذا الميدان ونجد الشعراء يصفون المدارس الدينية والمعاهد الإسلامية،

ونجد أيضا بعضهم يصفون الرياض والأشجار والبحار والأنهار، وكل مظهر من مظاهر القبح والجمال أثار في نفوسهم إعجابا أو إنكارا. ونقدم هنا نموذجا من شعرالعلامة سيد سليمان الندوي الذي ذاع صيته في مهارته للغة العربية في أوساط الأدب العربي في الهند وقال في وصف الشمس عند مغيبها:

دنّ من القهوة الصهباء في الأفق والكأس تطفو به، لا الشمس في الشفق
بل إنه برقع قانٍ له شية والشمس وجه حبيب بالحجاب يقي
بل إنما الشمس للصواغ بوتقة قد ذاب عسجدها والشبح في الطرق
بل إنما الشمس من أعمارنا قتلت يوما فسال دم جار من العنق
فذلك الشفق المحمر من دمه وفبره ليله المستور بالغسق[8]

**الرثاء**

والرثاء من الأغراض الأصيلة في الأدب العربي وهو أكثر اتصالا بالمشاعر الإنسانية بشكل عام لذا نجده يزدهر عند الشعراء الهنود أيضا، فلقد رثى الشعراء العلماء والزعماء والأقربين ومنهم صاحبنا العلامة غلام علي آزاد البلكرامي الذي أسهم إسهاما لا بأس به في أغراض كثيرة وله دواوين سبعة تثبت قوته البلاغية باللغة العربية والذي حاول أن ينقل إلى اللغة العربية أغراضا هندية خالصة وكان يعتقد أنه يبتكر في هذا المجال ولكن الأدباء العرب لم يأبهوا بشعره كما كان يدعي ويتوقع إذ أنه كان يتكلف جدا ولم يصدر شعره طبعا وبسليقة عربية في معظم أغراضه، ولكننا نجده في غرض الرثاء يقرض قرضا بليغا وفي هذا الغرض رقة كما هو المطلوب ونقدم فيما يلي نموذجا لرثائه قصيدته التي قالها بعد وفاة جده السيد عبد الجليل البلكرامي فيقول:

أيا صواحب أكباد مقطعة فذلكن الذي لمتنني فيه
إذا رنا فمهاة البيد تشبهه أو ماس فالبانة الخضراء تحكيه
غزالة تصرع الآساد قاطبة إلا الذي سيد السادات يحميه

كهف الأنام إمام الكون أكرمه عون الذي حادث الأيام يرميه
السيد المقتدي عبد الجليل له مجد أثيل من الآباء يحويه
جدي ملاذي وأستاذي ومستندي رب الورى بصنوف الخير يجزيه[9]

وهناك شاعر آخر معروف وهو العلامة أنور شاه الكشميري الذي قرض شعرا كثيراً في اللغة العربية ونقدم هنا نموذجا من قصيدة له في رثاء أستاذه الشيخ محمود حسن الديوبندي (1851–1920م)، وهذه القصيدة على المنوال الجاهلي ونجده يبدأ بالبكاء على الأطلال وهو أسلوب مطرد للشعراء الهنود قاطبة، فيقول الشاعر أنور شاه الكشميري:

قفا نبك من ذكرى مزار فندمعا مصيفا ومشتى ثم مرأى ومسمعا
يجاوبني دار وجار على البكى ولم أر إلا باكيا ثم موضعا
نهضت لأرثي علما ثم عالما حديثا وفقها ثم ما شئت أجمعا
ومولى الورى محمودهم وحميدهم ومسندهم فيما روى ثم أسمعا

وأما شعر الغزل فلا يفوق حسان الهند غلام علي آزاد البلغرامي شاعر هندي آخر بل ربما نستطيع أن نقول إنه لا يوجد في الهند شاعر أنشد في الغزل شعرا يستهان به، وكل ما نجده في هذا الغرض هو شعر غلام علي آزاد البلغرامي فقط، فله كتاب معروف باسم "مرآة الجمال" وفيه مئة بيت وخمسة أبيات وهو يشمل وصف أعضاء المعشوقة من الرأس إلى القدم، وكذلك نجد مسحة الغزل والنسيب في كتابه "مظهر البركات" وفي الفصلين الثالث والرابع من كتابه "سبحة المرجان" ونذكر هنا على سبيل المثال بعض الأبيات:

صور الفرع حية سودا حية عند رقيها صما
نقش العين نرجسا نضرا نرجسا في دلاله سكرا
هدبها المستطيل نشاب في فؤاد المحب نقاب

فمها الجمر في تبسمها مقلة الدر في تجسمها
خدها أبيض الطباشير خالها أسود الزنابير
أنفها قطعة من العاج مبصر للعين داجي[10]

ويقول الدكتور مسعود أنور العلوي: "إن آزاد وصف النساء بشرح وبسط متأثرًا بالشعر الفارسي، وإنه قد استعمل أسماء ليلى وسلمى وعذراء وزينب وسعاد وغيرها في شعره وهو تقليد لشعراء العرب"[11].

وأما الهجاء فهو من الأغراض التي قل شأنها في هذه الديار، حيث ترفع عنها الشعراء الهنود، إلا ما ندر، ومنه هجاء أعداء الإسلام كهجاء القاديانية وننقل هنا ما قاله العلامة أنور شاه الكشميري:

ألا يا عباد الله قوموا وقوّموا خطوبا ألمت ما لهن يدان
يسب الرسول من أولي العزم فيكم تكاد السماء والأرض تنفطران
وحارب قوم ربهم ونبيهم فقوموا لنصر الله إذ هو دان
وقد عيل صبري في انتهاك حدوده فهل ثم داع أو مجيب آذان[12]

**الحنين إلى الوطن:**

أما غرض الحنين إلى الوطن فلا نجد في هذا إلا شعر عبد الرحمن الكاشغري وبما أن الشاعر عبد الرحمن الكاشغري تركي المنبت، ... ونشأ في بلاد لا تزال مستمسكة بمبادئ الإسلام، ومعتزة بمآثره، ومفتخرة بأمجاد صالحين، ومتطلعة إلى استرداد العز الغابر والمجد التالد فنجده يقول في ذكر وطنه:

إلى منبت الأتراك غر السلاهب إلى معقل الأبطال حمر القواضب
إلى مصرع الفادين للدين والعلا وللمكرمات الباقيات الرغائب
إلى جنة الدنيا مصيفا ومربعا ومجتمعا الأكرمين الأطائب
إلى (كشغر) أرقى البلاد ثقافة ولوكان في أقطارها ألف راسب[13]

وحاصل الكلام أن الهند لم تتخلف أبدا من شقيقاتها من البلدان الأخرى في هذا الشعر العربي وبيد أننا نجد أن أسلوب هؤلاء الشعراء هو أسلوب الشعر القديم بما فيه الشعر الجاهلي، والسبب في ذلك هو تأثرهم بالقصائد المعروفة في هذا الغرض أمثال قصائد المعلقات وحماسة أبي تمام وقصيدة البردة وشعر البوصيري وربما لأجل هذا ما استطاع الشعر العربي في الهند أن ينال قبولا واسعا في البلدان العربية لأن العرب وجدوه مجرد نقل الأفكار الماضية وتكرار الموضوعات العربية السالفة واستخدام الأساليب القديمة.

---

**المراجع والمصادر**

[1]– مجلة آفاق الثقافة والتراث ص55 السنة 7 العدد 25–26 سنة 1420هـ ، تصدرها جمعية جمعة ماجد للثقافة والتراث.

[2] – مقدمة الزهرات (ديوان شعر للكاشغري) ص10–11 ، مكتبة "الضياء" لكناؤ، سنة الطباعة 1354هـ كما وجدنا في المقدمة.

[3] – كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ص 87 ، المكتبة العنصرية، بيروت، سنة الطباعة 1419،

[4]– العمدة لابن رشيق ج 1 ص 100 الطبعة الخامسة، سنة الطباعة 1401هـ الموافق 1981م دار الجيل، بيروت.

[5]- ريحانة الشعر والشعراء د. نثار أحمد الأعظمي ص 200 الطبعة الأولى سنة 2010م لكهنو

[6]– مجلة النور من كيرالا، العدد السابع، يونيو 2012م ص48

[7]– مجلة النور من كيرالا، العدد السابع، يونيو 2012م ص 51

[8]– مقدمة الزهرات (ديوان شعر للكاشغري) ص14– 15

[9]- نزهة الخواطر ج 6 ص 773 دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد، دكن ،الهند ،الطبعة الأولى، السنة 1999م

[10]– رسالة الدكتوراه حول غلام علي آزاد البلغرامي للباحث محمد عبد السميع عبد العزيز ص 342 قدمت في جامعة الدكتور بابا صاحب أمبيدكار، مراتهواره، أورنك آباد، مها راشترا مايو 2012م

[11] – عربي ادب مين اودھ كا حصه، ص:165. كتب خانه أنوريه، لكهنؤ 1990م

[12]– – رسالة الدكتوراه حول الشيخ أنور شاه الكشميري للباحث سيد عبد الرحمن الجيلاني ص 192 قدمت في جامعة دلهي عام 2009م

[13]– مقدمة الزهرات (ديوان شعر للكاشغري) ص40–41 ،، مكتبة "الضياء" لكناؤ، سنة الطباعة 1354ھ كما وجدنا في المقدمة.

# التجارة العربية ودورها في توارد الألفاظ الأردية والسواحلية

**أ. د. أحمد محمد أحمد***

**تقديم :**

يقع على ساحل المحيط الهندي عدد كبير من المدائن المتجاورة التي لا يفصل بينها سوى ذلك الفاصل المائي، ولو ضربت الجسور والطرق من فوقه لصارت وشعوبها نسيجاً واحداً. ومن الطبيعي أن تمتاز مثل هذه المدائن الساحلية بالنشاط التجاري، حيث ينشط تبادل السلع والمنتجات بين رواد ذلك الساحل. وكان للتجار العرب دور فاعل وبارز في ذلك النشاط التجاري الذي ازدهر معه تبادل الثقافات والأفكار وحتى الديانات والمعتقدات، فكان التاجر العربي سفيراً لقومه رسولاً لدينه داعياً لربه.

ولقد أدى موقع الخليج العربي المتوسط بين آسيا وإفريقيا دوراً رئيساً في أن يكون محط أنظار الجميع وقبلتهم من أجل التزود بالماء والطعام والتمتع ببعض الراحة والاستقرار. ولقد ظلت التجارة همزة الوصل والجسر الذي يربط بين شطري المحيط الهندي بجانبيه الأسيوي والإفريقي، والذي عبرت خلاله الكثير من المفردات والتراكيب العربية وغير العربية، والتي أنتجت اللغتين الأردية والسواحلية،حيث لا تنتمي أية منهما إلى عنصر بشري بعينه أو أصل لغوي بذاته، وإنما نشأتا . كما يظهر من اسميهما – وفقاً للمكان، حيث نشأت الأردية – ذات المسمى التركي –

* أستاذ كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، القاهرة.

في شبه القارة الهندية في ظل المعسكر الإسلامي، بينما نشأت اللغة السواحلية على سواحل شرق إفريقيا.

وفي السطور القليلة الآتية نعرض . من خلال المنهج التاريخي – نقطتين نتحدث في الأولى عن: أثر التبادل التجاري في شرق إفريقيا وشبه القارة الهندية على نشأة اللغتين الأردية والسواحلية، ونتناول في النقطة الثانية تزاوج اللغتين في كثير من المفردات اللغوية، ثم نخلص إلى أهم النتائج مع ثبت بأهم المصادر والمراجع.

وجدير بالذكر أن أوضح أن هذه المفردات اللغوية المشتركة ربما يكون معظمها مشترك بين الأردية والفارسية أيضا، ولكن هذه المفردات وغيرها من المفردات التي استقتها اللغة الأردية من اللغات الأخرى قد أصبحت جزءً لا يتجزأ من معجم اللغة الأردية ومعظم لغات شبه القارة الهندية، كما أن الورقة لم تتطرق إلى الألفاظ العربية والإنجليزية المشتركة بين اللغتين. أتمنى أن تكون هذه النبذة المختصرة بداية للباحثين في مجال الدراسات الهندية والإفريقية.

## (1) القوافل التجارية العربية ودورها في نشأة اللغتين الأردية والسواحلية

كانت القوافل التجارية منذ القدم تدورعبر المحيط الهندي خلال منفذين رئيسين، هما: الخليج العربي والبحر الأحمر، ولقد حمل الخليج العربي لواء الريادة، ونال قصب السبق في ذلك المضمار نظراً لبعض الظروف الجغرافية والبشرية التي جعلت طريق البحر الأحمر يأتي في مرحلة تالية لنظيره. هذا ولقد كانت السواحل العمانية – بصفة خاصة – صاحبة الدور الفاعل والمؤثر في طرق التجارة عبر الخليج العربي[1]، حيث لم يكتف التجار العمانيون – والعرب بصفة عامة – بالسواحل الإفريقية فحسب، وإنما وصلت قوافل التجارة العربية إلى حدود الهند والصين، وأصبحت طرق التجارة العربية مساراً للملاحة والسفر مما جعل "بشار المقدسي"

يصف الموانئ العربية عامة والعمانية خاصة بأنها " دهليز الصين وخزانة الشرق". وهذا هو ما نقله عنه ياقوت الحموي في معجم البلدان[2].

وتؤكد الشواهد التاريخية على قدم العلاقات التجارية التي نشأت منذ قرون عديدة بين الجانب العماني ومدائن الساحل الإفريقي المختلفة، وقد أدت هذه العلاقات دوراً فاعلاً في توثيق التاريخ العماني قديمه وحديثه، بل وتشكيله في بعض حقبه التاريخية، حيث خالط التجار العرب، ليس فقط سكان السواحل الإفريقية، وإنما خالطوا كذلك سكان الهند والصين.

وعلى الرغم من عدم معرفتنا الدقيقة بتاريخ دخول الإسلام إلى بلاد شرق إفريقيا وشبه القارة الهندية، إلا أنه من الثابت أن التجار العرب المسلمين كان لهم دور فاعل ومؤثر في نقل مبادئ ذلك الدين الحنيف وتعاليمه وأصوله إلى سكان هذه البلاد خلال تعاملاتهم التجارية، ليس ذلك فحسب، وإنما نقل التجار العرب كثيراً من المفردات والتراكيب العربية، والتي صارت على ألسنة أهل هذه المدائن، وبمرور الوقت وبعد دخول الإسلام إلى هذه المناطق تكون الكثير من الجاليات الإسلامية، واستوطنت الكجرات وكلكتا في شمال الهند، وبعض المدائن الساحلية الإفريقية مثل زنجبار ومباسا ومقديشيو.

كان لانتقال مثل هذه المفردات والتراكيب اللغوية العربية أثره البالغ في ميلاد اللغتين الأردية والسواحلية اللتين تحويان ألفاظا عربية تقارب ربع مفرداتهما تقريباً. ومن الجدير بالذكر أن قدوم التجار العرب ونقلهم تعاليم دينهم وسنة نبيهم خلال مناقبهم العظيمة وخلالهم الكريمة لم يكن ليخلو من المصاعب والعقبات التي طالما أرقت حياتهم وأقضت مضاجعهم، ولاسيما وسط مجتمع وثني يعبد الأوثان ويسجد للأصنام. وعلى الرغم من ذلك كله إلا أنهم ثبتوا وصمدوا وتحملوا من الصعاب ما تنأى بحمله الجبال في سبيل رفع راية الإسلام لتزين سماء الهند وإفريقيا. وكذلك الحال مع تركيا وإيران وماليزيا وإندونيسيا، حيث انتشر الإسلام تحت لواء التجار العرب المسلمين، وفي ظلال لسانهم العربي المبين.

يتضح مما سبق أن الشرق الإفريقي . لقربه من جزيرة العرب – كان أول مكان استقبل وفود التجار المسلمين، حيث وفد المسلمون الأول أرض الحبشة نزولاً على أمر نبيهم . صلى الله عليه وسلم –، وتوالت الهجرات والبعثات الإسلامية إلى أرض إفريقيا، وكذا مدن الساحل الشرقي لشبه القارة الهندية عام 65 هـ فراراً من ظلم الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق[3]وجوره، ليس ذلك فحسب، وإنما كانت هناك أيضاً بعض الهجرات الجماعية للهنود المسلمين، وكذا الوفود الشيرازية إلى جانب الوفود والهجرات المتفرقة والفردية. وهكذا وضعت هذه الوفود اللبنات الأولى في صرح مجتمع إسلامي متكامل اكتملت أركانه وتمت أجزاؤه بعد ذلك، وتمكنوا من تكوين حضارة إسلامية بملامح وقسمات وعبق تلك البلاد، فصار الجميع نسيجاً واحداً يصعب فصل أجزائه[4].

ولقد أظلت الحضارة الإسلامية سماء تلك البلاد لسنوات عديدة حتى بسط الأوربيون عباءتهم على مدن شبه القارة الهندية، وكذا الساحل الإفريقي، وتمكنوا من ترسيخ دعائم سلطانهم من خلال شركة الهند الشرقية التي أنشأها الإنجليز عام 1600م في مدينة كلكتا بقصد فرض هيمنتهم، وبسط نفوذهم على ثروات الهند وخيراتها، حتى انتهى بهم الأمر إلى احتلال الهند لما يقرب من مائة عام. وعلى الرغم من كل هذه السنوات إلا أن المستعمر الأوربي عامة والإنجليزي خاصة لم يدرك أهمية التفاعل والاختلاط مع أصحاب هذه البلاد– المستعمرات – إلا في وقت لاحق، فبدأ التواصل معهم من خلال لغتهم وثقافتهم. ومن هنا صارت اللغتان الأردية والسواحلية موضع اهتمام المستعمر، فراح يعلمهما ويدرسهما لأفراد جالياته. ومن هنا تزاوجت لغة الحاكم وثقافته بلغة المحكوم وثقافته.

وما يعنينا في هذا الأمر أن الإنجليز فتحوا الطريق أمام الثقافة الغربية في البلاد المستعمرة، وانتشرت اللغة الإنجليزية أيضاً، وأصبح تعلم الإنجليزية لاحقاً يمثل أساس التعليم، وحدث التأثير والتأثر بين لغة الفاتح والمفتوح مما يبرز آلية تفاعل أي لغتين.

## اللغة الأردية

مازال الغموض يخيم على نشأة اللغة الأردية، وذلك بسبب ندرة النماذج اللغوية القديمة، والتي يمكن من خلالها التعرف على تاريخها وخصائصها، حتى النماذج التي وقف عليها علماؤها وباحثوها حتى الآن لم تف بذلك الغرض. ولقد اختلف المؤرخون كثيراً حول تاريخ نشأتها؛ لأن اللغة لا تقتصر فقط على مجرد مفردات وكلمات يمكن أن تصول وتجول من لغة إلى أخرى كالسلعة في الأسواق، وإنما تستمد اللغة كيانها ووجودها من خلال بنيتها الصرفية والنحوية والدلالية. ومن هنا نقول إن الأردية لغة هندية خالصة نبتت في أرض الهند وارتوت بألسنة أهلها ونمت وترعرعت بينهم، هذا إلى جانب دور التجار العرب المسلمين في إثرائها وتشكيلها، فهذا أمر لا يمكن إغفاله أو إنكاره، كذلك نشيد هنا بدور الحكام والملوك المسلمين واهتمامهم الواضح باللغة الأردية الذي جعل لها مكاناً ومكانة لم تكن لتتحقق دون هذا الاهتمام. وعلى الرغم من ذلك كله لا يستطيع أحد أن يدّعي أن الأردية لغة المسلمين فقط دون غيرهم، وإنما هي أشبه بالمظلة التي يستظل بها الجميع.

أما عن احتواء الأردية على بعض المفردات العربية وغير العربية فإن ذلك يعود إلى العلاقات التجارية القديمة التي ربطت بين الجانبين، إذ يشهد التاريخ على نشاط تجاري موغل في القدم بين الجانبين العربي والهندي، حيث اعتاد العرب على جلب البخور والحرائر والتوابل الهندية حتى أننا – العرب – مازلنا نطلق لفظة "بهارات" على أنواع التوابل المختلفة، وهي في الأصل لفظة هندية خالصة "بهارت"، كذلك جلب العرب الكثير من الأدوية والعقاقير الطبية من الهند خلال قرون عديدة. ومن هنا بات العرب على دراية جيدة بمسالك الهند ودروبها، وعلى اطلاع بعادات أهلها وتقاليدهم، وبمرور الوقت صارت هناك علاقات اجتماعية أكثر قرباً ومودة، فتزاوج الشعبان شخوصاً وثقافة ولغة مما أدى إلى انتشار الكثير من المفردات العربية في اللغة الأردية والعكس تماماً.

وعلى الرغم من وجود ذلك التأثير اللغوي – العربي والأردي – إلا أنه لم يبلغ أوجه إلا بعد أن وطأت أقدام الفاتح العربي محمد بن قاسم أرض الهند في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك عام 89 هـ –712م على رأس جيش قوامه اثنا عشر ألف مقاتل من جند الشام والعراق لملاحقة الخارجين على الدولة الأموية، فلحق بصفوفه كثير من أفراد قبيلتي الميد والجات[5] فامتزج اللسان العربي بالأردي وأثمرا لغة أردية جديدة في ثوب جديد، وقد حظيت بأكثر من اسم، فأطلقوا عليها الأردية والهندوستانية، والهندية. وقد ظهر لفظ الأردية في عهد ظهير الدين بابر[6]، حيث أطلق هذا اللفظ للدلالة على جيش المغول الذي يتكون من جنسيات متعددة يستخدمون هذه اللغة فيما بينهم، وكانت تعرف باسم "زبان اردو معلي"، والتي تحولت فيما بعد إلى لفظة "اردو". ولعل هذا يفسر لنا تمسك الأكثرية الهندوكية بتسميتها باللغة الهندية وباستخدام الخط الديوناجري في رسمها بدلاً من الخط العربي، وإزالة أو إزاحة كل المفردات العربية منها.

**اللغة السواحلية**

هاجر الكثير من العرب المسلمين إبان حكم الحجاج بن يوسف الثقفي إلى سواحل شبه القارة الهندية، وإلى السواحل الإفريقية فراراً من ظلمه وبطشه. وتشير الدلائل التاريخية إلى أن التجار العرب قد حلوا محل الفرس في مضمار التجارة والملاحة البحرية خلال القرن الثامن الميلادي. وهذا ما أكده المسعودي أثناء حديثه عن طرق الملاحة والتجارة عندما ذكر أن التجار العرب المسلمين كانوا يبحرون . بمراكبهم – إلى سواحل إفريقيا الشرقية، ووصلت تجارتهم حتى ميناء سفالة في موزمبيق حيث تجارة الذهب والعاج. كذلك يشهد التاريخ وجود عدد من الهجرات الجماعية للعرب المسلمين كان أبرزها هجرتين، الأولى كانت في عهد عبد الملك بن مروان، والثانية في عهد هارون الرشيد حاز المسلمون خلالهما زمام الملاحة والتجارة البحرية.

أما فيما يتعلق "بالسواحلية" فهو لفظ مشتق من الكلمة العربية سواحل؛ وهي إحدى اللغات البانتويه[7]، التي خرجت من رحم العديد من اللغات الأخرى مثل العربية والفارسية والتركية والإنجليزية، حيث استعارت العديد والعديد من مفردات تلك اللغات وتراكيبها. ومن المعروف أن لغات البانتو لغات شفاهية، لم تعرف الكتابة ولا التدوين ولم يكن لها خط أو رسم خاص بها، ومع توافد المسلمين والعرب ودخول أهل هذه البلاد في الإسلام اختلطت الألسن وتزاوجت الثقافات، وبدأ المسلمون يكتبون هذه اللغة بالخط العربي . كان ذلك في عهد هارون الرشيد.

وإذا تتبعنا تاريخ اللغة السواحلية نجدها تشكلت في صورتها النهائية الحالية خلال الفترة ما بين القرنين السابع والثالث عشر الميلاديين. أما عن أول نص مكتوب بهذه اللغة فيرجع تاريخه طبقاً للدلائل التاريخية إلى القرن الثامن عشر الميلادي، وهو عبارة عن عدد من النصوص والوثائق التي تتحدث عن خصائص هذه اللغة وسماتها، والتي تتميز بكثرة المفردات والتراكيب العربية بها، وبمرور الوقت، ومع ازدهار حركة التجارة داخل وخارج حدود شبه القارة الهندية والسواحل الإفريقية أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وبدايات القرن العشرين تأثرت اللغة السواحلية بالعديد من المؤثرات، التي ساعدت على تبلورها وظهورها في شكلها النهائي المكتمل. وعلى الرغم من كل هذه المؤثرات ومن وجود كل هذا الكم من مفردات وتراكيب لغوية تنتمي إلى لغات مختلفة، إلا أن السواحلية تبقى لغة إفريقية خالصة تنتمي للفصيلة البانتوية من حيث قواعدها وتراكيبها، وهي أحد أفراد الأسرة النيجيرية الكروفانية[8].

## (2) التوارد والصراع بين اللغات

اللغة أعظم إنجاز بشري على ظهر الأرض، ولولا اللغة ما قامت للإنسان حضارة ولا نشأت مدنية، ولقد وقر في أذهان الناس منذ القدم تقديس اللغة وإعظام شأنها، وبلغت القداسة عند الشعوب البدائية أن ارتبطت اللغة عندهم بتأثير اللفظ وسحر الكلمة، واختلط الاسم بالمسمى في عقيدة هذه الأقوام.

وقد أدرك العلماء في العصر الحديث علاقة اللغة بالمجتمع الذي تعيش فيه ومدى تأثرها به وتأثيرها عليه، كما عرفوا الصلة القائمة بين اللغة والنفس الإنسانية وتلونها بألوان الانفعالات والعواطف الوجدانية لدى بني البشر. ولم يأل علماء اللغة جهداً في الوقوف على أسباب الصراع اللغوي بين اللغات المتجاورة ومظاهره ونتائجه وولادة لغة واندثار أخرى، والعلاقة بين اللغات واللهجات.

ولقد استخدم العلماء معطيات العلوم الأخرى في الدرس اللغوي، فاستخدموا طرائق علم الجغرافيا في وضع الظواهر اللغوية على خرائط تبين حالها، وتوضح توزيعها بين المتحدثين بهذه اللهجة أو تلك شأنها في ذلك شأن الظاهر الطبيعية والجوية والاقتصادية في خرائطها الدالة عليها.

لقد بات من المسلم به عند اللغويين أن احتكاك اللغات ضرورة تاريخية، وهذا الاحتكاك يؤدي إلى تداخلها إن قليلاً وإن كثيراً، ويكاد يجزم هؤلاء اللغويون أن التطور الدائم للغة من اللغات وهي في معزل عن كل احتكاك وتأثر خارجي يعد أمرا مثالياً لا يكاد يتحقق، ذلك لأن الأثر البالغ الذي يقع على إحدى اللغات من لغات مجاورة لها كثيراً ما يلعب دوراً مهماً في التطور اللغوي.

على أن الاحتكاك بين لغتين متجاورتين لا يحدث دوماً على ذات الوتيرة في كل الحالات، ذلك لأن قوة اللغات ليست واحدة، ومن ثم اختلفت قدرتها على المقاومة، فالمصلحة العملية هي وحدها الحكم في مثل هذه الحالات وهي التي تحكم لهذه اللغة أو تلك. وقد تبقى اللغتان متجاورتين زمناً طويلاً وهما في حالة تعادل. وللموقف السياسي أهميته الكبرى كذلك، فإن بعض الشعوب يتمسك بهذه اللغة دون الأخرى انطلاقاً من عاطفة وطنية أو نفوراً من دولة مجاورة وغير ذلك.

ومن هنا فإنه لا مفر من التأثير والتأثر اللغوي بين لغتين من اللغات أو أكثر إذا ما اجتمعت هذه اللغات في صعيد واحد، إلا أن هذا التأثير والتأثر يختلف في كمه وكيفه ونواحي ظهوره ونتائجه.

**التوارد اللغوي بين الأردية والسواحلية**

"ورد" المكان أي أشرف عليه ودخله، وأورد الخبر أي ذكره، و"توارد" القوم والماء أي وردوه معاً ويقال "تواردت الخواطر" أي تلاقت[9]، وعلى هذا المعنى فإنه يقصد بالتوارد اللغوي وجود اللفظ أو المفردة أو التركيب اللغوي في أكثر من لغة على ذات النحو، ومن هنا فإن الألفاظ المتواردة بين اللغتين الأردية والسواحلية كثيرة ومتعددة وليس هذا بالأمر الغريب أو العجيب، فاللغات جميعها تتبادل التأثير والتأثر وتأخذ من بعضها وتعطي. ولقد توافرت للغتين أسباب التأثير والتأثر ومقومات التبادل اللغوي من حيث أسهم أصحاب اللسان العربي كثيراً في نشر اللغة الأردية والسواحلية من خلال التبادل التجاري، وممارسة هؤلاء العرب المسلمين دوراً هاماً في إدارة شئون البلاد.

ومن هنا بات الأمر واضحاً أن هناك عدداً من الخصائص والسمات والملامح العامة والخاصة التي اشتركت فيها اللغتان الأردية والسواحلية نجمل بعضها فيما يلي:

- أدت الحركة التجارية دوراً مهماً في نشأة كل منهما، أضف إلى ذلك الدور العربي الفاعل في إثراء المعجم اللغوي لكلتا اللغتين.
- تبدأ الجملة في اللغة السواحلية بالفاعل ثم الفعل ثم المفعول،بينما الأردية تبدأ بالفاعل ثم المفعول ثم الفعل، كما أن الاسم أو المصدر هما أساس الكلمات ومنهما يتم الاشتقاق، إلا أن السوابق في اللغة السواحلية تسبق الجذر اللغوي، أما في الأردية فتأتي اللواحق بعد الجذر اللغوي.
- تعتمد كلتا اللغتين على عدة لغات أخرى في استقاء بعض كلماتهما وألفاظهما.
- كان للاستعمار دور بارز وفاعل في نشر كلتا اللغتين دون قصد منه، حيث كان هدف الاستعمار الرئيس نشر ثقافته خلال هاتين اللغتين، وبالتالي اهتم بهما وأنشأ لهما العديد من المدارس والمعاهد.

- تعد الأردية والسواحلية رافداً من روافد الثقافة الإسلامية.
- ليس لأي منهما موقع جغرافي أو عرق بشري، خاصة فيما يتعلق بتسميتهما.

والآن إليك بعض الكلمات المشتركة بين اللغتين:

| م | الكلمة الأردية | معناها بالعربية | الكلمة السواحلية |
|---|---|---|---|
| .1 | اناناس | فاكهة الأناناس | Nanasi |
| .2 | ایکڑ | =4840 ياردة مربعة | Hekta |
| .3 | بخشش | عطية/ عفو | Bahshishi |
| .4 | بندرگاہ | ميناء | Bandari / Mji wa pwani |
| .5 | بی بی | سيدة | Bibi |
| .6 | بیمہ | تأمين | Ulinzi / Bima |
| .7 | بتاخہ | بمب | Fataki |
| .8 | پیسہ | نقود | Pesa |
| .9 | تماشا | عرض/ مجمع | Tamasha / maonesho |
| .10 | تیار | جاهز | Tayari |
| .11 | چائي | شاي | Chai |
| .12 | خط | رسالة | Ujumbe / Hati |
| .13 | دارچینی | قرفة | Mdalasini |
| .14 | دریچہ | شباك | Dirisha |
| .15 | دفتر | مكتب | Daftari/Ofisi |
| .16 | دوربین | منظار | Darubini |
| .17 | دیباچہ | مقدمة | Utangulizi / Dibaji |

| | | | |
|---|---|---|---|
| .18 | رسيد | إيصال | Risiti |
| .19 | رنگ | لون | Rangi |
| .20 | سركارى/ سركالى | حكومة | Serikali |
| .21 | شطرنج | لعبة الشطرنج | Sataranji |
| .22 | صندل | صندل | Sandali |
| .23 | گاڑى | عربة | Gari |
| .24 | گوند | صمغ | Gundi |
| .25 | ميز | منضدة | Meza |

## المراجع والمصادر

[1]. د. سحر عبد العزيز سالم: عمان وتجارتها مع الشرق الأقصى وشرق إفريقيا في العصر الإسلامي ، مسقط ، 1994م ص 34.

[2] . نقلاً عن د. حبيب الجنحاني: دور عمان في نشاط التجارة العالمية ، ندوة الدراسات العمانية ، المجلد الثالث ، نوفمبر 1980م ، صـ52.

[3] . هو أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي، سياسي أموي وقائد عسكري، ولد في الطائف بالحجاز،أدى دوراً كبيراً في تثبيت أركان الدولة الأموية، سير الفتوح، وخطط المدن، وبنى مدينة واسط، دامت ولاية الحجاج على العراق عشرين عاماً ، وفيها مات.

[4] . عادل رفاعي خفاجه : الأثر الحضاري للهجرات في شرق إفريقيا ، مجلة الأزهر، السنة السابعة والستون ، 1995م ، صـ760.

[5] . من القبائل السندية المعروفة بشجاعتها في الحروب.

[6] . مؤسس الإمبراطورية المغولية في شبه القارة الهندية والتي حكمت من (1526 وحتى 1857م.

[7] . يطلق هذا المصطلح على مجموعة اللغات التي يتحدث بها عدد من القبائل الأفريقية التي تنتشر وسط وشرق وجنوب أفريقيا، والتي تمتلك سمات لغوية مشتركة. للمزيد انظر د. محمد إبراهيم محمد أبو عجل: الأدب السواحيلي الإسلامي، سلسلة آداب الشعوب 6 جامعة الإمام السعودية، 2002م، ص 36

[8] . سيد حامد حريز: المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية في شرق إفريقيا دار الجيل، بيروت، 1988م، ص 71 . 82.

[9] . المعجم الوجيز : الهيئة العامة للمطابع الأميرية، مادة ورد.

# صفي الرحمن المباركفوري في ضوء كتابه "الرحيق المختوم"

**د. نسيم أحمد***

هذه حقيقة لا ريب فيها بأن شخصية الرسول – صلى الله عليه وسلم – هي أكبر وأسعد شخصية في العالم اعترف بفضلها كل طبقة من طبقات الجنس البشري، دون تفريق بين الأديان والأوطان والألوان، وحظيت بالقبول لدى كل رجل، عربي وعجمي، ومسلم وغير مسلم، وتغلغل حبها في كل قلب، تغلغل في قلوب الأعداء كما في قلوب الأصدقاء، وفي قلوب العجم كما في قلوب العرب. وقد عبر كل واحد منهم عن حبه بشتى الصور، بالدموع والدماء، والتضحية والفداء، والسنان والقلم.

لقد اهتم المسلمون منذ الأيام الأولى للإسلام بسيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – واعتنوا بتسجيل وقائعها وستظل موضع عنايتهم بإذن الله، لأن سيرته – عليه الصلاة والسلام – تنفيذ عملي للتشريع الرباني وبيان لأحكامه. وظهرت في كل عصر ومصر، وفي كل زمان ومكان، دراسات ومؤلفات في السيرة النبوية تتخذ طوابع مختلفة، فمنها ما يحرص على تدوين السيرة الكاملة، ومنها ما يهدف إلى اختصارها وتلخيصها، ومنها ما يعني بالدروس الدينية والتربوية المستقاة منها، ومنها ما يطمح إلى التحقيق من بعض الوقائع والأقوال ..... إلى غيرذلك.

---

* محاضر ضيف سابقا، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الملية الإسلامية، نيودلهي.

لقد أنجبت أرض الهند عددا كبيرا من العلماء والكتاب والمؤلفين الذين قدموا إسهامات بالغة قيمة في مجال السيرة النبوية، ومن أبرز هؤلاء العلماء الشيخ صفي الرحمن المباركفوري(2006- 1942م) الذي تميز بعلمه الغزير وتواضعه الجم، وشارك في ندوات ومحاضرات في مختلف أرجاء الهند وفي الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية وكثير من الدول الأخرى. عمل بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لمدة عشر سنوات ابتداءً من عام 1988م وعمل على تأليف العديد من الكتب القيمة باللغتين العربية والأردية وأشهرها "الرحيق المختوم".

إن كتاب "الرحيق المختوم" الذي أكسب الشيخ المباركفوري شهرة عريضة واسعة في أرجاء العالم الإسلامي يتناول دراسة السيرة النبوية في عهديها المكي والمدني بأسلوب عصري وجيز وبمفردات معاصرة واضحة. وقد ألفه المؤلف إسهاما في المسابقة الكتابية العالمية في السيرة النبوية التي عقدتها رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة بالمملكة العربية السعودية في عام 1976م، وفاز هذا الكتاب بالجائزة الأولى من بين البحوث التي بلغ عددها 171 بحثا.

وقد نال هذا الكتاب قبولاً عاماً بين علماء وطلاب السيرة النبوية، وترجم إلى عدة لغات، وصدرت له طبعات كثيرة، ولا يزال يطبع حتى يومنا هذا. وأما النسخة التي اعتمدت عليها في هذا المقال، تم طبعها في صورة جميلة من مطبعة دارالسلام للنشر والتوزيع بالرياض عام 1418هـ بعد التعديلات المهمة النافعة والإضافات الطيبة من قبل المؤلف، وهي أصح الطبعات وأسلمها من التصحيف والغلط وأنفعها للقارئين وتقع في 488 صفحة من حجم متوسط.

ومن الملاحظ أن الشيخ ألف هذا الكتاب خلال فترة وجيزة جداً لا تتجاوز ثلاثة أشهر، وفيه يقول الشيخ: "وكان من حديث هذا الكتاب أني لم أطلع على إعلان الرابطة عن المسابقة في وقته، ولما أخبرت به بعد حين لم آمل إلى الإسهام فيها، بل رفضت هذا الاقتراح رفضًا كليًا إلا أن القدر ساقني إلى ذلك. وكان آخر موعد لتلقي بحوث المسابقة واستقبالها عند الرابطة أول شهر محرم من العام القادم

1397هـ، أي نحو تسعة أشهر من وقت الإعلان، وقد ضاعت مني من ذلك عدة أشهر، والمدة الباقية لم تكن تكفي لإعداد مثل هذا الكتاب، ولكن لما عزمت على ذلك استعنت بالله سبحانه وتعالى، وشمرت عن ساق الجد، حتى تم إنجازه وإرساله في الموعد"[1].

وليس هذا فحسب بل المتأمل لحال الشيخ في ذلك الوقت يجد أنه قد ألفه مع شح المصادر في منطقته، وعدم القدرة على مراجعة الإحالات، وتوثيقها مع ضيق الوقت.

**محتويات الكتاب**

لم يقسم المؤلف هذا الكتاب إلى أبواب وفصول كما هو المعتاد عند كتاب السيرة النبوية، بل قسمه إلى عناوين رئيسية مختلفة، ثم وضع عناوين فرعية كثيرة تحت كل عنوان رئيسي. وبالإضافة إلى هذه العناوين يحتوي الكتاب على ثلاث مقدمات في صفحاته الأولى كلمة معالي الشيخ محمد علي الحركان – رحمه الله –، مقدمة الناشر، ومقدمة المؤلف وعلى ثبت المراجع والمصادر وفهرس الموضوعات في صفحاته الأخيرة، فالعنوان الرئيسي الأول هو عن موقع العرب وأقوامها، قدم فيها المؤلف بعض التفاصيل عن أقوام العرب وتطوراتها قبل الإسلام وعن الظروف التي بعث فيها محمد – صلى الله عليه وسلم– وذلك لفهم الرسالة المحمدية بتمامها بعد المقارنة بين خلفيات هذه الرسالة وآثارها.

وقد أوضح المؤلف في هذا العنوان أن هاجرة، زوجة إبراهيم وأم إسماعيل – عليهما السلام – لم تكن أمة مملوكة لفرعون مصر، كما يعتقد بعض المؤلفين بل إنها كانت حرة، وكانت إبنة فرعون، وقد رجح المؤلف هذا الرأي بناء على تحقيق الكاتب الكبير العلامة القاضي محمد سليمان المنصورفوري في كتابه "رحمة للعالمين" وعلى " تاريخ ابن خلدون"[2].

والعنوان الثاني: هوعن الحكم والإمارة في العرب وأحوالهم السياسية. ذكر فيه المؤلف تاريخ الحكومة والإمارة في العرب وأحوالهم السياسية.

والعنوان الثالث: هو عن ديانات العرب، استعرض فيه الحالة الدينية عند ظهور الإسلام فذكر عقائدهم وأعمالهم وبيّن كيف بدأ وانتشر الشرك وعبادة الأصنام في المجتمع الجاهلي.

والعنوان الرابع: هو "صور من المجتمع العربي الجاهلي" بين فيه المؤلف الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والخلقية للعرب عند ظهور الإسلام.

والعنوان الخامس: هو "نسب النبي – صلى الله عليه وسلم – وأسرته" ذكر فيه نسب النبي – صلى الله عليه وسلم – وأسرته كما ذكر فيه واقعة حفر بئر زمزم وواقعة الفيل .

والعنوان السادس: المولد وأربعون عاما قبل النبوة، وفيه ذكر ولادته–صلى الله عليه وسلم– وما يتعلق بها من الروايات المختلفة المعروفة لدى المؤرخين، ولو أنه ذكر رواية الطبري، والبيهقي وغيرهما عن سقوط أربع عشرة شرفة من ايوان كسرى عند ولادته – صلى الله عليه وسلم – إلاّ أنه لم يؤمن بصحتها وارتاب في إسنادها[3].

ثم ذكر أحوال طفولته – صلى الله عليه وسلم – وإقامته في قبيلة بني سعد وواقعة شق صدره وحنان أمه وعطف جده وعمه عليه كما ذكر قصته مع بحيرا الراهب أثناء سفره إلى الشام ومشاركته في حرب الفجار وحلف الفضول، وأمانته في التجارة وزواجه خديجة، وفي نهاية هذا العنوان ذكر واقعة بناء الكعبة وتحكيمه في نزاع وضع الحجر الأسود في مكانه كما ألقى ضوءً إجمالياً على سيرته قبل النبوة.

ثم قسم المؤلف حياة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعد أن أكرمه الله بالنبوة والرسالة إلى عهدين يمتاز أحدهماعن الآخر تمام الإمتياز.

- العهد المكي : ثلاث عشرة سنة تقريباً .
- العهد المدني : عشر سنوات كاملة .

أما العهد المكي فقسمه المؤلف إلى ثلاث مراحل:

- مرحلة الدعوة السرية، ثلاث سنوات.

- مرحلة إعلان الدعوة في أهل مكة، من بداية السنة الرابعة من النبوة إلى هجرته – صلى الله عليه وسلم – إلى المدينة.
- مرحلة الدعوة خارج مكة، وفشوها فيهم، من أواخر السنة العاشرة من النبوة، وقد اشتملت على العهد المدني، وامتدت إلى آخر حياته صلى الله عليه وسلم.

أما مراحل العهد المدني فسنتكلم عن تفصيلها في موضعه.

وقبل الأخذ في المرحلة الأولى من العهد المكي أقام المؤلف عنواناً "في ظلال النبوة والرسالة" ذكر فيه إقامة النبي – صلى الله عليه وسلم – في غار حراء في شهر رمضان وعبادته فيه وتفكيره فيما حوله من مشاهد الكون كما ذكر بداية الوحي، واختلاف العلماء في تعيين يومها وشهرها، ورجح يوم الإثنين لإحدى وعشرين مضت من شهر رمضان الموافق 10أغسطس سنة 610م، وفي الأخير بين أقسام الوحي المختلفة.

وفي المرحلة الأولي من العهد المكي – وهومرحلة الدعوة السرية– تناول المؤلف ثلاث سنوات من الدعوة السرية، وأوائل المسلمين الذين آمنوا برسالته – صلى الله عليه وسلم – خلال هذه الفترة.

وفي المرحلة الثانية من العهد المكي – وهي مرحلة الدعوة جهاراً– تناول المؤلف أموراً كثيرة ومنها إظهاره – صلى الله عليه وسلم – بالدعوة في عشيرته وفي قريش، وخطابه أهل مكة من على جبل الصفاء، ثم إجهاره –صلى الله عليه وسلم– بالدعوة إلى الإسلام في مجامع المشركين ونواديهم وردود فعل المشركين عليه، والصراعات بين المسلمين والمشركين ومراحلها المختلفة، والأساليب الشتى لمجابهة الدعوة الإسلامية، واضطهادات الكفار واعتداءاتهم على النبي – صلى الله عليه وسلم– وعلى المسلمين جميعاً وما نتج عن ذلك من الهجرة الأولى والثانية إلى أرض الحبشة، ومكيدة قريش بهؤلاء المهاجرين وتهديدهم أبا طالب – عم رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وإسلام حمزة وعمر– رضي الله عنهما–، ثم ذكر مقاطعة

المشركين بني هاشم وبني عبد المطلب وحبسهم في شعب أبي طالب لثلاثة أعوام، وما لاقوا من المصائب والمشكلات خلال هذه الفترة، وما عانى النبي وأصحابه من الأحزان والآلام إثر وفاة عمه أبي طالب وزوجته خديجة الكبرى – رضي الله عنها– ، ثم استطرد المؤلف إلى ذكر الأسباب والعوامل التي بلغت بالمسلمين إلى تلك الغاية القصوى، والحد المعجز من الثبات، وأثبت أن شخصية النبي الجذابة وقيادته الحكيمة هي التي جعلت كل ذلك ممكناً إلى حد كبير.

وفي المرحلة الثالثة – وهي المرحلة خارج مكة– تناول المؤلف أحوال سفره – صلى الله عليه وسلم– إلى طائف لدعوة أهلها إلى الإسلام، كما تناول ملخصاً كيفية عرضه الإسلام على القبائل والأفراد الذين كانوا يأتون إلى مكة لقضاء فريضة الحج من خارجها، ثم أتى المؤلف إلى ذكر تفاصيل الإسراء والمعراج، واختلاف العلماء في تعيين زمن حدوثه، وبعد ذلك ذكر تفاصيل بيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية، وتفاصيل محاولة المشركين لقتل النبي – صلى الله عليه وسلم – وهجرته إلى المدينة المنورة، وبذلك انتهت المرحلة الأولى من حياة النبي – صلى الله عليه وسلم–.

وقسّم المؤلف العهد المدني إلى ثلاث مراحل:

- مرحلة أثيرت فيها القلاقل والفتن، وأقيمت فيها العراقيل من الداخل، وزحف فيها الأعداء إلى المدينة المنورة لاستئصال خضرائها من الخارج. وهذه المرحلة تنتهي إلى صلح الحديبية في ذي القعدة سنة ست من الهجرة.
- مرحلة الهدنة مع الزعامة الوثنية، وتنتهي بفتح مكة في رمضان سنة ثمان من الهجرة، وهي مرحلة دعوة الملوك إلى الإسلام.
- مرحلة دخول الإسلام في دين الله أفواجاً، وهي مرحلة توافد القبائل والأقوام إلى المدينة، وهذه المرحلة تمتد إلى انتهاء حياة الرسول –صلى الله عليه وسلم– في ربيع الأول سنة 11 من الهجرة.

ففي المرحلة الأولي تناول المؤلف الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المدينة عند الهجرة، وما اتخذ النبي – صلى الله عليه وسلم– من الخطوات تجاه بناء مجتمع جديد في المدينة، مثل بناء المسجد النبوي، والمؤاخاة بين المسلمين، وميثاق التحالف الإسلامي، ثم ذكر المعاهدة مع اليهود وأهم بنودها، وبعد ذلك استعرض بالتفصيل مكيدات المشركين ومؤامراتهم ضد المسلمين، وأحوال السرايا والغزوات، وأسبابها وحوافزها، ونتائجها ومن أهمها غزوة بدر وغزوة أحد وغزوة الأحزاب، وغيرها، وتضحيات المسلمين وبلاءهم الحسن، كما تناول الغزوات والصراعات الدامية مع اليهود خلال هذه الفترة وتفاصيلها.

وأما المرحلة الثانية، فقد قسمها المؤلف على قسمين:

- النشاط في مجال الدعوة، أو مكاتبة الملوك والأمراء.
- النشاط العسكري.

وفي القسم الأول تناول المؤلف مكاتبة الملوك والأمراء، فذكر فيه ثمانية كتب أرسلها النبي – صلى الله عليه وسلم– إلى ملوك وأمراء البلدان المجاورة لدعوتهم إلى الإسلام وبيّن عواقبها ونتائجها.

وفي القسم الثاني تناول المؤلف موضوع النشاطات العسكرية بعد صلح الحديبية، ومن أهم هذه النشاطات غزوة ذي قرد، وغزوة خيبر، وغزوة وادي القرى، وغزوة ذات الرقاع، وغزوة الموتة، وغزوة فتح مكة وغيرها فذكر المؤلف أحوال هذه الغزوات وأسبابها وعواقبها بقدرمن التفصيل.

وأما المرحلة الثالثة فقد قسمها المؤلف إلى صفحتين:

- صفحة المجاهدة والقتال.
- صفحة تسابق الشعوب والقبائل إلى اعتناق السلام.

ففي الصفحة الأولى تناول المؤلف غزوة حنين وأسباب تشتت المسلمين في أول الأمر، وغزوة الطائف، وغزوة تبوك وأسبابها وما واجه المسلمون من المشكلات والمشاق في سبيلهم إلى "تبوك" وغيرها من الغزوات، والسرايا، والبعوث. وفي الأخير

ألقى المؤلف نظرة عابرة على غزوات النبي – صلى الله عليه وسلم – جميعها، ووصل من خلالها إلى نتيجة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان أكبر قائد عسكري في الدنيا وأسدهم وأعمقهم فراسة وتيقظاً.

وفي الصفحة الثانية تناول المؤلف موضوعات شتى ومنها تسارع الناس إلى اعتناق دين الإسلام، ونجاح الدعوة الإسلامية وأثرها على المجتمع الإنساني، وحجة الوداع وأحوال مرضه – صلى الله عليه وسلم– ووفاته، والبيت النبوي وأعضاءه وأسباب كثرة زوجاته – صلى الله عليه وسلم–. وختم المؤلف الكتاب بالكلام عن صفات النبي – صلى الله عليه وسلم – وأخلاقه ومكارمه.

فهكذا يمكننا أن نقول إن هذاالكتاب مع حجمه المتوسط بحث كامل وجامع حول السيرة النبوية ولايترك جانباً من جوانبها إلاّ و يتناوله بالتفصيل أو الإيجاز.

**منهج المؤلف في الكتاب**

إن المؤلف نفسه أشار إلى منهجه في مقدمة كتابه إشارة بسيطة فقال: "وكلمة بسيطة أرى أن أقدمها عن منهجي في مقالتي هذه: إني حين قررت كتابتها رأيت أن أضعها في حجم متوسط متجنباً التطويل الممل والإيجاز المخل، وقد وجدت في المصادر اختلافا كبيراً في ترتيب الوقائع، وفي تفصيل جزئياتها، وفي مثل هذه المواقع قمت بالتحقيق البالغ، وأدرت النظر في جميع جوانب البحث ثم أثبت في صلب المقالة ما ترجح لدي بعد التحقيق. ولكن احترزت عن إيراد الدلائل والبراهين لأنّ ذلك يفضي إلى طول غير مطلوب. نعم! ربما أشرت إلى الدلائل حين خفت الإستغراب ممن يقرأ المقالة، أوحين رأيت عامة الكاتبين ذهبوا إلى خلاف الصحيح"[4].

ويتضح من هذه الكلمات أن المؤلف اختار أسلوباً عصرياً وطريقة علمية في عرض المادة التاريخية وقام بالتحقيق البالغ لأجل الوصول إلى السداد والصواب، وسوف نتكلم عن ذلك بشيء من التفصيل تحت عنوان "ميزات الكتاب وخصائصه".

**مصادر الكتاب**

كل منا يعرف أن السيرة النبوية قد عانت الكثير بمرور الزمن من الإضافات في الخبر التاريخي، بموازاة ما كان يحدث في الحديث النبوي، ومن ثم فإنّ أية محاولة لكتابة السيرة أو إعادة كتابتها بشكل أدق يتحتم أن تمارس اختياراً مسئولاً بطبيعة الحال، وليس مجرد هوى عشوائي، لخير ما قدمته المصادر القديمة عن السيرة من روايات موثقة أصيلة، ولأحسن ما طرحته الدراسات الحديثة من تحاليل ومواقف واستنتاجات قد تعين على إضاءة أشد تركيزا لموضوعات السيرة الخصبة المتشابكة، ولكن تبقى المصادر الأولى الأصيلة الأساس الذي يقوم عليه البناء، لأنّ المادة الأولية التي يقام عليها الصرح موجودة هناك، ونظراً لأهمية ضرورة تنقية السيرة مما شابهها على مر الزمان اعتمد المؤلف في كتابه "الرحيق المختوم" على خير ما كتب في القديم والحديث وفيما يلي نقدم إليكم بعض أهم المصادر التي اعتمد عليها المؤلف والتي يبلغ عددها 60 مصدراً، حتى يتبين لنا مدى اهتمامه بالتركيز والاعتماد على المصادر الأساسية والموثقة لدى علماء المسلمين:

- **القرآن الكريم:** إن كتب السيرة والتاريخ التي تدرس حياة النبي – صلى الله عليه وسلم – تستدل كثيراً من الآيات القرآنية، وقد سار مؤلف "الرحيق المختوم" كذلك على درب سابقيه فنرى كتابه قد اعتمد على القرآن الكريم كمصدر أساسي موثوق وبخاصة فيما يتعلق بالأوضاع الدينية والاجتماعية للعرب قبل الإسلام، واعتداءات المشركين وأساليبهم المختلفة لمجابهة الدعوة الإسلامية ومكيدات المنافقين، والغزوات وغيرها.
- **كتب السنة:** إنّ كتب السنة النبوية تحوي كمّاً هائلاً من سيرة المصطفى –صلى الله عليه وسلم–، والمعلومات المبثوثة في كتب السنة تمتاز بالدقة والوضوح، وقد جمع المؤلف في هذا الكتاب كمّاً كبيراً من مرويات السيرة النبوية، واقتصر على الصحيح منها، وابتعد عن الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي جعلت بعض أحداث السيرة شبيهة بالخرافة والأسطورة

إلاّ قلة قليلة منها شكّ في صحتها بعض العلماء، ولذا نراه يعتمد على كتاب "صحيح البخاري" أكثر منه على كتب السنة الأخرى، وهو يعد أفضل وأصح الكتب بعد كتاب الله بإجماع الأمة الإسلامية، كما هو أغناها وأضبطها وأوفرها على مادة السيرة النبوية.

- **السيرة النبوية لإبن هشام:** هو تهذيب واختصار كتاب "المغازي" لابن إسحاق، وكما هو معلوم أنّ ابن إسحاق كان إماماً في فن السيرة النبوية لمن جاء بعده على اختلافهم بلا منازع، فكتابه في المغازي الذي وصلنا مختصراً في صورة السيرة النبوية لابن هشام كان المصدر الخصب والمادة الأساسية لكل من يكتب أو يتحدث في السيرة حتى يمكننا أن نقول: ما من كتاب وضع في السيرة بعد ابن إسحاق إلاّ هو غرفة من بحره. هذا إذا استثنينا رجلاً أو إثنين كالواقدي وابن سعد.

وقد أكثر مؤلف "الرحيق المختوم" من الاعتماد على هذا الكتاب واستفاد منه استفادة لم يستفد مثلها من أي مصدر آخر إلاّ صحيح البخاري، فقلما نجد صفحة من صفحات هذا الكتاب لم يستفد فيها المؤلف من " سيرة ابن هشام "أو كتاب" صحيح البخاري" فهذان الكتابان يشكلان مصدرين أساسيين للمؤلف في كتابه "الرحيق المختوم".

- **زاد المعاد في هدي خير العباد للإمام العلامة الحافظ شمس الدين بن القيم الجوزية:** هذا الكتاب ليس كتاب سيرة بالمعنى الإصطلاحي، بل هو أول كتاب وصل إلينا فيما أعلم عرض السيرة وحياة نبينا –صلى الله عليه وسلم–، واستنبط منها أحكاماً. ولهذا فقد عُدّ بحق أول كتاب في فقه السيرة.

وهذا الكتاب أيضاً من المصادر التي اعتمد عليها مؤلفنا واستفاد منها كثيراً وإن لم يبلغ الدرجة التي بلغها "سيرة ابن هشام" وصحيح البخاري".

ومن المصادر الأخرى التي استفاد منها المؤلف في مواضيع شتى من كتابه:

- الطبقات الكبرى لابن سعد.
- تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري.
- البداية والنهاية لإسماعيل بن كثير الدمشقي.
- تفسير ابن كثير، نفس المؤلف.
- المواهب اللدنية للقسطلاني.
- الشفاء بحقوق المصطفى للقاضي عياض.
- خلاصة السير لمحب الدين أبو جعفر أحمد بن عبدالله الطبري.
- فقه السيرة لمحمد الغزالي.
- مختصر سيرة الرسول لمحمد بن عبدالوهاب النجدي.

وإلى جانب هذه المصادر العربية استفاد المؤلف من الكتب الأردوية أيضاً ومنها:

- رحمة للعالمين للقاضي محمد سليمان المنصورفوري.
- تفهيم القرآن لأبي الأعلى المودودي.
- الجهاد في الإسلام ، نفس المؤلف.
- تاريخِ إسلام لأكبر شاه خان نجيب آبادي.
- رسولِ أكرم كي سياسي زند كي للدكتور حميد الله الحيدرآبادي .

هذه هي بعض المصادر التي اعتمد عليها المؤلف، واستفاد منها في كتابه إلاّ أن اعتماده المحوري، هو على "سيرة ابن هشام" و"صحيح البخاري" مع شرحه "فتح الباري" و"زاد المعاد". ويتضح من خلال هذه المصارد أنّ المؤلف حريص أشد الحرص على الاعتماد والاستفادة من أصح الكتب وأوثقها لدى علماء المسلمين.

**النصوص الأدبية في الكتاب**

عندما نلقى نظرة سريعة على كتب التاريخ والسيرة النبوية نعرف أنها تمزج الأدب بالوقائع التاريخية وتسجل النصوص الأدبية، نظماً ونثراً، من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وخطب ورسائل أدبية رائعة وغيرها، ولذا سوف ندرس كتاب "الرحيق

المختوم" من حيث احتوائه على النصوص الأدبية. ومن أهم النصوص الأدبية في هذاالكتاب:

- **الآيات القرآنية:** لقد نزل القرآن الكريم على نبينا الكريم باللغة العربية الفصحى في زمن كانت الفصاحة والبلاغة ميزة أصيلة عند العرب، فكان العرب يتبارزون ويتنافسون في البيان في الأسواق، كأسواق عكاظ والمجنة، والمجاز، ولذلك نزل القرآن الكريم متحدياً أمامهم، كقوله تعالى: "فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين"[5] فعجز القوم – مع فصاحتهم وعلو كعبهم فيها – عن ذلك لأنّ النصوص الأدبية كانت من لدن حكيم حميد. وذلك معجزة خالدة للأمة من حيث كونها نموذجاً رائعاً للأدب والفصاحة والبيان، ولم تكن هذه الآيات مجرد أدب رائع، بل كانت تتمثل في خلقه – صلى الله عليه وسلم–، ولذا نرى أن كتب السيرة والتاريخ التي تدرس حياة النبي –صلى الله عليه وسلم– تستدل كثيراً من الآيات القرآنية، وقد سار مؤلف "الرحيق المختوم" على درب سابقيه، فنراه يعتمد في كتابه على القرآن الكريم كمصدر أساسي موثوق كما مضى في السطور المذكورة أعلاها.
- **الأحاديث النبوية:** كما أن الآيات القرآنية من أفصح النصوص الأدبية وأبلغها، فإنّ الأحاديث النبوية أيضاً تُعَدّ بالدرجة الثانية من أفصح النصوص الأدبية وأبلغها، لأنها أقوال أبلغ العرب وأفصحها.

وكما هو معلوم أن الأحاديث النبوية تناول جزءً كبيراً من سيرته –صلى الله عليه وسلم– ومغازيه وسراياه وبعوثه، فمؤلف "الرحيق المختوم" من وراء سرد السيرة النبوية ومغازيه يأتي بكثير من الروايات المرفوعة المنقولة عن أفصح العرب وأبلغهم، وهذه الروايات كثيرة جداً، ومنتشرة في الكتاب كله. ويدل على ذلك اعتماده الكبير على "صحيح البخاري" كمصدر أساسي.

- **الخطب:** تعد الخطب أيضاً من النصوص الأدبية، ولانجهل ما كان لها من أهمية أدبية في الجاهلية وصدر الإسلام، وقد وجد كثير من الخطباء المصاقع في العهد الجاهلي والعهد الإسلامي، وكان النبي –صلى الله عليه وسلم– أفصحهم وأبلغهم وأصقعهم جميعاً، ولقد حفظت لنا كتب الأدب والسيرة والتاريخ نصوص خطبهم الأدبية، أما كتاب "الرحيق المختوم" فلا يذكر إلاّ تلك الخطب التي ألقيت في العهد النبوي ومعظمها على لسان النبي –صلى الله عليه وسلم– ولايتناول خطب العهد الجاهلي وعهد الخلافة الراشدة ومابعده وذلك لكونه كتاب السيرة النبوية الخالصة، وليس كتاب التاريخ العام وتاريخ الأدب.

والجدير بالذكر أن المؤلف لايذكر نصوص الخطب النبوية كاملة بل يذكر بعض أجزاءها المختارة ومن أهم هذه الخطب خطبته – صلى الله عليه وسلم– على جبل الصفا لدعوة أهل قريش إلى الإسلام[6] وخطبته يوم فتح مكة واليوم الذي تلاه[7] وخطبه المختلفة في حجة الوداع[8] وخطبته بعد صلاته على شهداء أحد في أوائل صفر سنة 11هـ[9] وخطبته قبل وفاته بخمسة أيام[10] وخطبة أبي بكر بعد وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم – حين اختلف الصحابة في وفاته[11].

- **الرسائل والكتب:** لقد أعد علماء الأدب الرسائل والكتب من فنون الإنشاء، فنرى أن كتب الأدب والتاريخ مليئة بتلك الرسائل بأنواعها، وقد ذكر مؤلف "الرحيق المختوم" أيضاً عديداً من الكتب التي كتبها النبي–صلى الله عليه وسلم– وبعث بها إلى مختلف الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام، ومنها هذه الكتب الثمانية المشهورة:
  - الكتاب إلى النجاشي، ملك الحبشة .
  - الكتاب إلى المقوقس، ملك مصر.
  - الكتاب إلى كسرى، ملك فارس.
  - الكتاب إلى قيصر، ملك الروم.

- الكتاب إلى المنذر بن ساوى.
- الكتاب إلى هوذة بن علي صاحب اليمامة.
- الكتاب إلى الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق.
- الكتاب إلى ملك عمان.

وبجانب هذه الكتب الثمانية، ذكر المؤلف أيضاً بعض الكتب التي بعث بها النبي –صلى الله عليه وسلم– إلى مختلف رؤساء القبائل وأمراء الجيوش.

ولننظر إلى إحدى تلك الكتب كنموذج أدبي رائع، وهو كتاب بعث به النبي – صلى الله عليه وسلم– إلى ملك عمان جيفر وأخيه عبد ونصه:

"بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبد ابني الحليذي، سلام على من اتبع الهدى، أماّ بعد! فإني أدعوكما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، فإني رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكم، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام، فإن ملككما زائل، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما"[12].

- **الشعر**: يعد الشعر من صميم النصوص الأدبية، ونرى كتاب السيرة والتاريخ يأتون بكثير من النصوص الشعرية ويستشهدون بها في كتبهم ولكن الملاحظ في كتاب "الرحيق المختوم" أن الشعر بصفة خاصة ليس كثيراً إذا ما قارناه بما تضمنه كتاب "السيرة" لابن هشام مثلاً، فلا نرى المؤلف يستشهد بالشعر إلاّ في قليل من المواضع، ومعظم هذا القليل مذكور فيما يتعلق بالغزوات والسرايا.

على كل حال، فإن هذه النصوص الشعرية والأدبية التي سبق ذكرها، والتي احتواها كتاب "الرحيق المختوم" هي ذخيرة أدبية ثقافية رائعة عظيمة تعكس صورة الوقائع والأحداث التي تناولها المؤلف في كتابه.

**ميزات الكتاب وخصائصه**

**يتميز الكتاب بخصائص عديدة، منها:**

- الأسلوب العصري في عرض المادة التاريخية، من حيث اتباع طريقة علمية مؤسسة على المصادر الأصيلة المطابقة لما جاء في القرآن الكريم وصحيح السنة، وما يستبتع ذلك من نقد وتمحيص.
- الاهتمام بتصوير البيئة والعصر الذي ظهر فيه الإسلام، وهذا أيضاً من مظاهر لمنهجه العصري، واستفادته من الدراسات الحديثة التي تهتم بالبيئة والظروف السائدة التي يبرز في جوها الحدث العام الكبير.
- الاستشهاد بالآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة، وذلك بصورة كثيرة.
- وضع عنوانات دالة، وذلك موجود في كل مراحل الكتاب وأقسامه، وتكشف عن فهم عميق لروح السيرة النبوية، وتدل على ما يتمتع به المؤلف من حسن لغوي وقدرة بالغة على التعبير العربي عن المفاهيم والدلالات.

ويجدر بي أن أذكر هنا قصة تدل على الأثر الذي أحدثه هذا الكتاب في نفوس الشباب. يقول الشيخ المباركفوري – رحمه الله : ذات يوم وأنا في المدينة النبوية اتصل بي شاب وقال يا شيخ لا بد أن أراك، فتواعدت معه في المسجد النبوي، وفي الموعد جاء هذا الشاب وقال للشيخ: جئت حديثا من الجهاد في البوسنة وهناك شاركت في المعركة الشهيرة ب "بدر البوسنة" وكيف أن الله تعالى فتح لنا هذا الجبل العاتي مع التحصينات الشديدة من جانب الصرب الملاعين... وقال هذا الشاب: إن كتابك يا شيخ الرحيق المختوم كان زادا لنا في الثبات والصبر وتذكيرنا بجهاد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام حتى إن الإخوة ترجموه إلى اللغة البوسنية وصار زادا للإخوة البوسنيين أيضا، والآَن هذا الكتاب يدرس في الجامعة هناك ويقرأ منه في إذاعة سراييفو لما أحدثه هذا الكتاب من رفع الهمة للشباب المسلم المجاهد في البوسنة.

- التوسط في حجم الكتاب والتجنب من التطويل الممل والإيجاز المخل، مع الاهتمام بالوضوح والشمولية الجامعة في عرض السيرة.
- أخذ المعلومات عن الأحداث والوقائع من المصادر المختلفة ثم تلخيصها، وذكر جميع المصادر لمن يريد التفصيل، ولعل ذلك نشأ عن حرصه على وضع الكتاب في حجم متوسط. وأمثلة ذلك منثورة في الكتاب فانظر مثلاً صفحات 278، 282، 403، 417، 432 وغيرها.
- الاهتمام بذكر الأشخاص وتعيين الأيام والتواريخ والسنين للحوادث والوقائع.
- ربما يذكر المؤلف بعض الحكم والأسرار الكامنة في واقعة أو حادثة بصورة إجمالية، فمثلاً يكتب المؤلف بعد سرد واقعة الإسراء والمعراج. "والحكم والأسرار التي تكمن وراء جزئيات هذه الرحلة، إنما محل بحثها كتب أسرار الشريعة، ولكن هنا حقائق بسيطة تنفجر من ينابيع الرحلة المباركة وتتدفق إلى حدائق أزهار السيرة النبوية – على صاحبها الصلاة والسلام والتحية – أرى أن أسجل بعضاً منها بالإيجاز ....."[13].
- وربما يقوم بتحليل الأحداث والاستنتاج منها، فمثلاً يكتب المؤلف معبراً عن رأيه حول مصير غزوة أحد هل كانت هزيمة أم لا ؟ فيقول:" ..... بل يؤكد لنا ماحصل لقريش لم يكن أكثر من أنهم وجدوا فرصة، نجحوا فيها بإلحاق الخسائر الفادحة بالمسلمين، مع الفشل فيما كانوا يهدفون إليه من إبادة الجيش الإسلامي بعد عمل التطويق –وكثيراً ما يلقي الفاتحون بمثل هذه الخسائر التي نالها المسلمون– أما أن ذلك كان نصراً وفتحاً فكلا وحاشا ..... كل ذلك يؤكد لنا أن تعجيل أبي سفيان في الانسحاب والانصراف أنه كان يخاف على جيشه المعرة والهزيمة لو جرت صفحة ثالثة من القتال، ويزداد ذلك تأكداً حين ننظر إلى موقف أبي سفيان من غزوة حمراء الأسد ..... "[14].

# الرحيق المختوم

## بحث في السيرة النبوية

للشيخ صفي الرحمن المباركفوري

دار السلام للنشر والتوزيع

- القيام بالتحقيق البالغ فيما تعددت آراء العلماء فيه وذكر ما ترجح لدى المؤلف بعد الفحص والتمحيص في المصادر الأصيلة المؤثقة. وأمثلة ذلك كثيرة في الكتب أنظر صفحات 97، 106، 132، 163، 164، 165، (حاشية)282، 310، وغيرها.
- حواشي الكتاب مفيدة جداً، يذكر فيها المؤلف المصادر التي اعتمد عليها والتي استفاد منها، وكثيراً ما يشير إلى أكثر من مصدر لمن يريد التفصيل في واقعة ما، ويقوم أيضاً بشرح الألفاظ المشكلة الواردة في النص كما يضيف بعض المعلومات المفيدة المتعلقة بحادث ذكره في المتن.

وها هي بعض الخصائص التي يتميزبها الكتاب، فأصبح بذلك بحثاً علمياً جامعاً، ووثيقة تاريخية قيمة، وقطعة أدبية رائعة في نفس الوقت، فهو كتاب غزير الفائدة، عظيم النفع في هذا الباب، ويشكل مصدراً مهماً لاغنى عنه لمن يريد أن يكتب أو يتحدث في السيرة النبوية، ويدل ذلك على أن كاتب هذا الكتاب عالم متمكن، واسع الأفق ودقيق التفكير.

**أسلوب المؤلف الأدبي في الكتاب**

يمتاز الشيخ صفي الرحمن المباركفوري بكونه شخصية فذة في مجال العلم والمعرفة، وصاحب مؤلفات عديدة بالعربية والأردوية، وله قدرة فائقة في اللغة العربية، واستخدام ألفاظها وتركيبها، فيكتب بأسلوب يمتاز بالسهولة والجزالة والفصاحة، وننقل فيما يلي بعض الكلمات للشيخ المباركفوري لكي يتضح أسلوبه إذ هو يقول متحدثاً عن عوامل صبر المسلمين وثباتهم أمام اضطهادات الكفار والمشركين .

"وهنا يقف الحليم حيران، ويتساءل عقلاء الرجال فيما بينهم: ماهي الأسباب والعوامل التي بلغت بالمسلمين إلى هذه الغاية القصوى، والحد المعجز من الثبات؟ وكيف صبروا على هذه الاضطهادات التي تقشعر لسماعها الجلود، وترجف لها

الأفئدة؟ ونظراً إلى هذا الذي يتخالج القلوب، نرى أن نشير إلى بعض هذه العوامل والأسباب إشارة عابرة بسيطة "[15].

ويكتب في موضع آخر في نفس السياق: "هذا ولم يزل الرسول –صلى الله عليه وسلم– يغذي أرواحهم برغائب الإيمان، ويزكي نفوسهم بتعليم الحكمة والقرآن، ويربيهم تربية دقيقة عميقة يحدو بنفوسهم إلى منازل سمو الروح، ونقاء القلب، ونظافة الخلق، والتحرر من سلطان الماديات، والمقاومة للشهوات، والنزوع إلى رب الأرض والسماوات، ويزكي جمرة قلوبهم، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويأخذهم بالصبرعلى الأذى والصفح الجميل، وقهر النفس، فازدادوا رسوخاً في الدين، وعزوفاً عن الشهوات، وتفانياً في سبيل المرضاة، وحنيناً إلى الجنة، وحرصاً على العلم، وفقهاً في الدين، ومحاسبة للنفس وقهراً للنزعات، وغلبة على العواطف، وتسيطراً على التأثرات والهائجات، وتقيداً بالصبر والهدوء والوقار"[16].

ويقول متحدثاً عن مكيدات اليهود: "هذا نموذج مما كان اليهود يفعلونه ويحاولونه من إثارة القلاقل والتحريشات في المسلمين، وإقامة العراقيل في سبيل الدعوة الإسلامية. وقد كان لهم خطط شتى في هذاالسبيل، كانوا يبثون الدعايات الكاذبة، ويؤمنون وجه النهار، ثم يكفرون آخره، ليزرعوا بذور الشكوك في قلوب الضعفاء، وكانوا يضيقون سبل المعيشة على من آمن إن كان لهم به ارتباط مال، فإن كان لهم عليه يتقاضونه صباحاً ومساءً وإن كان له عليهم يأكلونه بالباطل ويمتنعون عن أدائه"[17]

**آراء العلماء حول الكتاب**

وقد نوّه كثير من العلماء بقيمة هذا الكتاب وبجهد مؤلفه وأثنوا عليه ثناءا عطراً. وفيما يلي نذكر آراء بعض هولاء العلماء الذين درسوا هذا الكتاب دراسة متأنية عميقة فشكلوا آراءهم حوله وعبروا عنها في مقالاتهم المنشورة في مختلف الجرائد والمجلات.

- وكان هذا الكتاب "الرحيق المختوم" من الكتب المتفردة في السرد التاريخي، والذي امتاز بمنهجه الواضح وشموليته الجامعة في عرض السيرة العطرة عرضاً عميقاً يسيراً، خالياً من الشوائب أو الأباطيل التي ألحقت ببعض كتب السيرة.

(الشيخ عبد الملك مجاهد / ناشرالكتاب)[18]

- وللكتاب ميزة خاصة تتمثل في إبتداع بيانه وأسلوبه وابتكار تحقيقه وجهده العلمي.

(الدكتور محمد يسين مظهر صديقي)[19]

- إن كتاب " الرحيق المختوم " كتاب جامع حول السيرة النبوية، دوّن فيه المؤلف جميع الوقائع والحوادث في ضوء القرآن والأحاديث النبوية الصحيحة بالتحقيق البالغ والنقد التاريخي.

(المولانا محمد مستقيم السلفي)[20]

- إنه كتاب جامع وثيق وتأليف قيم مفيد.

(د/ محمد صلاح الدين العمري)[21]

- قلما حصل هذا القبول العام لأيّ كتاب ألف بعد تحرير الهند حول السيرة النبوية ، وقد بلغ قمة العظمة والكرامة.

(الشيخ عبد المعيد السلفي)[22]

- أصبح الكتاب مرجعاً مهماً من مراجع السيرة النبوية.

(المولانا أسعد الأعظمي)[23]

- لاشك في أن الكتاب يستحق بأن يُعد من بين الكتب الهامة القيمة التي ألفت حول السيرة النبوية في عصرنا.

(د/ شجاع الدين الفاروقي)[24]

خلاصة القول إن هذا الكتاب ذو أهمية بالغة في موضوع السيرة النبوية ومصدر مهم من مصادرها، وله أيضاً أهميته التاريخية والعلمية والأدبية، وتتجلى

أهميته التاريخية في كونه متضمناً للمعلومات المتعلقة بالحياة الدينية والاجتماعية والسياسية والعسكرية والثقافية للعرب في العهد النبوي وفي العهد الجاهلي .

وتظهر أهميته وقيمته العلمية في اختيار المؤلف أسلوباً عصرياً وطريقة علمية في عرض المادة التاريخية، وفي اعتماده على المصادر الأصيلة الموثقة المطابقة لما جاء في القرآن الكريم وصحيح السنة وقيامه ببالغ من التحقيق والتدقيق والبحث والتمحيص في مواضع الخلاف للوصول إلى السداد والصواب بعيداً عن الشوائب والأباطيل التي تسربت إلى بعض كتب السيرة مما جعل هذا الكتاب مرجعاً موثوقاً لكل من يريد أن يكتب أو يتحدث في السيرة النبوية.

وتعظم أهمية كتاب " الرحيق المختوم " لاحتواءه على كثير من النصوص الأدبية التي تهم الدارسين للأدب كالخطب والرسائل والشعر، والذي احتواءه الكتاب من هذه النصوص الأدبية – رغم قلتها – يعد ثروة جديرة بالاهتمام والدراسة.

ولا ندعي أن هذا الكتاب خال تماماً من العيوب والنقائص فالنقص من طبيعة البشر وسعي المرء إلى بلوغ الكمال هو المقدور المستطاع وليس الكمال إلاّ لله.

**الهوامش:**

---

[1] صفي الرحمن المباركفوري "الرحيق المختوم" ص11

[2] الرحيق المختوم ص: 18

[3] نفس المصدر ص: 55

[4] نفس المصدر ص: 13،14

[5] سورة الطور رقم الآية:34

[6] الرحيق المختوم ص: 77

[7] نفس المصدر 385، 388

[8] نفس المصدر ص437،439،440:

[9] نفس المصدر ص: 442

[10] نفس المصدر ص: 443

[11] نفس المصدر ص: 448

[12] نفس المصدر ص: 341

[13] نفس المصدر ص: 135

[14] نفس المصدر ص: 272

[15] نفس المصدر ص: 114

[16] نفس المصدر ص: 120

[17] نفس المصدر ص: 225

[18] الرحيق المختوم: من مقدمة الناشر، ص: 11

[19] محمد ياسين مظهر صديقي مقالة: هندوستان مين عربي سيرت نغاري" :مجلة " تحقيقاتِ إسلامي " اكتوبر ونوفمبر 1984م ص: 21

[20] محمد مستقيم السلفي: جماعتِ أهلحديث كي تصنيفي خدمات ص: 533

[21] مقالة د/ محمد صلاح الدين العمري: هندوستان مين عربي سيرت نغاري" :مجلة "تحقيقاتِ إسلامي" ابريل، يونيو1997م ص: 47 .

[22] مقال أسعد الأعظمي: رحيل الشيخ صفي الرحمن المباركفوري :مجلة " صوت الأمة، " ذوالقعدة الحرام 1427م ص: 57.

[23] جريدة ترجمان ـ 31–16، ديسمبر 2006م ص: 21

[24] مقالة د/ شجاع الدين الفاروقي: الرحيق المختوم : ايك تجزياتي مطالعه: جريدة "ترجمان" 14/ 8/ 92، ص: 11.

# حركة "ريشمي رومال" ودورها في تحرير الهند

**د. معراج أحمد معراج الندوي***

إن حركة "ريشمي رومال" كانت حركة سرية ضمن حركات التحرير الهندية استهدفت القضاء على الحكم الإنجليزي في الهند. حاولت هذه الحركة إخراج المستعمرين من الهند بالقوة العسكرية المسلحة ولكن لم تحتل هذه الحركة مكانة في تاريخ تحرير الهند كما ينبغي، مثلما احتلت حركات التحرير الأخرى. أما السبب في إخفائها وسريتها ، فإنها كانت حركة سرية ، لم يعرفها إلا من شارك فيها. وأما السبب الثاني فقادتها من العلماء المسلمين الذين لم يريدوا بهذه الحركة شهرة كالزعماء السياسيين الآخرين، بل إنهم آمنوا بالعمل المخلص. إنهم شاركوا في هذه الحركة ابتغاء لوجه الله تعالى في استخلاص الوطن من الاستبداد والظلم والطغيان ، ولاستعادة مجد الإسلام المفقود في الهند. فلم نجد ذكر هذه الحركة إلا في عدد من كتب تاريخ الهند ، ولم يتم إلقاء الأضواء على هذه الحركة ودورها البارز في تحرير البلاد كما ينبغي. ومن المعلوم أن المصادر الموجودة عن هذه الحركة ما هي إلا تقارير لجنة "رولات" الإنجليزية. فاعتبروها عبارة عن ثورة المسلمين الهنود على الحكومة الإنجليزية ، فأطلقوا عليها اسم "خطة الرسائل الحريرية" .

إن الفترة ما بين 1905– 1915 كانت مرحلة حاسمة من حيث الثورات القومية والدولية التي يعرفها كل من له أدنى إلمام بتاريخ حركة تحرير الهند. وفي

---

* الأستاذ المساعد ورئيس قسم اللغة العربية وآدابها سابقاً، جامعة عالية، كولكاتا.

هذه الفترة بدأ شيخ الهند محمود حسن الديوبندي رائد ومؤسس هذه الحركة السرية لطرد المستعمرين الأجانب من البلاد. إن شيخ الهند قد وضع خطة ساسية للقضاء على الحكم الإنجليزي بالقوة العسكرية. وكانت تهدف هذه الحركة إلى القضاء على الحكومة الإنجليزية الغاشمة في الهند ، وبالتالي في سائر المستعمرات البريطانية باستخدام القوة المسلحة.

لم تظهر هذه الحركة على صفحة الأرض فجأة ، بل إنها كانت نتيجة لمحاولة شيخ الهند التي امتدت على حوالي خمسين عاما، والمعلوم أن شيخ الهند كان من أتباع الشيخ محمد قاسم النانوتوي، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، والحاج إمداد الله الذين شاركوا في الثورة الكبرى عام 1857م ، بكل حماس وطني ونشاط ملحوظ، ولعبوا دورا فعالا في مقاومة الاستعمار البريطاني ، وبعد ما فشلوا في ميدان الحرب ضد الإنجليز ، قام هؤلاء العلماء الغيارى بإنشاء "دار العلوم ديوبند" ومراكز علمية أخرى يتمكنوا من استخدام أساليب جديدة أخرى لطرد الإنجليز من البلاد. وإن هؤلاء العلماء البارزين الذين أسسوا هذا المعهد للتعليم الإسلامي استولت الفكرة عليهم على أن يربوا شبابهم تربية إسلامية بعيدة عن تيار الاستعمار الإنجليزي، كما أرادوا أن يغرسوا في نفوس الطلاب حمية الدين وكراهية المستعمر، وروح الجهاد عن طريق تربية خاصة للمقاومة ضد الاستعمار.

وكان شيخ الهند أول خريج على أيدي هؤلاء العلماء المجاهدين ، فصاحبهم ورافقهم مدة طويلة واستفاد منهم وأخذ منهم هذه الفكرة – فكرة الجهاد ضد الاستعمار البريطاني– حتى أصبح تعبيرا صادقا لأحلامهم ، إذ أنه اتخذ طريقهم في تشريد الإنجليز بالقوة العسكرية فلأجل ذلك أنه أسس "ثمرة التربية" و "جمعية الأنصار" و "نظارة المعارف" لحشد الناس تحت لواء هذه المنظمات للمقاومة ضد الغاصبين. إن تأثير الأستاذ محمد قاسم النانوتوي قد أدى دورا فعالا في تكوين شخصية شيخ الهند وتقويم الفكر الجامع على المنهج الصحيح حتى أصبح خليفة له وحمل دعوته وكرس حياته للدعوة الإسلامية وإصلاح المجتمع. قام بمحاولات كثيرة في مجال

الدعوة وإصلاح المجتمع وإيقاظ المسلمين من سباتهم العميق وتوحيد صفوفهم. وكان شيخ الهند مصلحا كبيرا في تاريخ الهند يدعو إلى التربية لأن التربية عنده دور كبير في صنع الأفراد وتثقيف الناس وإصلاح المجتمع. وأنه كان يعتقد أن الإصلاح يأتي بالأفراد، فإذا صلح الناس صلح المجتمع بنفسه ، وأن الإصلاح الاجتماعي هو المصدر لكل الإصلاحات مثل الإصلاح الأخلاقي والديني والسياسي. وكان العصر الذي عاش فيه شيخ الهند عصرا مليئا بالأحداث والوقائع مثيرا للخواطر. فلم يكن من شأنه أن يجلس في غرفة الدراسة منعزلا عن الدنيا وعن أحوال المسلمين. وعلى الرغم من حبه للتدريس والإفادة لم يتوقف عن تقديم مساهمته في الكفاح ضد الاستعمار البريطاني الغاشم في سبيل تحرير البلاد. قد اتجه شيخ الهند إلى الإصلاح التربوي والثقافي والديني بعد ما رأى أن العلماء الأبرار والمجاهدين الكبار الذين أسسوا "هذه المدرسة" كمركز لمقاومة الاستعمار البريطاني لإعداد الأفراد ولإنقاذ الوطن من براثن الاستعمار قد ماتوا ولم يبق منهم إلا من شاء الله. فبدأ يفكر في البقاء على هذه المدرسة ورأى أن الخريجين من هذه الجامعة إذا اجتمعوا على منصة واحدة وتبنوا رسالة الجامعة وأفكارها القومية والسياسية والإصلاحية ونشرواها في كل ناحية من أنحاء العالم فمن الممكن أن تحقق الجامعة أهدافها المنشودة التي من أجلها قامت. وهي الحفاظ على بقاء الحياة الإسلامية ومكافحة تيار الغرب وثقافته. فلا بد أن تكون لهؤلاء الخريجين جمعية وندوة بواسطتها يتمكنوا من نشر العلوم الإسلامية في العالم كله، وايقاظ المسلمين ونهوضهم بهم ضد الاستعمار البريطاني وتوحيد المسلمين الهنود على منصة واحدة.

**ثمرة التربية:** بدأ شيخ الهند يفكر في تأسيس جمعية تكون نقطة التقاء عظيم الاهمية فيما بين هؤلاء الخريجين في الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند. فكان ذلك لأصحابه في اجتماع الذين وافقوه في رأيه وأيدوه فيه ووعدوا أنهم يبذلون كل ما في وسعهم في سبيل تحقيق ذلك. وبعده دخل على أستاذه الشيخ محمد قاسم النانوتوي وأخبره عن فكره ففرح أستاذه بهذه الفكرة وأسمى هذه الجمعية "ثمرة التربية"

نظرا إلى الأفكار التي كان يريد أن يغرسها في قلوب الطلاب والشباب المتخرجين الذين هم ثمرة لجهوده ومحاولته، كما كان يحلم بذلك منذ ثورة عام 1857م. فهذه الجمعية كانت أول ثمرة أثمرت الشجرة التي غرسها هو. فلم يمض أكثر من أسبوع حتى خرجت جمعية "ثمرة التربية" من حيز التفكير إلى حيز الوجود تحت زعامة شيخ الهند وعاونه الشباب المتخرجون من الجامعة كأعضاء وهم ثمانية عشر. ومن الأهداف الهامة لهذه الجمعية هي التعاون المالي للجامعة عند الحاجة والمساهمة في ارتقاءها وتطورها وكذلك إبلاغ رسالتها إلى كل طائفة من المسلمين الهنود. ومن الناحية الفكرية هذه الجمعية هدفت إلى إعداد الأفراد لمقاومة الاستعمار البريطاني لتكون تلافيا لثورة عام 1857م.[1]

كان شيخ الهند يريد أن يثير توعية المسلمين حول دينهم وثقافتهم ويوحدهم في صف واحد. وكان يريد أن يربي هذه الجماعة من المثقفين تربية خاصة وينفخ فيهم روح الدين وحب الجهاد لأنه رأى أن التربية هي الوسيلة الوحيدة للنهضة واليقظة. فملأ شيخ الهند قلوبهم بحب الوطن وحب الجهاد ضد الإنجليز الذين يحكمون وطنهم حكما جائرا ورفع صوته ضد الاستعمار البريطاني ودعاهم إلى الوعى القومي ومكافحة الظلم والطغيان. وبدأ ينفخ الحب للحرية والاستقلال في نفوس الناس ولكن مع الأسف الشديد أن عمر هذه الجمعية كان قصيرا فإنها تفككت سريعا عندما توفي عميدها الشيخ محمد قاسم النانوتوي وانتشر أعضائها في مختلف الأماكن واشتغلوا بالمشاغل الأخرى. بدأت جمعية "ثمرة التربية" تضمحل ثم توقفت أخيرا في الهند فيما بعد ولكن نشاطاتها كانت تجري في مناطق السند. ومن المعلوم أن الطلاب من هذه المناطق يقصدون إلى دار العلوم ديوبند لتحصيل العلم والتربية ويتأثرون بشيخ الهند وبأفكاره الملية والإسلامية والسياسية تأثيرا كبيرا. وبعد تخرجهم من دار العلوم ديوبند يرجعون إلى أوطانهم ويقومون بإنشاء مدارس ومكاتب ومراكز إسلامية. وكان لهذه المدارس والمراكز فضل كبير في نشر الدين والدعوة الإسلامية والثقافة الإسلامية في هذه المناطق. وإن هؤلاء الشباب المثقفين حاملي رسالة الإسلام ودعوة الحرية

انتشروا في كل ناحية من هذه المناطق وبدأوا يدعون الناس إلى دينهم ويوحدون ويوقظون المسلمين وينفخون في قلوبهم روح الدين وحب الوطن وحثوهم على الجهاد ضد الاستعمار البريطاني وقاموا بحركة الجهاد في السند وعلى رأسهم غلام محمد الدين وأوجدوا صلاتها بشيخ الهند. وعندما تخرج الشيخ عبيد الله السندي رجع إلى وطنه وانضم إلى هذه الحركة حتى أصبحت قوة سياسية في منطقة سند. وله فضل كبير في تحريض الناس على الجهاد فتبلورت فكرة الجهاد ضد العدو المغتصب. وقد اجتمع حوله بعض المخلصين الشجعان الذين لم يعرفوا اليأس والخوف. فامتلأت قلوب الناس بحرارة الإيمان.

**جمعية الأنصار:** وفي عام 1909م قد أسس شيخ الهند جمعية أخرى تمثل المتخرجين من دار العلوم ديوبند وأسماها "جمعية الأنصار" وذلك لمواصلة حركته السرية لتحرير الوطن. وكلف أحد تلاميذه الأبرار الشيخ عبيد الله السندي تنظيم شؤونها. يقول الشيخ عبيد الله السندي في هذا الصدد: "وفي عام 1909 طلبني شيخ الهند إلى ديوبند فأخبرته بكل ما كان يجري من نشاطات المجاهدين في السند، فأمرني أن أقيم معه في ديوبند وأتولى مسئولية العناية أمور السند منها. هكذا كنت مشغولا في أمور جمعية الأنصار لأربع سنوات تقريبا".[2] وكانت هذه الجمعية لعامة الناس. أراد شيخ الهند أن يعرف بها العلماء الكبار والمسلمين الهنود ويفهمهم ضرورة وجودها وأهميتها لأنه كان يعتقد أن جمعية الأنصار خير وسيلة تنهض بالشعب المسلم الهندي وترفعهم إلى مستوى الأمم الناهضة مع الاهتمام بالتعليم الديني. رأى شيخ الهند أن ضعف المسلمين في الدين هو سبب جمودهم وتدهورهم وتخلفهم لأنهم ابتعدوا عن تعاليم الإسلام التي ينص على تحصيلها القرآن الكريم. إنهم اكتفوا بالأسماء الإسلامية وورثوا عن الآباء والأمهات صور عبادات لا تحرك في صدرهم شيئا من الاهتمام. وأن المسلمين فقدوا الثقة بأنفسهم ولم يوجد لديهم أمل في نهوض بلادهم. فلما انسل ضعف العقيدة والجهل بالدين في صفوف المسلمين على اختلاف طبقاتهم إلا من عصم الله، انطفأ مصباح العقل. فلا يعرفون رابطة

يرتبطون بها ولا يهتدون إلى حركة أو جامعة يلجأون إليها. ففي هذه الظروف الحالكة أراد شيخ الهند أن يعرف بهذه الجمعية المسلمين عامة والعلماء خاصة لتكون منصة للاعتناء، وندوة لتبادل الآراء والأفكار. ولأجل ذلك فكر أن يعقد الجلسة السنوية لدار العلوم التي توقفت منذ سنين لأسباب شتى. ومن الجدير بالذكر أن قائد حركة التحرير الشيخ غلام محمد بوري ومولانا محمد الأمروتي حضرا هذه الجلسة. وقد اتفق كل من حضر على فكرة شيخ الهند وأدركوا بالحاجة لتأسيس جمعية. وبعد ما انتهت الجلسة بنجاح كامل في الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند بدأ ينضم إلى هذه الجمعية كبار العلماء أمثال الأستاذ عبد الرحيم الرائي فوري، والمحدث الكبير أحمد حسن، والعلامة خليل أحمد وغيرهم كثيرون. وسلط عبيد الله السندي الضوء على الأثر الذي ترتب على طلاب دار العلوم ديوبند فأثارت عواطف الحماسة في نفوس الطلاب وبدأوا يلتفون حول لواء جمعية الأنصار ويقتربون إلى شيخ الهند.[3] ومن الأغراض السامية لهذه الجمعية هو إيجاد جو الحرية في البلاد ضد الاستعمار البريطاني وصنع الأفراد وتربيتهم على مكارم الدين والدعوة. فكانت أهدافها عبارة عن دعوة إلى الحرب العسكرية التي كان يحلم بها العلماء السابقون الذين قاموا بتأسيس هذه الجامعة. فكان شيخ الهند يريد أن يحقق ذلك الهدف عن طريق "جمعية الأنصار" وأن يعيد الشعب المسلم إلى الإسلام من جديد وينفخ فيهم روح الدين والدعوة إلى الدين وفكرة الحرية والاستقلال. بذلك استطاعوا الحفاظ على الحياة الإسلامية ومكافحة تيار الغرب وثقافته. كما قال تلميذه الرشيد الشيخ حسين أحمد المدني: "قد أسس شيخ الهند "جمعية الأنصار" من أجل إحداث التنسيق فيما بين عامة المسلمين والوصول إليهم برسالة الجامعة النبيلة. فمن أوائل أعماله التي قام بها شيخ الهند هو توحيد صفوف المسلمين على أساس الكتاب والسنة وإيقاظ الصحوة الإسلامية فيهم".[4] عقدت "جمعية الأنصار" جلستها تحت لواءها خارج حرم الجامعة في مدينة مرادآباد بولاية أترابراديش في شهر أبريل عام 1911م برئاسة المحدث الكبير أحمد حسن الذي قال في خطبته: "إن جمعية الأنصار هي

جمعية جديدة في نوعها. وليست هي جمعية عامة أو منظمة ، ولا تهدف هذه الجمعية إلى تحقيق غرض دنياوي بل منشودها أن تحقق الأهداف السامية التي يقتضيها الزمن.[5] أثارت هذه الجلسة قلق الحكومة الإنجليزية وبدأت الحكومة تراقب أعضاءها وتنظر إلى هذه الجمعية نظرة الشك والارتياب. إن جمعية الأنصار كانت تهدف إلى تبليغ الدين النقي الطاهر وتوصيل تعاليم الإسلام السمحة إلى عامة الناس وتدريس الكتب الدينية في مختلف المناطق الهندية وترويج اللغة العربية والثقافة الإسلامية بين المسلمين وعقدت الجلسات في كل مدينة من المدن الهندية المختلفة لإيقاظ المسلمين ورفع مستواهم التعليمي. وكذلك كانت تهدف الجمعية إلى تربية خاصة للمتخرجين من دار العلوم ديوبند ليكونوا دعاة ومحتسبين ومجاهدين في سبيل الله. وكما ذكرنا أن شيخ الهند يريد أن يوقظ المسلمين ويوحدهم على منصة واحدة. وهنا يبدو من المناسب أن نورد مقتبسات من الخطبة التي ألقاها شيخ الهند في جلستها الأولى في مراد آباد. وهذه الخطبة توضح الأهداف والمقاصد التي لأجلها أقيمت هذه الجمعية. فقال شيخ الهند: "إن الحاجة التي دعت إلى تأسيس هذه الجمعية هي الآراء الباطلة التي انتشرت في كل ناحية من أنحاء بلادنا ضد الإسلام والمسلمين. فلابد أن نقوم بالرد عليها بدلائل واضحة وبراهين قاطعة في ضوء العلوم الطبيعية والقضاء على الفتن المنتشرة ضد المسلمين وعلى الحركات الهدامة أمثال الآرية وشدهي كرن. فإن جمعية الأنصار لها أهيمة كبيرة وحاجة ماسة في وقتنا الحاضر. وأعتقد أن العلماء الذين يحملون في جنبهم حمية الإسلام والأخوة الإسلامية يؤيدونها جهد طاقتهم في سبيل تحقيق هذا الهدف السامي.

[6]انعقدت الجلسة الثانية تحت لوائها في مدينة ميروت واستمرت ثلاثة أيام ورأسها حكيم الأمة أشرف على التهانوي. ثم انعقدت جلستها الثالثة والرابعة في نفس العام في مدينة شمله. حضرهما العلماء الكبار أمثال العلامة مرتضى التشاندبوري ، والعلامة شبير أحمد العثماني وأحمد حسن وغيرهم. وفي مدة قليلة بدأت "جمعية الأنصار" تحقق أهدافها في إيقاظ المسلمين وتوحيد صفوفهم. وبدأت تظهر الصحوة

الإسلامية والوعي القومي في كل مكان، وبدأ المسلمون يعودون إلى الكتاب والسنة والناس يرتبطون بهذه الجمعية ويعتمدون على قيادة العلماء المخلصين. هكذا نفخت جمعية الأنصار روح الإيمان في قلوب المسلمين من جديد فأجرت دماءها في شرايينهم وجددت الثقة بأنفسهم وأشعلت شعلة الجهاد في الشباب المسلمين ضد الاستعمار البريطاني. وإن لم تذكر في جلساتها عن الاستعمار البريطاني شيئا ولكن الحكومة الإنجليزية أدركت الخطر وخافت من يقظة المسلمين وصحوتهم والرجوع إلى دينهم الحنيف وثقافتهم الإسلامية الطاهرة وظنت إذا اتحد المسلمون واجتمعوا على مركز واحد واصطفوا على منصة واحدة فلا يمكن لها أن تحكم هذه البلاد مدة طويلة. فبدأ الحكام الإنجليز يراقبون وينظرون إلى هذه الجمعية وأعضاءها ومنبعها ومخرجها دار العلوم ديوبند نظرة الشك والارتياب. وقد تغيرت الظروف والأحوال لأسباب مختلفة فخاف شيخ الهند وأصحابه على بقاء دار العلوم من الحكومة الإنجليزية لأن دار العلوم كانت مركزا واحدا للمقاومة ومصدرا وحيدا لهذه الحركات والجمعيات. فأوقفوا نشاطاتهم خوفا من إقفال الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند. وعندما زاد الخطر أرسل شيخ الهند تلميذه الرشيد عبيد الله السندي الذي كان رائدا فعالا لهذه الجمعية إلى دلهي.

**نظارة المعارف القرآنية:** كان شيخ الهند من أوائل الدعاة إلى تحقيق عدد كبير من المشروعات الإصلاحية والثقافية والاجتماعية. وله دور مشكور في إصلاح المجتمع الهندي وتثقيف المسلمين. وهو أول متخرج من المدرسة التي قامت للمقاومة ضد الاستعمار البريطاني. والجدير بالذكر أن شيخ الهند قد ربى فئة من تلاميذه من خلال دروسه تربية خاصة ومنهم الشيخ عبيد الله السندي رائد "جمعيةالأنصار" فلما أوقفت جمعية الأنصار نشاطاتها أرسل شيخ الهند الشيخ عبيد الله السندي إلى دلهي حيث قام بتأسيس مدرسة في مسجد فتحبوري برئاسة النواب (أي لأمير) وقار الملك والحكيم أجمل خان وأسماها "نظارة المعارف القرآنية" التي هدفت إلى نشر تعاليم القرآن في ضوء العلوم الطبيعية مما يطابق أحكام العقل

والفكر، والتي قصدت إلى إخراج الشبان المسلمين من براثن المسيحيين علما بأن الشبان المسلمين الذين يتعلمون في الكليات الإنجليزية في دهلي يغرس المسيحيون في قلوبهم الشك والارتياب بخصوص إيمانهم ودينهم ويبذرون بذور الإلحاد والكفر في نفوسهم. فكان الشيخ عبيد الله السندي يحاول إزالة هذه الأفكار من الكفر والإلحاد من قلوبهم ويطهرهم ويزكيهم ويغرس في نفوسهم حب الإيمان وحقيقة الإسلام من خلال دروسه في القرآن الكريم. وكان يفسر القرآن في أسلوب جديد. وكان لهذه الدروس أثر بعيد المدى. ورسم الشيخ السندي طريقا جديدا لطلاب الجامعات كي يتطلعوا إلى الآفاق ويفهموا الحضارات الحديثة ويستفيدوا من تطورات الفكر الإنساني ويسيروا مع الزمن. ومما يسترعي النظر هو أن دروسه في تفسير القرآن هي دروس تنبعث من كل كلمة من كلماتها روح المعاصرة والدعوة إلى التحرير والتجديد والبعد عن التقاليد البالية وخلق الامتزاج بين روح الإسلام ومطالب الحياة العصرية. مال الشبان إليه ميلا عظيما لأنهم وجدوا في الإسلام ما يوافق روح العصر. استهدفت هذه المدرسة إلى إيجاد جيل يكون بلونه وعنصره هنديا وبقلبه وعقله إسلاميا تموج نفسه بالعواطف الإسلامية وتتغذى روحه بالثقافة الإسلامية والحضارة الشرقية. كان الشيخ عبيد الله السندي يريد أن يعيد هذا الجيل الجديد من المسلمين إلى الإسلام من جديد فيوقظ فيهم روح القومية والوحدة الإسلامية. ولم تمض على ذلك سنتان إلا وبدأت مجهوداته تثمر. وكان الشيخ السندي يدرس القرآن الكريم والسنة النبوية كمصدرين أساسيين للشريعة الإسلامية ويفسر العلوم النقلية في ضوء العلوم العصرية حتى قدم عليه شيخ الهند يوما وقال: "ما دام الإنجليز يحكمون البلاد سيكون من الصعب لك أن تهدي عشرة أو عشرين شخصا بينما يضل الإنجليز آلافا من الناس بالإلحاد والزندقة[7] وقد أمره أن يذهب إلى كابول لخلق الجو للثورة ضد الاستعمار البريطاني. فذهب الشيخ عبيد الله السندي إلى كابول حيث لعب دورا كبيرا في توحيد المسلمين لإستقلال الهند. وفي نهاية المطاف توقفت نظارة المعارف القرآنية أيضا ولكنها خلفت آثارا بعيدة المدى.

**حركة ريشمي رومال:**

ولما وقعت الحرب العالمية الأولى اشتغل المستعمرون في شؤونهم الداخلية، فأراد شيخ الهند أن ينتهز هذه الفرصة ضد الاستعمار البريطاني لأنه رأى أن هذا الوقت هو الوقت المناسب أن تقام الثورة ضد الحكومة الإنجليزية في الهند ، فأعد خطة سرية للثورة المسلحة للقضاء على الحكومة الإنجليزية وبدأ ينشئ مراكز سرية في مختلف الأماكن في الهند ومراكز أخرى للمهاجمة عليها من خارج البلاد. أرسل تلميذه البار الشيخ عبيد الله السندي إلى "كابول" المقر الرئيسي لهذه الحركة ، حيث كان المجاهدون مشغولين في الإعداد للجهاد ضد الحكومة البريطانية في الهند.

**الخطة الأولى:** قد أعد شيخ الهند خطة متعددة النواحي لهذه الحركة السرية فأول خطة أعدها شيخ الهند هي إقامة السفارات في الدول الأخرى ، فقام شيخ الهند بإرسال بعثات متعددة إلى الدول المختلفة. وفي هذا الصدد أرسل أول بعثته إلى الصين والبورما تحت قيادة الشيخ مقبول الرحمن الذي كان متخرجا في الجامعة الإسلامية بديوبند وجعل شوكت علي مترجما لهذه البعثة. ثم أرسل بعثة أخرى إلى اليابان تحت قيادة البروفسور بركت الله ، وهذه البعثة تكونت من خمسة أعضاء. والبعثة الثالثة أرسلها إلى ألمانيا تحت قيادة تشودهري راحت علي وعين رام تشاندار معينا له. والبعثة الرابعة أرسلها إلى أمريكا تحت قيادة هرديال سينغ، وهذه البعثة تكونت من ستة أعضاء. لعبت هذه البعثات دورا فعالا في الحصول على التأييد من هذه الحكومات المختلفة حتى نجد أن ألمانيا أرسلت ثلاث طائرات زاخرة بالأسحلة إلى حدود الهند ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل بسبب انكشاف السر فرجعت هذه الطائرات مع الأسلحة.[8]

**الخطة الثانية:** أما الخطة الثانية التي أعدها شيخ الهند ، فهي إدخال أعضاء هذه الحركة السرية في القوات الإنجليزية للمخابرات عن خطة الحرب، ولكي يكونوا مطلعين إذا هاجمت الدول الأجنبية الأخرى على الهند. فيمكن لهم أن يكونوا مستعدين ومتحدثين للثورة العسكرية ضد الإنجليز. قاد هذه الجماعة الدكتور مختار

أحمد الأنصاري الذي كانت له صلة بالشؤون الخارجية الهندية. وعلاوة على ذلك أدخل شيخ الهند الكثير من رجاله في القوات الذين تظاهروا أنهم أوفياء للحكومة الإنجليزية ولكنهم تآمروا ضدها.

**والخطة الثالثة:** أنشأ شيخ الهند تسعة مراكز سرية في مختلف أرجاء الهند ، وهذه المراكز استهدفت حث الناس على الجهاد وإيجاد الجو للثورة الشعبية، وأسس شيخ الهند مركزا في لاهور تحت قيادة مولانا أبو السراج غلام محمد، ومركزا في كراتشي تحت قيادة مولانا محمد صادق الذي أثار الثورة في "لس بيلا" ومركزا في "إتمان زي" تحت قيادة خان عبد الغفار خان، وترك زي تحت قيادة مولانا فضل واحد ربي. وكانت هناك مراكز أخرى في داخل البلاد تحث الناس على الثورة المسلحة ضد الحكومة الإنجليزية.

**الخطة الرابعة:** هي أن أنشأ شيخ الهند خمسة مراكز في خارج الهند في تركيا، والمدينة المنورة، وبرلين ، والقسطنطينية ، وأنقره. ومن الجدير بالذكر أن البعثة التي أرسلها شيخ الهند إلى ألمانيا أوجدت العلاقة بين تركيا وألمانيا، وأما مركز " كابول" في أفغانستان كان هو المقر الرئيسي لهذه الحركة حيث أقام الشيخ عبيد الله السندي مع أصحابه حكومة هندية مؤقتة ، حصلت على تأييد حكومة أفغانستان وتركيا وروسيا وألمانيا. وهذه هي أول حكومة هندية مؤقتة في تاريخ الهند الجديد.[9]

وضع شيخ الهند هذه الخطط كلها لتخليص الهند من أيدي الإنجليز الماكرين وهيأ لها جماعة من تلاميذه وممن يثق بهم من أصحابه ، فأرسل بعض تلاميذه إلى أفغانستان، وكان على اتصال دائم بينه مع تلاميذه وأصحابه في الحدود الشمالية وفي أفغانستان. ولما تم ذلك مهدوا الأرض للثورة للمهاجمة على الحكومة الإنجليزية من خارج الهند، طلبوا من شيخ الهند أن يصل هناك لقيادة الثورة فأرسل شيخ الهند تلميذه البار الشيخ عبيد الله السندي إلى "كابول" فغادر إليها تنفيذا لحكم شيخه وتحقيقا لمنشوده، ولو أن شيخ الهند لم يخبره عن خطته وعن نشاطات

المجاهدين خوفا من اعتقاله وانكشاف السر. فلما وصل الشيخ عبيد الله السندي وشاهد كل ما أعد شيخ الهند خلال خمسين عاما وعلم عن خطته للثورة المسلحة أعجب به كثيرا حتى قال في هذه الصدد: "ولما وصلت إلى كابول علمت أن شيخ الهند كان قد أعد جماعة في خمسين عاما، ومحاولات هذه الجماعة غير المنسقة تحتاج إلى خادم كمثلي. فبدأت أشعر بالغبطة لهذه الهجرة كما اختارني شيخ الهند خادما لهذا العمل الجليل. [10]

بدأ الشيخ عبيد الله السندي أعماله وفقا لهذه الخطة التي أعدها شيخ الهند. فبعد ما جمع المجاهدين على منصة واحدة وتحت رأية واحدة قام بتأسيس حكومة هندية مؤقتة في كابول: وكان مهندر برتاب سينغ رئيسا لهذه الحكومة المؤقتة الهندية وتم تعيين البروفيسور بركت الله رئيسا للوزراء. وكان الشيخ عبيد الله السندي وزيرا للشؤون الهندية. ثم أقامت هذه الحكومة المؤقتة اتصالات مع الدول الأخرى من أمثال روسيا ، وتركيا وألمانيا، وتشكلت جماعة المجاهدين باسم "الجنود الربانية" وكان مركز هذه الجماعة في المدينة المنورة. وكان شيخ الهند قائدا عاما لهذا الجيش "الجنود الربانية". [11]

ولما استعد المجاهدون كل الاستعداد للثورة وطلبوا من شيخ الهند أن يحصل على تأييد الحكومات الأخرى للمهاجمة على الهند وإثارة الثورة ضد الحكومة الإنجليزية الغاشمة، سافر شيخ الهند إلى الحجاز وأقام بمكة المكرمة وقابل غالب باشا سرا وحصل منه على رسالة في تأييد هذه الثورة. وهذه الرسالة تعرف في التاريخ ب"غالب نامه" ثم سافر شيخ الهند إلى المدينة المنورة حيث قابل أنورباشا وزير الحرب التركي، وجمال باشا القائد العام للجيش العثماني وفوضهما في إعانة المسلمين ونفي الإنجليز الماكرين منها، وأخذ منهما رسائل سرية إلى شعب الهند تضمنت الوعد لتأييد القضية الهندية ، وأرسلها إلى المجاهدين عن طريق سري. فلما وصلت هذه الرسائل ورسالة من قبل الحكومة التركية الإسلامية استعد الناس للجهاد وإخراج المستعمرين من بلادهم. ثم أرسل شيخ الهند رسالة إلى الحكومة المؤقتة

وطلب منها تحديد تاريخ الهجوم كي يصل الجيش العثماني حسب الخطة، ومن الجدير بالذكر أن الخطة التي أعدها شيخ الهند استهدفت الهجوم على الهند بالقوات الخارجية وإثارة الثورة من مراكز الجهاد من داخلها. فهكذا لا يمكن للحكومة الإنجليزية أن تتغلب على هذه الظروف فجأة. ولا يمكن المفر للإنجليز إلا الخروج من الهند. أجاب الشيخ عبيد الله السندي برسالة مكتوبة على قماش حريري وفيه ختم الحكومة الهندية المؤقتة وحكومة أفغانستان مع ذكر تاريخ الهجوم 19 من فبراير عام 1917م.[12] وأرسلها إلى شيخ الهند في المدينة المنورة كي يطلع شيخ الهند الحكومة التركية حتى ترسل قواتها إلى أفغانستان. ومن هنا تتم الهجوم على الهند. وكاد العمل يتحقق وظهرت بارقة النجاح إذا انكشفت الخطة. وكانت هذه الرسالة التي عثر عليها رجال المخابرات الإنجليزية مكتوبة على قماش حريري ولأجلها سماها "خطة الرسائل الحريرية" ونسبة إلى ذلك عرفت هذه الحركة "حركة ريشمي رومال" بين عامة الناس. وتباعا لذلك ألقى القبض على شيخ الهند مع اصحابه في مكة المكرمة واعتقلوهم في مالطة. وبقوا هؤلاء في السجن ثلاثة أعوام وشهرين. ولما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها وأخفقت هذه الثورة وخمدت نارها صدر الأمر بإطلاق سراحهم.

**ملخص البحث:** عن طريق قيامنا بدراسة تحليلة لهذه الحركة السرية ودورها البارز في تحرير الوطن من براثن الاستعمار الإنجليزي نتوصل إلى أنه لو كان كتب النجاح لهذه الخطة لا نقطع الحكم البريطاني الغاشم في الهند قبل استقلالنا بكثير. وكذلك نود التأكيد عن طريق هذه الدراسة أن شيخ الهند لعب دورا هاما في تحرير الهند بتأسيس هذه الحركة السرية لتخليص الوطن من براثن الإنجليز. وهكذا أدى الأمانة التي حملها من الشيخ قاسم النانوتوي والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي وبلغ رسالة "الجامعة" دار العلوم ديوبند التي لأجلها قامت وهي مقاومة الاستعمار البريطاني في الهند. يقول عن ذلك الشيخ أبوالحسن علي الندوي: "كان رئيس أساتذة دار العلوم ديوبند مولانا محمود حسن الذي اشتهر بعد بلقب شيخ الهند من كبار

الحاقدين على الحكومة الإنجليزية. ولا نعرف أحدا بعد السلطان تيبو من يبلغ في عداء الإنجليز والاهتمام بأمرهم. ومن كبار أنصار الدولة التي كانت زعيمة العالم الإسلامي، وحاملة لواء الخلافة وكان من كبار الدعاة إلى استقلال الهند وتأسيس الحكومة الوطنية الحرة. وكان من الذين ملكتهم هذه القضية وتفاني فيها".[13] إن الخطة التي أعدها شيخ الهند لتحرير الهند تمثل بابا ذهبيا في تاريخ حركة تحرير الهند. وإن البطولات التي قام بها هؤلاء الأبطال الأبرار تستحق بأن تكتب بماء من الذهب. وإن الحركة التي أسسوها تنير الطريق للجيل الحالي وللأجيال القادمة. والحق أن شيخ الهند كان قائدا سياسيا وبطلا حرا من طراز ممتاز، لا يوجد له مثيل في التاريخ. وإليه يرجع الفضل في تأسيس هذه الحركة السرية "ريشمي رومال" التي خلفت آثارها بعيدة المدى. وبالرغم من أن هذه الحركة فشلت ولم تحقق أهدافها وأصبحت اليوم حركة مجهولة في تاريخ تحرير الهند، ولكن الدور البارز الذي لعبته هذه الحركة لا يمكن لأحد أن يغض عنه البصر. وإن الآثار التي تركتها حركة ريشمي رومال تنطق بلسانها ولا سبيل إلى انكارها والجحود بها. وإن كانت هذه الحركة الثورية فشلت في تحقيق أهدافها ولكنها مهدت السبيل لحركات التحرير الوطنية الأخرى وقدمت نمطا جديدا في مقاومة الاستعمار البريطاني كما نجد أن حركة شباش تشاندار بوش المتمثلة في "آزاد هند فوج" قامت على نمطها بعد عشرين عاما.

## المراجع والمصادر

[1]سيد محمد ميان : أسيران مالطة ، ص 12، دار الكتاب ديوبند 2002م

[2]ذاتي دائري للشيخ عبيد الله السندي ، ص 20 ، مكتبه ديوبند 1996م

[3]ماهنامه القاسم، ص 20 اكتوبر 1984 الصادرة من ديوبند

[4]نقش حيات للشيخ حسين أحمد المدني ج 2، ص 137 ، مكتبه ديوبند 1999م

[5]سيد محمد ميان: علماء هند كا شاندار ماضي:،ج 5، ص 119، كتابستان قاسم جان استريت دهلي 1957م

[6]مولانا أسير أدروي: حضرت شيخ الهند: حيات اور كارنامي، ص 29 ، شيخ الهند اكيدمي دار العلوم ديوبند 1998م.

[7]سيد محمد ميان:أسيران مالطة ص 46 ، دار الكتاب ديوبند 2002م

[8]مولانا أسير أدروي: حضرت شيخ الهند: حيات اور كارنامي، ص 196، شيخ الهند اكيدمي دار العلوم ديوبند 1998م.

[9]نفس المصدر ص 197

[10] سيد محمد ميان: علماء حق اور ان كى مجاهدانه كارنامي،ج،1 ص، 94، فيصل بريس، ديوبند 2003م

[11] محمد سلمان منصورفوري: تحريك آزادي هند مين مسلم علماء كا كردار ص، 82 زمزم بك دبو، 1421ھ

[12] عبد المنعم النمر: كفاح المسلمين في تحرير الهند ،ص.124 ، مكتبه وهبة 14 شارع الجمهورية بعابدين مصر، 1967م.

[13] أبو الحسن علي الندوي: المسلمون في الهند، ص. 179 المجتمع الإسلامي العلمي لندوة العلماء لكناؤ، 1998م.

# الدولة المغولية وأسباب انحطاطها

**د. محمود عالم الصديقي***

لا يخفى على كل من له أدنى إلمام بتاريخ الهند أن المسلمين لهم تاريخ طويل ومجيد في الهند، فقد حكموها لفترة طويلة تقدر بحوالي 667 سنة. وأول من وطأت أقدامهم هذه الأرض من الأمة المسلمة كانوا هم التجار العرب الذين استوطنوا ساحل مالابار[1]. فإن الإسلام انتشر في الهند الجنوبية كنتيجة للعلاقات التجارية والثقافية التي وجدت بين الهند والدول العربية منذ ثلاثة ملايين سنة قبل الميلاد والتي ازدادت بصورة ملحوظة في القرن السابع أي قبيل ظهور الإسلام. ويشهد بذلك المؤرخ الكبير تارا تشاند قائلا: " في القرن الثامن بدأ يزداد نفوذ المسلمين (في الهند) واستقروا في ساحل مالابار، وقد رحبت بهم الحكومات الوطنية كتجار ووفرت لهم تسهيلات للاستقرار، ومنحتهم حق امتلاك العقار وأطلقت لهم الحرية الدينية. وما إن استقروا حتى قاموا بالدعاية لدينهم، لأن الإسلام دين دعوة وكل مسلم بطبيعته مبشر لدينه. ونالوا كثيرا من الاحترام من الناس إذ لم يكن شأنهم كشأن النصارى السوريين الذين اضطهدوا وطردوا من أوطانهم، بل قدم المسلمون إلى أرض الهند معززين ومحترمين تتقد أفئدتهم بحماسة دينهم الجديد، وتتقوى هممهم بعظمة الفتوح الجليلة والبلد الوسيع. وفي بداية القرن التاسع أنهم انتشروا في الساحل الهندي كله، وأحدثوا ضجة بين أبناء البلاد من الهندوس بمعتقداتهم وتحمسهم لنشر دينهم."[2] فانتشر

---

* الأستاذ المساعد الأكاديمية البحرية الهندية، بـ إينيمالا، في كيرالا، الهند.

الإسلام في سواحل الهند الغربية والجنوبية، وفضل هذا يعود إلى هؤلاء التجار العرب الذين لم يألوا جهدا في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية في الهند.

ولكن انتشار الإسلام في الهند الشرقية كان نتيجة للغزوات والحملات المتعاقبة التي قام بها الغزاة المسلمون في نشر الإسلام والتعاليم الإسلامية في الهند. وكان محمد بن القاسم الثقفي أول من دخل في الهند من الغزاة المسلمين في العهد الأموي. ثم بدأت سلسلة دخول الغزاة المسلمين[3] فيها حتى أقام فيها معزالدين الغوري عام1190م دولة إسلامية راسخة امتدت إلى قرون باختلاف الأسر من الغورية الحاكمة منذ عام 1190م حتى عام 1208م والمملوكية الحاكمة منذ عام 1208م حتى عام 1290م والأسرة الخلجية الحاكمة منذ عام 1290م حتى عام 1320م والأسرة التغلقية الحاكمة منذ عام 1320م حتى عام 1414م وأسرة السادات الحاكمة منذ عام1414 حتى عام 1451م والأسرة اللودهية الحاكمة منذ عام 1451م حتى عام 1526م ثم قامت على أنقاضها الدولة المغولية التي بلغت من القوة والاتساع، حدا لم تشهده أية دولة إسلامية سابقة في الهند والتي استمرت حتى عام 1857م.

**الدولة المغولية**

أدى انتصار بابر[4]على السلطان إبراهيم اللودهي في حرب باني بت التي وقعت عام 1526م، إلى تأسيس الدولة المغولية وهي أعظم إمبراطورية إسلامية في الهند، دامت أكثر من ثلاثة قرون. وتنقسم هذه الفترة الطويلة للحكم المغولي إلى ثلاثة أدوار[5]. والدور الأول من هذه الأدوار هو دور تأسيس الدولة المغولية وتوطيد أركانها. ففي سنة 1526م جاء ظهير الدين محمد بابر من كابل فاتحا الهند وأسس الدولة المغولية التي تولى عرشها ابنه نصيرالدين همايون الذي إنهزم في حرب بلغرام التي وقعت بينه وبين شير شاه السوري عام 1539م وانتزع شير شاه السوري البلاد منه، وفر همايون إلى إيران ولحق بملكها ثم عاد وقاتل سكندر شاه السوري

بالقرب من "سرهند" في يوليو من عام 1555م وهزمه ثم سار إلى دلهي وآكره وانتزع الحكومة من السوريين بعد أن حكموا في الهند نحو 15 سنة وأسس من جديد الدولة المغولية[6] ولكن قبل أن يقوم بتوطيد أركان الدولة وافته المنية في 26 من يناير،عام 1556م. فانتهى الدور الأول للإمبراطورية المغولية بوفاة الملك المغولي نصيرالدين همايون.

والدور الثاني هو دور توسيع الدولة المغولية الإسلامية واستقرارها وتطوير العلوم والفنون فيها، وإن هذا الدور كان يتمتع بسيادة الأمن والسلامة وشيوع الرخاء والازدهار وأكبر دليل على ذلك شهادة المؤرخ الكبير J. Sarkar، الذي أدرج في كتابه "Fall of the Mughal Empire" عن انجازات الإمبراطورية المغولية التي حققتها بعد وفاة همايون خلال مائة وثلاثين سنة التالية قائلا: "بأن الإمبراطورية المغولية قد قطعت شوطا كبيرا في توسيع رقعة الدولة وإنعاش إقتصادها وتعزيز قواتها المسلحة وترويج العلوم والفنون وتطوير الصناعة بحيث أنها لم تبهر العالم الآسيوي فحسب بل أبهرت العالم كله، فإن الهند كلها خضعت لحكم واحد، وتم تنظيم جميع نواحي البلاد تحت نظام واحد، وتم صياغتها في ثقافة واحدة بالإضافة إلى ذلك تم استقرار الأمن والسلامة في كل ناحية من نواحي البلاد حتى أصبحت الشوارع والطرق مأمونة من خطر النهب والسرقة وتطورت الموارد الإقتصادية وتعززت العلاقات الخارجية. وبفضل سيادة الرخاء والسلام ورعاية البلاط تمكنت الهند من حصاد الثمرات الطيبة في مجال الأدب والصناعة وفن الرسم والعمارة، التي أبلغت الهند إلى القمة الرفيعة بين البلدان المتحضرة."[7]

ويجدر بالذكر أن هذا الدور قد شهد حكما لعظام الملوك المغول الأربعة الذين يعتبرون عماد الإمبراطورية المغولية وعباقرة ملوك العالم، فكان لهم شأن كبير في الحكومة مع إقامة العدل والمساواة وهم: جلال الدين محمد أكبر(1542 – 1605م) الذي حكم البلاد منذ عام 1555م حتى وفاته عام1605م و"سليم نورالدين جهانغير" (1569 – 1627 ) الذي حكمها مِن عام 1605 حتى وفاته

عام 1627م ، وشهاب الدين خرم شاه جهان (1594 – 1666) ) الذي حكمها مِن عام 1628م إلى عام 1658م ومحي الدين أورنغ زيب (1618 – 1707م) الذي حكم البلاد من عام 1658م حتى وفاته عام1707م.

الملك المغولي **جلال الدين أكبر**[8] قد تولى عرش الدولة بعد أبيه همايون عام 1556م، ثم قام بتوطيد أركانها وقضى على الثوار، وأقر الأمن والسلام وأوجد الإتحاد الديني والإنسجام الطائفي وما زال يحكم بهذا الأسلوب البديع حتى وافاه الأجل عام 1605م ثم خلفه ابنه **سليم نورالدين جهانغير** الذي حكم نحو22 سنة، وأول شيء قام به هو القضاء على الخارجين عليه وعلى الدولة، ثم كرس اهتمامه على توسيع رقعة الدولة، ففتح كانغره، وأحمد نغر،ثم قام بالإصلاحات، فأبطل أشد العقوبات مثل المثلة،[9] وحرم سجدة التحية للملك، كما حرم الأفيون والمسكرات وأقام خانات في كل منطقة من مناطق المملكة وحفر آبارا لتوفير المياه العذبة لعامة الناس وأبناء السبيل، وأبطل جميع المحاصيل غير اللازمة[10]. وتوفى الملك المغولي جهانغيرعام 1627م. فصار ابنه **خرم شاهجهان خليفة** له وأخذ زمام الحكومة بعد أن تمكن من الانتصار على أخيه شهر يار، ثم فتح بلخ وبخارا وكان يريد أن يوسع مملكته إلى حدود قندهار في الغرب وإلى دكن في جنوب الهند ولكن القدر لم يمهله فانه مرض مرضا شديدا حتى وجد إبنه **محي الدين أورنغ زيب** فرصة أن يستولى على السلطة وأن يحبس أباه، فعزله وسجنه في قلعة آجره ولم يطلق سراحه إلى أن توفى بعد ثماني سنوات[11]. وكان عهد شاهجهان عهد الخير والإصلاح التدريجي واستمر بأبهته وعظمته 31 سنة، وكان صاحب الآثار الجميلة في الهند، بنى الجامع الكبير الشهير بالمسجد الجامع والقلعة الحمراء في دلهي والتاج محل في آجره، وهي الدرة اليتيمة في البناء. كما أنه وظف القضاة والمعلمين ليعلموا الناس أحكام الشريعة وآداب العبادة، وأجرى الأرزاق على المعلمين والمتعلمين، فتقدمت العلوم من الحساب والهيئة والطب بكثير في عصره، فلذلك يعتبر عهد شاهجهان العهد الذهبي للمغول[12]. وأخذ محي الدين أورنغ زيب زمام الحكومة عام 1658م

وحكم نحو 50 سنة عاكفا على تنفيذ الأحكام الشرعية وناشرا العلوم والفنون وقائما بالفتوحات العظيمة حتى نجح في توحيد الهند كلها تقريبا تحت حكمه، مما لم يسبق له مثيل من قبل، وحكم البلاد حكما إسلاميا، لم تحكم مثله من قبل ولا من بعد، وكان لذلك هدفا للانتقاد من المؤرخين غير المسلمين[13] المتعصبين.

والدور الثالث هو دور الإنحطاط للإمبراطورية المغولية وتفككها ويبتدئ هذا الدور بوفاة أورنغ زيب عام1707م وينتهي بنهاية الإمبراطورية المغولية عام 1857م، ومما يؤسف للحكم الإسلامي المغولي أن الإمبراطور أورنغ زيب كان آخر إمبراطور قوي بين أباطرة المغول المسلمين. فقد جاء بعده خلفاء ضعاف، لم يكونوا مثله في القوة والحزم والتدبير، فأخذت الدولة الإسلامية تتهاوي من القمة التي أقعدها فوقها وبدأت رقعتها الواسعة تتفتت شيئا فشيئا ويستقل هنا أوهناك أمير بحكم ولايته.[14] وتتاح الفرصة لبعض الأمراء الهندوس والسيخ ليجمعوا الجيوش ويشنوا حروبا على الدولة ويقتطعوا لهم من جسمها الكبير ولايات يحكمونها، والملوك المسلمون في دهلي يضعفون شيئا فشيئا وينحسر نفوذهم وينكمش، حتى لم يعد لهم سلطان ولا نفوذ.[15]

**الحُرُوْب الداخية**

في الحقيقة جابهت الإمبراطورية المغولية بعد وفاة أورنغ زيب عديدا من المشكلات الخطيرة، منها الحروب الداخلية التي اندلعت بين الأمراء للإستيلاء على عرش الحكم، لأن الإمبراطورية المغولية لم يكن يتواجد لديها نظام الوراثة للحكم مثلما وجد لدى الخلافة الأموية والعباسية. فبدأ أبناء أورنغ زيب الثلاثة يتقاتلون فيما بينهم لتولى الحكم حتى انتصر عليهم بهادر شاه الذي تولى العرش عام 1707م واستمر في حكمه أربع سنوات[16]. وخلال حكمه واجه ثورات قام بها الراجبوت والمراهتا ولم يتمكن من القضاء عليها تماما حتى بدأ السيخ يستعدون لشن الحرب ضد الجيش الملكي، فأرسل الملك بهادرشاه جيشا كبيرا تحت قيادة ابنه الذي هزمهم هزيمة نكراء وتوفى الملك بهادر شاه الأول بعد ذلك بعدة شهور عام 1712م[17].

فدخل أبناءه الأربعة في التعارك فيما بينهم ، وادعى "محمد عظيم الشان" السلطة لنفسه ولكن رئيس القواد "ذوالفقار علي خان نصرت" خالفه، وأجلس محمد معز الدين على العرش بخطاب جهاندار شاه الذي حارب إخوانه الثلاثة وقام بقتلهم جميعا في معارك مختلفة، ثم استقل بالحكم وحكم عشرة أشهر حسب رغبة زوجته "لال كنور"حتى قتله الأخوان: رئيس القواد "حسين علي" و"السيد عبد الله"– اللذان كانا في الحقيقة يديران الحكومة – وأجلسا "فرخ سير" على عرش الهند عام 1712م ثم قتلاه خنقا عام 1719م عندما حاول أن يستبد أويتحرر بنفسه بعد أن حكم نحو سبع سنوات[18].

**أمواج الثورات ضد الدولة المغولية**

خلال فترة هذه الحروب الداخلية بين الطامحين في العرش، انتهز الراجبوت فرصة، فثار أجيت سنغ على الدولة وطرد المسلمين من جودهبور،وفرض الحظر على الأذان وسيطر على أجمير، فأرسل إليه الملك المغولي "فرخ سير" جيشا كبيرا بقيادة السيد حسين مغل خان، ففر أجيت سنغ إلى غابات بيكانيرتاركا عياله في الجبال قرب جودهبور، ثم تصالح مع الملك وزوجه ابنته "راني اندر كنور". وفي هذا الوقت قام السيخ في الشمال بثورة جامحة وأخذوا في الإعتداء على المساجد والمقابر وقتلوا ألوفا من المسلمين والهندوس دون التمييز بين الصغير والكبير.

ويجدر بالذكر أن السيخ كانوا يضمرون في قلوبهم حقدا وكراهية للمسلمين منذ عهد جهانغير الذي قام بإعدام غوروأرجن سنغ عام 1606م بتهمة معاونته لخسروشهر يار الذي ثار على جهانغير،ثم قام أورنغ زيب بإعدام غورو تيغ بهادر لتورطه في النشاطات الثورية، فزاد الطين بلة من جراء هذه الإعدامات السياسية وازداد العناد والفجوة بين المسلمين والسيخ، حتى اجتمع السيخ بصورة منظمة في بنجاب بقيادة غوروغوبند سنغ الذي وضع حجر الأساس لمنظمة "خالصة"، وهي منظمة دينية تهدف إلى تزويد السيخ بالتربية العسكرية، فعززت منظمة "خالصة"

حركة السيخ، وازداد نفوذها وقواها حتى بدأت تعتدى على المسلمين والهندوس دون التميز بين الصغير والكبير، فارسل إليها الملك المغولي فرخ سير جيشا كبيرا بقيادة عبد الصمد خان. وحاصرهم في قلعة "جوبلي دونى جند" ثمانية أشهر حتى أخضعهم للدولة وأخذ قائدهم بنده بهادر مع جميع أعوانه أسرى، وقام بإعدامهم جميعا في دلهي عام 1712م.[19]

كما انتهزت قبائل الزط فرصة الحروب الداخلية وقاموا بثورة على الدولة في الشمال، فأرسل إليهم الملك المغولي فرخ سير جيشا كبيرا بقيادة صمصام الدولة خان، وهزمهم شرهزيمة حتى ألقي القبض على "شرومن" الذي كان أحد الإقطاعيين في إله آباد وانتمى إلى قبيلة الزط وصار خليفة لـ "راجا موهن" الذي قام بقيادة حركة الزط قيادة حسنة في عهد أورنغ زيب، وأحضر صمصام الدولة شرومن في مجلس الملك فطاوعه، ثم إنقلب عليه فحاصرته جيوشه نحو عشرين شهرا[20].

ويرجع تاريخ نشاطات قبائل الزط الثورية إلى عهد جهانغير، ثم رفعوا علم الثورة في عهد أورنغ زيب مرتين: المرة الأولى قاموا بثورة على الدولة تحت قيادة الإقطاعي المحلي المعروف ب"غوكلا" والمرة الثانية قاموا بثورة على الدولة تحت قيادة راجا موهن الذي قادهم قيادة حسنة. ونحن قد نقدر مدى خطورة ثورتهم أن الملك المغولي أورنغ زيب سار بنفسه إليهم للقضاء عليهم في كلتا المرتين.[21]

كما أن المراهتا الذين أصبحوا ذوي شوكة قوية في الجنوب، وبدأوا يرفعون رؤوسهم ضد المسلمين في"دكن". ولكن هذه الثورات التي قام بها الراجبوت والسيخ والمراهتا لم تحقق نجاحا باهرا،لان ملوك المغول في هذه الفترة رغم تورطهم في الحروب الداخلية، كانوا قادرين على القضاء عليها. ولكن السنوات القادمة قد شهدت أمواج الإستقلال وموجات الثورات، فقام حكام الولايات بإنشاء دويلات مستقلة منفصلة عن الدولة المركزية المغولية. وكان في مقدمتهم حكومة آصف جاه نظام الملك في "دكن" وحكومة سعادت علي برهان في"أوده" وحكومة علي وردي مهابت جنغ في بنغال، مما مهد سبلا للسيخ والمراهتا والزط أن يقوموا بإنشاء دويلات

مستقلة. فأنشأ السيخ دولة بقيادة رنجيت سنغ في بنجاب عام 1762م، وأنشأت قبائل الزط دولة بقيادة شرومن في الشمال، كما أنشأ المراهتا دولة في "دكن". وإن هذه الدويلات المستقلة ما زالت تشن الغارات على المملكة المغولية وتنهش جسمها من كل جانب[22].

## الحملات الخارجية ضد المملكة المغولية

وزاد الطين بلة من جراء حملات نادر شاه الذي بدأ بالهجوم أولا على قندهار وكابل، ثم تتابع هجومه على الهند الشمالية حتى وصل إلى لاهور وكانت دلهي تغط في نوم عميق في حين كان نادر شاه على مسافة 125ميلا منها، فأعد الملك محمد شاه جيشا لمواجهة نادر شاه، وتلاقى الجيشان عند "كرنال" في بنجاب، ولم يستمر القتال طويلا حتى انضم حاكم أوده إلى نادرشاه، فهزم نادرشاه الملك محمد شاه و اعتقله[23]. ثم دخل دلهي منتصرا فأباح المدينة لجنوده، فعاثوا فيها الفساد ونهبوا وقتلوا ودمروا، فشهدت مدينة دلهي من البأساء مالم تشهده من قبل. فقد قتل من أهلها أكثر من مائة ألف، وسلب منهم ملايين من الروبيات، هذا ما عدا عرش الطاؤوس الثمين الذي بناه الملك شاهجهان من الذهب الخالص والجواهر النادرة والذي توارثه الملوك منذ عهده. ثم رجع نادر شاه تاركا الهند جثة هامدة لا حراك فيها بعد أن مكث فيها أي في دلهي حوالى شهرين من 20 مارس إلى 15 مايو من عام1740م[24].

وإن الملك لم يفق من ضربة نادر شاه القاسية التي هزت كيان الدولة ودمرت قواتها وأزالت هيبة المسلمين من النفوس حتى هاجم أحمد شاه الأبدالي الهند ثلاث مرات، وبداية تمكن المغول من هزيمة الأبدالي وأجبروه على العودة إلى أفغانستان إلا أنه عاد مرة أخرى عام 1756 في عهد "عالم غير" الثاني الذي أجلسه عماد الملك على العرش بعدما قام بعزل الملك أحمد شاه الذي كان تقلد العرش إثر وفاة أبيه، منفذا المؤامرات التي قام بها مع المراهتا، ففتح الأبدالي بنجاب وشن الغارات

على دلهي وضواحيها، ثم تقدم إلى ماتورا وآجرا، وعاد إلى وطنه "إيران" بعدما عين نجيب الدولة نائبا له على سرهند أو روهيل كهند.

وفي أثناء هذه الفترة ان المراهتا إزداد لهم النفوذ والقوة إلى حد أنهم استولوا على دلهي بمساعدة من المتآمرين ضد نائب أحمد شاه ونائب الملك وفر نائب أحمد شاه الأبدالي مع ولي عهده إلى المشرق. أما الملك فقد ألقي القبض عليه، ثم قتله المتآمرون. فلما سمع الأبدالي عن هذه الفعلات الشنيعة استشاط غيظا وغضبا، وسار على رأس جيش عظيم إلى الهند. فوقعت عدة معارك بين الأبدالي والمراهتا وهزمهم في جميعها حتى كسر شوكتهم في المعركة الحاسمة التي وقعت في ساحة باني بت عام 1761م[25]. وبقيت دلهي أياما بدون ملك، ولما انتصر الأبدالي في الحرب ضد المراهتا نادى بشاه عالم الثاني سلطانا على دلهي وكان في بنغال، فأقام مقامه ابنه "جوان بخت". ثم رجع إلى أفغانستان حيث توفى عام 1773م.

**سيطرة الإنجليز على البلاد كلها**

خلال هذه الفترة، وسَّع الإنجليز نفوذهم وعززوا قواهم واستغلوا هذه الخصومات، فبينما كان الأبدالي يقضي على قوة المراهتا في ساحة "باني بت" كان الإنجليز يحتلون بنغال بعد قتل سراج الدولة، ثم بدأوا يوسعون نفوذهم في البلاد بسرعة فائقة حتى شكلوا خطرا للحكومة المركزية، فاندلعت الحرب عام 1664م في ساحة باكسر(Buxor) بين الجيش الإنجليزي و الجيش الملكي شاه عالم الثاني الذي انهزم هزيمة نكراء حتى اضطر إلى تحويل حق الإشراف المالي على ولايات بنغال وأوريسا وبيهار إلى الإنجليز.

ثم هاجم الإنجليز دلهي عام 1803م وتسيطروا عليها وجعلوا الملك أسيرا في القلعة الحمراء[26]، ودفعوا له مرتبا شهريا على أن يتولوا ادارة الشؤون للبلاد نيابة عنه، ثم لم يمكث طويلا حتى توفى عام 1808م. وتولى الملك ابنه محمد الثاني الذي عاش طويلا كوالده في كفالة الإنجليز الذين بلغت سيطرتهم حدا شمل الهند كلها تقريبا ومكث مدة طويلة في الحكم وتوفى عام 1837م. ثم تولى العرش ابنه

سراج الدين بهادر شاه ظفر الذي حكم البلاد نحو عشرين سنة بدون أية سلطة في أمور الحكومة، فكان ظلا لا نفوذ له، وأصبح زمام السيطرة في أيدي الإنجليز تماما، وبدأوا يعتدون على الهنود ولا سيما المسلمين إعتداء حتى قام الناس بثورة على الإنجليز بقيادة الملك المغولي بهادر شاه ظفر عام 1857م، ولكن خدعه بعض المسؤولين العسكريين، فانهزم الملك وجنوده بعد معارك دامية بين جنود الإنجليز وأهل الهند استمرت بضعة أشهر، وخضعت الهند كلها لإمرة الإنجليز مع انهزام الجيش الهندي. فاستولى الإنجليز على الهند كلها إثر فشل الثورة، والقي القبض على الملك، ثم قدم للمحاكمة، فحكم عليه بالنفي إلى "رنجون"[27]، وبقي هناك حتى توفي في 7 نوفمبر من عام 1862م فكان آخر ملك مسلم تولى الهند، وانتهت به الإمبرطورية المغولية.

---

**المراجع والمصادر**

[1] حركة التعليم الإسلامي في الهند وتطور المنهج، الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي،المجمع الإسلامي العلمي، لكناؤ،الهند، عام 2006م، ص31

[2]الثقافة الهندية ووصول المسلمين إلى الهند، تارا تشاند، ثقافة الهند، العدد الأول من المجلد الأول، مارس من عام 1950م، ص24

[3] فشن الغزنويون حملات متكررة بعد أن قام السبكتين بانشاء الدولة الغزنوية في غزنة عام977م التي إنشقت عن الإمبراطورية السامانية، ثم كون جيشا قويا ليحقق به رغباته التوسعية ووجد الهند ميدانا واسعا لتنفيذ خططه التوسعية. فقام بشن الغارات المتتابعة على الهند، وأعظمهم هجوما على الهند إبنه محمود الغزنوي الذي غزاها سبع عشرة مرة خلال سبع وعشرين سنة، وضم السنده وبنجاب إلى مملكته، وغنم ثروة واسعة. أنظر للتفاصيل
The history of India, A.C. Banergy,p-308

[4] بابر لقبه، و معناه : النمر وإسمه ظهير الدين محمد بن عمر شيخ ميرزا، ينحدر من سلالة تيمور لنك وجنكيز خان.

[5] The Mughal Government, U.N.Day, Munshiram Manoharlal, New Delhi, 1969, p-9

[6] محمد يوسف كوكن، دولة المغول في الهند، دارالحافظة للطباعة والنشر، مدراس، الهند، ص18

[7] J. Sarkark, "Fall of the Mughal Empire, M.C. Sarkar &Sons Private Ltd. Calcutta, 1960,Page-2

[8]أخذ اكبر زمام الحكومة في يده في عام 1556م وكان عمره لا يناهز أربع عشرة سنة، وحكم أكبر خمسين عاما، مع أن أكبر كان أميا ولكنه دبر أمور المملكة بالحكمة بحيث حير الناس ، فيقول العلامة عبد الحي الحسني: "وهو أول من أظهر بالهند هيبة الملك بسعده، وأسس قواعد السلطة بعد الخلجي والسوري، ومهدها لمن بعده، وطالت أيام دولته حتى لا يعلم لأحد من السلاطين أنه مكث في الملك هذه المدة، ورزق من السعد والإقبال ما لم يرزق أحد من الملوك، واجتمع لديه من أهل السيف والقلم مالم يجتمع عند غيره بعد الخلفاء العباسيين، وفي أيامه، فتحت بلاد كشمير، وبلاد السند، وبلاد بنكاله، وبلاد كجرات، ومالوه وبرهانبور وغيرها، مات سنة أربع عشرة وألف، وكانت مدة حكمه إحدى وخمسين سنة"

[9] محمد يوسف كوكن، دولة المغول في الهند، دارالحافظة للطباعة والنشر، مدراس، الهند، ص18

[10]نفس المصدر، ص 22

[11] نفس المصدر،ص 27

[12]الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي،المجمع الإسلامي العلمي، لكناؤ،الهند، عام 2006م،ص 43

[13]كفاح المسلمين في تحرير الهند،عبد المنعم النمر،مكتبة وهبة شارع الجمهورية، عام 1964، ص20

[14]كفاح المسلمين في تحرير الهند،عبد المنعم النمر،مكتبة وهبة شارع الجمهورية، عام 1964، ص21

[15] Tara Chand , History of the freedom movement in India, Vol.1, p-39

[16] Tara Chand , History of the freedom movement in India, Vol.1, p-39

[17] A. L Srivastava,The Mughal Empire, p-414

[18] محمد يوسف كوكن، دولة المغول في الهند، دارالحافظة للطباعة والنشر، مدراس، الهند، ص188

[19] The Medieval India, by Satish Chandra: National Council of Educational Research and Training, New Delhi, 994, p225

[20]محمد يوسف كوكن، دولة المغول في الهند، دارالحافظة للطباعة والنشر، مدراس، الهند، ص192

[21] The Medieval India, by Satish Chandra: National Council of Educational Research and Training, New Delhi, 1994, p225

[22] The Medieval India, National Council of Educational Research and Training, New Delhi, 1994p225

[23] History of Freedom Movement, Vol,1, p-106, compiled by Pakistan Historical Society group of editors under the chairmanship of Mahmud Husain.

[24] Jagdish Narayan Sarkar, A Study of Eighteenth Century India, Vol. 1, P-122

[25]الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي،المجمع الإسلامي العلمي، لكناؤ،الهند، عام 2006م،ص 44.

[26] A. L Srivastava,The Mughal Empire, p-438-439

[27] ، البعث الإسلامي،مؤسسة الصحافة والنشر، لكناؤ، المجلد 52 ، ص66

# عناية الأدباء العرب بالثقافة الهندية:
# سوريال عبد الملك أنموذجا

**د. مظفر عالم***

"إن التدمير ليس شريعة البشر، ولا يجب أن يكون، إن كل قتل أو أذى... لأي سبب .. هو جريمة ضد الحياة ، إن الحق يا إخوتي ينتظرنا على طريق الحب، وإن الحق الذي طريقه الحب... هو الله" المهاتما غاندي.

لفت البيان المذكور أعلاه أنظار الباحثين و الأدباء العرب و شغفوا بحب المهاتما غاندي و هيامه، فقد كرس بعضهم حياتهم العلمية و الأدبية في ذكر هذه الشخصية البارزة و أهدى له بعضهم نتاجهم العلمي و الفكري، فيحفل سجل الأدب العربي بذكريات "أبو الشعب الهندي" في معظم القوالب الأدبية و الأجناس الفكرية، و سبق في هذه المجال المصريون أخوتهم العرب الآخرين، و لائحة الأدباء المصريين بهذا النوع طويلة للغاية و كان من بينهم الأديب البارز والمترجم الكبيرسوريال عبد الملك.

إن حياة سوريال مملوءة بالنشاطات العلمية ، و حافلة بالأعمال الأدبية والثقافية مثل مؤلفته البارزة المعروفة باسم "حديث النهر" و التي تعتبر من روائع الآداب

---

*أستاذ مشارك في قسم الدراسات العربية، جامعة اللغات الإنجليزية واللغات الأجنبية، حيدرآباد، الهند.

الهندية وترجمة الملاحم الهندية أي المهابهاراتا و الرامايانا، وسيرة "أبوالشعب الهندي" المهاتما غاندي باسم "زارع الحب مهاتما غاندي" في قالب مسرحي و قصص ممتعة للأدباء الهنود.

ولد في القاهرة في السابع و العشرين من شهر أكتوبر عام 1961م ونهل من عدة مناهل للعلم و المعرفة مثل مدرسة محمد نجيب الابتدائية ومدرسة أبو بكر الصديق الإعدادية للبنين و نهائيا تخرج من مدرسة الأهرام الثانوية الفنية للجيش.

كان سوريال بفضل خبرته و درايته العلمية و إطلاعه الواسع عضوا في هيئات عديدة مثل المجلس الأعلى لحفظ الآثار العربية، و لجنة تسمية شوارع القاهرة، و لجنة التقسيم الإداري و لجان أخرى كثيرة.

عمل بالعديد من المجالات الحرفية ففي البداية ساعد والده في مهنته لتصنيع السيور(السيور التي تستخدم في تحريك الماكينات و نقل المواد الغذائية) وعمل في ورشة تركيب أحجار كريمة على المشغولات الذهبية بحارة اليهود. وبعد التخرج في عام 2009م من الأهرام الفنية للتكييف و التبريد عمل بالاستقبال بكازينو للقمار وما إلى ذلك.

يتطلب الموضوع أن أبدأ الحديث من المؤلفة البارزة لهذا المترجم القدير والذي له باع طويل و قصب السبق في ترجمة روائع الآداب الهندية و التعريف بها في الأوساط العربية العلمية ألا و هي "حديث النهر" ، فاختار عنوان الكتاب من قصيدة هندية حديثة لشاعر كشميري عبد الأحد آزاد، وانتقى للقارئ العربي نماذج مدهشة من كل ما أنتجته الحضارة الهندية المتدفقة.

**حديث النهر**

كتاب جامع في الأدب الهندي القديم والحديث، يتضمن أساطير من الهند، وقصائد حديثة إضافة إلى قصص قصيرة و مسرحية. ذكر في مقدمة الكتاب

انطباعاته عن رحلة رائعة قام بها إلى الهند كعضو مرافق للوفد المصري إلى مهرجان السينما بنيو دلهي يناير 1981 م .

يعرض الكتاب قسطا كبيرا من أدب الهند و أفكاره في مرحلة الاستعمار البريطاني وما بعده، والذي يمتلئ بالأساطير ولا يخلو من ذكر الآلهة الكثيرة، تحدث فيه عن غاندي و عن طاغور بشكل موسع.

أهدى الأديب هذه المؤلفة إلى روح المهاتما غاندي و إلى شعب الهند الناهض العظيم و إلى روعة الحب و زحام الجمال للهند . في مقدمة الكتاب اعترف بأنه " في أوائل عام 1980 الميلادي كنت مكلفا بكتابة دراما إذاعية عن كل من اختارهم من عظماء العالم فقد اخترت من عظماء الهند رجلين أحبهما كثيرا لأن كلا منهما بهرني كما بهر العالم بتفرده و صدقه مع النفس و كفاحه المذهل من أجل الخير و الحق و الجمال و كرامة الإنسان: المهاتما غاندي ورابندرا نات تاجور. و تقديرا للرجلين اللذين أنجبتهما الهند فخرا لها و للحياة كان علي أن ألم بكل التفاصيل عن حياتيهما منذ الطفولة وإلى أن أشرقت أضواءهما في سماء التاريخ".[1]

فقد جمع المصادر و المراجع الهامة المتعلقة بالشخصيتين المذكورتين من مكتبة مركز الاستعلامات التابع لسفارة الهند بالقاهرة، تحدث عن الثقافة الهندية منذ غابر الزمان ومن ضمنها آلهة الهنود من بين الشمس والنار والقمر والأنهار والجبال والأحجار وخاصة إله شيفا، كما تحدث عن حكمائها ونساكها وأساطيرها وقصائدها وعلى رأسها قصيدة المها بهارتا المتكونة من مائة الف بيت و قصيدة الرامايانا المتكونة من أربعة وعشرين ألف بيت ومئات القصائد الرائعة الأخرى وكتاب الهندوس المقدس "البورانا". وأوضح فلسفة الهندوس عن الحياة والموت وناقش بنوع من الإطناب الآثار التاريخية الإسلامية المنتشرة في أرجاء البلاد وبالأحرى في المدن مثل آجرا وفتحبور سيكري ودلهي والمناطق المجاورة للعاصمة.

والجدير بالذكر بأنه تناول قضية طلوع هندوسي محارب ثائر يدعى "جوتما" والذي ترك القتال والحرب وهجر قصر أبيه الملك ، تاركا ورائه زوجته الفاتنة وطفله

الجميل وثراء والده العريض وراح يدعو للثورة ضد طغيان البراهما فأنكر كتبهم وتعاليمهم وأخذ يحارب نظام الطبقات فأطلق عليه أتباعه اسما جديدا ساحرا "بوذا" أي ( الرجل المستنير)، وظل بوذا يدعو إلى الحق و الفضيلة حتى رحل تاركا للملايين من أتباعه قوله الماثور: كما تزرع تحصد، و لن ينجيك من عقاب السماء لا الدعوات و لا القرابين.

وبسبب هذه الثورة العظمى تنسك "اشوكا" وحكم بلاده بالعدل كزاهد ومصلح عظيم. وفي مجال الفكر والأدب ظهر الشاعر الفيلسوف "بهارنيهاري" والذي قال يخاطب مهاراجات الهند ومستغلي شعبها:

أنتم أرباب الأرض الواسعة ونحن أرباب الأغاني الرائعة
أنتم تغلبون بجبروتكم ونحن نغلب بالحق و المباديء
المال عندكم هو الذي ينطق والحكمة عندنا هي التي تقنع
إن كلامي هذا لا يرضيكم لكنني حتى إذا رحلت عنكم

فلن ترحل كلماتي عن أراضيكم

وفي نفس العصر برز الشاعر العظيم كاليداسا فخرا للهند و للإنسان لآلاف القرون التالية، و الذي كان بحرا متلاطما من عظمة الفنان و عذوبة الإنسان، فاشتهر لقصيدته الرائعة " رسول السحاب" حيث يخاطب سحابة راحلة نحو ديار حبيبته.

واتضح من هذا الكتاب بأن العلم و المعرفة وصلت في الهند إلى الذروة القصوى ويمكن الاستشهاد من كلامه :

"توصل علمائهم في ذلك الزمان البعيد إلى حقيقة الجاذبية الأرضية قبل "نيوتن" بألف عام كاملة مواكبين لحضارة مصر القديمة . عرف علمائهم التشريح وأجروا العلميات الجراحية المعقدة ، و برعت جامعاتهم آنذاك في الرياضة والفلك، بل انهم حسبوا قطر الكرة الأرضية بدقة أذهلت علماء العصر الحديث، واكتشفوا أن

الأرض تدور أيضا حول محورها أثناء دورانها حول الشمس، وآلاف أخرى من الحقائق العلمية التي دوت انفجارتها المشبوهة في أوربا بعد ذلك بمآت السنين."[2]

ففي رأيه" لم تكن حياة بوذا إلا إرهاصة لمولد " الروح العظيم" غاندي مثلما كان كالياساسا منارة على الطريق لـ " تاجور" سلك على ضوئها من بعده درب الخلود".[3]

يضم الكتاب انطباعات المؤلف عن رحلة رائعة قام بها إلى الهند ، لكن الأكثر روعة هو رحلاته في تاريخ الهند عبر آلاف السنين ، ثم في أرجاء العقل الهندي الحديث، ولان كل ذلك يمثل صورة ساطعة لشريحة بشرية هائلة في تلك البقاع النائية من العالم، فإنه قدم لنا نماذج فاتنة من كل ما أنتجته الحضارة الهندية المديدة المتدفقة بدءً بالأساطير والملاحم الموغلة في القدم إلى الآداب الحديثة شعرا و قصة ومسرحية.

وقد صاغ في هذه المؤلفة الرائعة قصص هندية تتعلق بأساطير من الهند في صياغة عربية وبالأخص منها "رفيق الفرح والألم" و"السماء لا تعرف العجز" و"الأرنب على سطح القمر"، والتي أخذت من كتب مقدسة للديانات الهندية .

كما تقدم بترجمة قصائد حديثة من الهند للشعراء الكبار مثل " الغزال" لشاعر كشميري غلام أحمد و"حديث النهر" و"التغير" لعبد الأحد آزاد شاعر آخر من كشمير و"الفريق" للشاعرة الهندية انديرا سانت والقصائد للشعراء الآخرين مثل "الأفق" لسوريش كوهلي و"حتى الشمس ليست وحيدة" لبهافاني براساد و" روح الحياة " لديبك ميشرا و"عند الباب المغلق" لـ م.م. ديشباندي. كما نقل أيضا مقالة معنونة " غاندي في القصة الهندية" لراما جها (Rama Jha).

إضافة إلى ماسبق هناك فصل خاص لقصص قصيرة هندية قام بترجمتها المترجم والذي يضم " نشيد المعركة " و" ليلة شتوية" لبريم تشاند ، و"فراش العرس" لرابندرانات أشك، و" أخبرنا" لستياجيت راي، و"الضوء فوق البحيرة" لشامان ناهاي،

ورائحة الكيروسين" لامريتا بريتام ، و" قبعة المهرج" لمُلك راج آناند، و"العودة إلى البيت" لرابندرانات تاجور و "ماليني" مسرحية من فصل واحد لنفس الأديب.

قصة " أخبرنا " للقاص الكبير الهندي ستياجيت راي[4] تمثل الثقافة اليابانية، نشرت بعدد رقم 5 من شهر مايو عام 1986م لمجلة إبداع المصرية.

و قصة ليلة شتوية للقاص الأسطوري منشي بريم تشاند تمثل الحياة الاجتماعية في الهند خلال الاستعمار البريطاني، نشرت بعدد رقم 60 من شهر يونيو عام 1986م لمجلة القاهرة المصرية.

و قصة " فراش العرس" للشاعر والمسرحي و الروائي الهندي المنتمي إلى مدينة إله آباد أي المدينة الجميلة التي شهدت ميلاد و طفولة و صبا جواهر لال نهرو، رئيس الوزراء الهندي الأول بعد الاستقلال، تعكس جوانب كئيبة للحياة الاجتماعية الهندية، نشرت في العدد رقم 100 في شهر أكتوبر عام 1989م لمجلة القاهرة المصرية.

و "قصة من النهر" للقاص الكشميري عبد الأحد آزاد[5] نشرت بالعدد رقم 2 في شهر فبراير عام 1997 في مجلة زرقاء اليمامة.

**زارع الحب مهاتما غاندي:**

هي مسرحية تاريخية عن هذا الزعيم الهندي، سلط المؤلف الضوء على أسباب تأليف هذه المسرحية في مقدمة الكتاب فقال: بعد هذه السياحة الطويلة في تاريخ الهند .. و فيما توالى على أرضها من غزوات و حضارات و أحداث..إلى أن انتزعت استقلالها المدوي قبيل منتصف القرن العشرين ، و بعد أن ترجمت بعض الآداب و الملاحم الهندية وجدتني مدفوعا إلى الكتابة عن هذا الرجل الأسطورة الذي عاش حياته كشحاذ ...لكنه استطاع أن يهز ضمير العالم الغافي.... بعد ان وحد ثلاثمائة مليون هندي من مختلف الطبقات و الأعراق واللغات و الأديان في جيوش الـ " ساتيا جراها" دفاعا عن شرف الحياة و شرف الإنسان".[6]

هي مشتملة على فصلين، يتكون الفصل الأول من أربعة مشاهد بينما يتضمن الفصل الثاني سبعة عشر مشهدا، من خلال هذه المسرحية أبرز صاحبنا أبعادا مختلفة من الكفاح الهندي تحت قيادة مهاتما غاندي.

و كما أشرت في الفقرة السالفة الذكر بأنه ترجم بعض القصائد الهندية الحديثة أورد أنموذجا لقصيدة قام بترجمتها للشاعر رابندرانات تاجور بعنوان: "مرتلا للحب .... و للرحيل":

انتظرتك طويلا في شهر الربيع
و تجيئين الآن على أجنحة العاصفة
و في ظلام المطر
إغفري لي هذا الأنين
و تعالي إلى كوخي على ضوء الشموع
بنيته لك من اعضاء الحنين
و من أوراق الشجر
تعالي أضم في كفي كفيك
أقيد في عيني عينيك
أفتش فيها عنك
أغوص فيها بشتات قلبي
باحثا عن قرار لأشواقي
يا بحار الشوق التي بلا قرار[7]

**المهابهارتا و الرامايانا : أعظم ملامح الهند الخالدة**

إن الملاحم الهندية – مهابهارتا و رامايانا و الكتب المقدسة الأخرى للديانة الهندوسية -- نحتت لها مكانا خاصا في محراب الأدب العربي ووجدت صداها في ذلك الأدب منذ فجر الإسلام، وربما سبقت الملاحم العالمية الأخرى في ذيوعها و انتشارها .

**عناية الأدباء العرب بالثقافة الهندية:**

ترجمت هذه الملحمة إلى عدة لغات عالمية و من ضمنها اللغة العربية فقد أورد ابن المقفع في كتابه كليلة ودمنة المنقول عن آداب الهند وتاريخها بعض قصص المهابهاراتا، ولكنها لم تترجم كاملة إلى العربية في مرحلة الترجمة الواسعة التي قام بها العرب عن الفارسية والهندية، وربما ترجمت وفقدت في حركة ضياع الكتب وتدميرها التي تعرضت لها الثقافة العربية، ولكن أشار إليها البيروني في القرن الحادي عشر الميلادي .

و في القرن العشرين الميلادي قام وديع البستاني، الأديب اللبناني (1886-1954م) بترجمة ملحمة "مهابهارتا" الهندية شعراً ، والتي طبعت في بيروت عام 1952م، و في مستهل الألفية الثالثة و ذلك بعام 2001م ظهرت ترجمة كاملة لملحمة المهابهارتا للدكتور كامل يوسف حسين من الإمارات العربية المتحدة من دائرة الثقافة و الإعلام – الشارقة، و تابعه في هذا العمل الدكتور عبد الإله الملاح[8] الأديب السوري بعد عام و ذلك عام 2002م لما نشرت ترجمته لمهابهارتا من مطبعة ورد للطباعة و النشر و التوزيع في دمشق و التي اشتملت على 380 صفحة.

أما الرامايانا فهي أقصر من ملحمة المهابهاراتا وأكثر وحدة في الموضوع، رغم أن تاريخهما واحد، وفيها يتحدّث الشاعر فالميكي عن الملك الصالح راما ومعركته مع عدوه رافانا في سريلانكا. وانتصار راما على رافانا يرمز إلى انتصار الخير على الشر أو الحق على الباطل .

تنتمي الرامايانا إلى الموروث الهندي المقدس، وتنسب إلى الشاعر الهندي فالميكي، ولا تزال شخصية راما الرئيسية حاضرة في الأغاني والرقص والدراما إلى يومنا هذا، وحاليا عرضت هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة الترجمة العربية لرامايانا في قالب شعري للأديب اللبناني الراحل وديع البستاني مع تحقيق وتقديم الدكتور خليل الشيخ، ومراجعة الدكتور ذكر الرحمن مدير المركز الثقافي الهندي العربي في نيودلهي. نشرت ترجمة هذه الملحمة من قبل مطبعة المعارف- مصر عام 1950م،

فلم يعرّب البستاني المهابارتا والرامايانا بل أوجزهما نظراً إلى ضخامتهما واحتوائهما على الكثير من الأحداث والوقائع والتواريخ والأسماء ناهيك عن حكايات الحروب وأخبار المعارك، احتوت هذه الترجمة على ما يقرب 300 صفحة في 12 فصلا، قال المترجم في مقدمة الكتاب:

" و مع أن الراميانة لا تكاد تداني المهبراتة عظمة بطولة، فإنها لتعلو عليها درجات في تصويرها للأرق و الأعمق من تلك العواطف الواشجة في حياتنا اليومية و الرابطة بين الناس في علم الاجتماع. و أن تلك الصور، و لا سيما الهندوي منها، ما زالت حتى اليوم صورا تصدق الطبيعة و تنطبق على سائر الأقوام و الأمم"[9].

و الأديب الذي نحن بصدد ذكره قدم تلخيصا لكلتا القصتين المقدستين للهندوس في شكل كتاب باسم " المهابهارتا و الرامايانا : أعظم ملاحم الهند الخالدة" و الذي نشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب في عام 1989م و يشتمل على 150 صفحة فقط.

كما برع سوريال عبد الملك في مجال الترجمة برع في مجال الأدب أيضا وله مؤلفات عديدة ما بين مسرحية و قصص قصيرة ، فقد صدر له كتاب "جمال الصيف" و هو عبارة عن مسرحية ، طبعته الهيئة المصرية العامة للكتاب عام 1988م ، و كما صدر له عن نفس الهيئة عام 1989م كتاب "مواسم النوار" ، جاء في 215 صفحة وهو عبارة عن قصص قصيرة باللغة العربية ، كما أن له قصصا متعددة نشرت في مجلة إبداع المصرية و مجلة القاهرة و مجلات محلية أخرى.

إن الثقافة الهندية أصيلة قديمة قدم التاريخ و لا تقل عالمية عن الإغريقة و الرومانية و الحضارات العالمية القديمة الأخرى و يلزم أن نخرجها إلى العالم كما فعل سوريال عبد الملك العربي القادم من أرض مصر و الذي اهتم بالثقافة الهندية وله وله شديد بالشخصيتين الهنديتين: مهاتما غاندي و تاجور ، فكتب كتابا عن الأول و ترجم قصائد الآخر ، و لم يكتف بذلك بل غاص في أعماق التاريخ الهندي فترجم " المهابهارتا و الرامايانا" و قصصا ممتعة للأدباء الآخرين.

**الحواشي:**

[1]. حديث النهر، ص: 9

[2]. حديث النهر، ص: 14

[3]. المرجع السابق، ص: 15

[4]. من الأدباء الكبار و المخرجين البارزين للأفلام الهندية ينتمي إلى ولاية بنجال الغربية في الهند

[5]. من مواليد كشمير تأثر بكبار الشعراء الأيدولوجيين المدافعين عن الحرية و العدالة، له عدة دواوين في الشعر و الأدب، لم يمهله القدر طويلا، فقد توفي عام 1948 البالغ في العمر 46 فقط.

[6]. زارع الحب مهاتما غاندي ، ص: 3

[7]. مجلة القاهرة، العدد رقم65، نوفمبر عام 1986م

[8]عبد الإله الملاّح ولد في حلب – سورية عام 1940 في أسرة عريقة في الثقافة والسياسة، درس الإنكليزية في كلية حلب الأمريكية وعمل في حقل الصحافة الأدبية والسياسية في كل من سوريا ولبنان، وقد صدر له العديد من الكتب المترجمة.

[9] مقدمة الرامايانة ، ص: 17

**المصادر و المراجع**


1. عبد الملك سوريال حديث النهر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام1994م.
2. عبد الملك سوريال، زارع الحب مهاتما غاندي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،عام 1998م.
3. عبد الإله الملاح ، المهابهارتا، ، مطبعة ورد للطباعة و النشر والتوزيع– دمشق، عام2002 الميلادي.
4. وديع البستاني، ملحمة الرامايانة، مطبعة المعارف ، مصر، 1950م.
5. وديع البستاني، ملحمة المهبراتة ، مطبعة بيروت،عام 1952م.
6.

# تأثيرات الثقافة الهندية على المجتمع العماني

**آفتاب أحمد***

وقد عرف العرب الهند في جاهليتهم بسبب رحلاتهم التجارية، فقد كانوا يختلفون إلى المناطق الساحلية للهند والسند، وعرفوا الأشياء التي تباع في أسواقها والناس الذين سكنوها. وقد سافر العرب بالطريق البري والبحري، فقد عرفوا المدن الساحلية الواقعة على الساحل الطويل لبحر العرب، وكانت رحلات مجموعات العرب التجارية تمتد إلى خليج البنغال وبلاد الملايو وجزر إندونيسيا حتى كونوا لهم المستوطنات على الساحل الجنوب الغربي. و يشير إليه السيد أبو ظفر الندوي قائلا، "كان التجار العرب يصدرون خيرات الهند إلى اليمن، ومنها إلى بلاد الشام وكانت هذه البضائع تباع في أسواق مصر وأوروبا".[1]

ومن ناحية أخرى، كان الهنود يرحلون إلى العالم العربي ويشاركون في حياة العرب اليومية، فاختلطوا معهم حتى تأثروا بحياتهم وأثروا فيها بجميع نواحيها الفكرية و الإجتماعية و اللغوية، وهذه الزيارات قد أنتجت في التقارب الديني بسبب الأشياء المشتركة بين الديانة الهندوسية والأديان الموجودة في غرب آسيا آنذاك، فقد اشترك العرب والهنود في الوثنية و عبادة الأصنام وتعظيم الكواكب وعبادة الأجرام السماوية وكثير من المظاهر الفكرية و الإعتقادية. ونتيجة لهذا الاختلاط بين الهند والعرب، تأثرت حياة العرب الاجتماعية بالهنود وتأثرت حياة الهنود الاجتماعية بالعرب. ومن

---

*ضابط البرنامج، المركز الثقافي العربي الهندي، الجامعة الملية الإسلامية، نيودلهي، الهند.

الجاليات الهندية التي كانت تتمتع مكانة في الدول العربية آنذاك، كان رجال الزط والميد والسيابجة والأحامرة والأساورة والبياسرة والتكاكرة، و كانت أيضا مشغولة في العديد من المهن.[2]

**العلاقات الهندية– العمانية القديمة**

جاء العمانيون في اتصال مع الهنود لأول مرة في أيام الحضارات السومرية والهارابا. وقد جذبت عمان اهتمام التجار في وادي السند في وقت مبكر بكونها مخزنا كبيرا للنحاس الذين كانوا يتاجرون فيه وغيرها من المواد. و يرجع تاريخ إنشاء الإتصالات الهامة بين البلدين إلى عام 600 الميلادي،كما ذكرت في السطور السابقة أن عددا من الجاليات الهندية قد هاجرت إلى الدول العربية بما فيها سلطنة عمان و استوطنتها قبل ظهور الإسلام.

و نتجت عن تلك العلاقات ثقة متبادلة بين الشعبين، فكان للتجار العمانيين دورهام في هذه العلاقات وفي نشر الثقافة العمانية. فالحضور العماني في شبه القارة الهندية كان مسجلا منذ ذلك الزمن. وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أن الاساطيل البحرية للدولة العمانية وصلت إلى سواحل الهند قبل القرن السابع عشر الميلادي، كما ساهمت على نشر علاقات الصداقة والتجارة والوئام بين شعوب القارة الهندية بشكل عام.

إن المتتبع لتاريخ العلاقات بين الهند وعمان يجدها قديمة عميقة ممتدة، وتركت العلاقات تأثيرات حضارية قوية على كلا الجانبين في جميع مجالات المجتمع (الاقتصادية – والاجتماعية– والثقافية)، و هي مازالت قائمة حتي الآن، حيث نري كثيرا من تجليات الحضارة الهنديه تلقي بظلالها على الحضارة العمانية والعمانيين الذين عايشوا المهاجرين الهنود على أرض عمان تلك التأثيرات الحضاريه التي تعد نموذجا للمؤثرات المتبادلة بين العرب والهنود، ولعل ابرز تلك التجليات المتبادلة للحضارة الهندية فيما يخص النواحي الثقافية علي نظيرتها العمانية[3].

كانت هناك عدة عوامل ساعدت كلها على الإتصال المباشر بين الهند وعمان. الجوار كان من أهم العوامل فبحكم وجودعمان قبالة الهند بحيث لا يفصل بينهما سوى المحيط الهندى وتعتبر عمان للهند بوابة إلى الخليج والجزيرة العربية بأجمعها، وقد وطد هذا الجوار العلاقات بين القطرين منذ زمن بعيد.

والحركة التجارية كانت نشيطة دائبة بين عمان والهند، وكانت السفن تمخرعباب المحيط الهندي جيئة وذهاباً ما بين القطرين، فقد كانت الهند في حاجة ماسة إلى توطيد علاقتها ببلاد العرب عامة، وبعمان خاصة، إذ أن الهندكانت في حاجة شديدة إلى الأشياء الكثيرة بما فيها العاج الإفريقي، وكان يصل إليها عن طريق عمان، ينقله العمانيون من شرق أفريقيا، وكانت الهند في حاجة ايضاً للخيول العربية التي كانت تأتيها من عمان. و من جهتها، كانت الهند تقوم بإصدار الأقمشة والأقطان والتوابل والعطور وخشب النارجيل إلى عمان وغير ذلك من المواد الزراعية والصناعية.

والعلاقات الثنائية بين الهند وعمان تعود إلى آلاف السنين التي سهلت كثيرا من التقارب الجغرافي والثقافي. وكلا البلدين يتمتعان بالعلاقات الحميمة والودية التي يمكن أن يعزى إلى الروابط التاريخية في التجارة البحرية والصداقة بين الهند والأسرة الحاكمة في سلطنة عمان والدور الهام الذي تقوم به الجالية الهندية المقيمة في سلطنة عمان. ومعاهدة الصداقة والتجارة والملاحة وغيرها من الاتفاقات الهامة الموقعة، قد عززت العلاقات الثنائية بين البلدين.

وقد تم تعزيز هذه العلاقة من خلال الزيارات الثنائية. وفي الآونة الأخيرة،حضور التجار والجالية الهندية في عمان وفرت قاعدة متينة لعلاقات وثيقة بين البلدين. وسجل المؤرخون أن الهنود كانوا يقومون بأنشطة تجارية في مسقط من القرن الثالث عشر الميلادي. وفي الأيام الأولى، قد تألفت الجالية الهندية من التجار والممولين من ولاية غوجارات (كوتش) والسند بما فيها جالية (خوجا) والجالية التجارية للهندوس (بانيا) في عمان.[4]

وخلال القرن الثامن عشر قد تمتعت الهند و عمان بعلاقة وثيقة في المجالات الدبلوماسية والتجارية والسياسية كما عين السيد تيبو سلطان (حاكم ميسور في جنوب الهند) والسيد سلطان بن أحمد (حاكم عمان) ممثليهما في بنجالور ومسقط بالتوالي لرعاية مصالحهم. وكان تيبو سلطان قد اتخذ العديد من الخطوات الجريئة والمبتكرة– على الرغم من الصعاب الكثيرة– للحفاظ على وتوطيد العلاقات مع المنطقة الخليجية عامة و عمان خاصة.[5] وقد قدم كل من الحكام التنازلات الكثيرة لبعضهما البعض لتعزيز مصالحهما. وذهب كثيرمن الهنود إلى عمان مع أسرهم واستوطنوا هناك. ونتيجة لذلك قد برز عديد من التجار الهندوس كلاعبين رئيسيين في الحياة السياسية العمانية على مر العصور.[6]

وبدأت تعزيز العلاقات بين الهند و عمان على أساس التعاون المتبادل والمصلحة الذاتية. وقد استقر كثير من التجار الهنود في عمان أثناء الحكم البريطاني. و دخلت العلاقات بين الهند و عمان في مرحلة جديدة تحت الحكم البريطاني في الهند. كما أعلنت بريطانيا في عام 1875 قانونا أن "أي شخص الذي قد استقر في مسقط بعد تولية البريطانيا السيطرة المباشرة على أرض وطنه في الهند فهو في الحماية البريطانية".[7]

**الهند و عمان في العصر الراهن**

وقد تم تنشيط العلاقات بين البلدين خصوصا بعد أن حصلت الهند على استقلالها في عام 1947. و تم إفتتاح القنصلية الهندية في مسقط في فبراير 1955. وكانت المملكة المتحدة والهند دولتان مع تمثيل دبلوماسي في عمان حتى عام 1971. وقد تولى أول سفير هندي مهام منصبه في مسقط عام 1973. وهكذا أنشأت سلطنة عمان سفارتها في نيودلهي عام 1972 والقنصلية العامة في مومباي عام 1976. و قد تم إنعقاد إحتفال كبير على مرور خمسين عاما للعلاقات

الدبلوماسية بين الهند وسلطنة عمان من يناير 2005 الى فبراير 2006 مع عدد من البرامج الفريدة للتأكد على العلاقات الثنائية.[8]

وفي السنوات الأخيرة، قد اتسمت العلاقات بين الهند و عمان من خلال الزيارات الرفيعة المستوى التي ساعدت على تعزيز التفاهم المشترك و الرؤية المشتركة لتطوير الشراكة في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية. ومساهمة المجتمع الهندي الذي يعمل جنبا إلى جنب مع الشعب العماني، كانت الدعامة الأخرى في هذه الشراكة لتنمية العلاقة في مجال الثقافة والتعليم والعلاقات الاقتصادية الثنائية.[9] و في عام 2007، منحت الحكومة الهندية "جائزة جواهر لال نهرو للتفاهم الدولي" لجلالة السلطان قابوس بن سعيد، و فتحت تلك المبادرة فصلا جديدا في العلاقات بين البلدين.

ويسكن حوالي نصف مليون من الهنود في عمان، و هم يشكلون أكبر جالية أجنبية في تلك البلاد. وهؤلاء يشملون العمال المهرة والفنيين، والمهنيين مثل الأطباء والمهندسين والمصرفيين والخبراء الماليين والمديرين وغيرها، وكثير منهم يعملون في المناصب الإدارية العليا في الدوائر الحكومية والمؤسسات العامة العمانية. [10]

إن مساهمة الهنود في تطوير عمان ولا سيما في مجالات التجارة والرعاية الصحية والتعليم والبستنة والتمويل والبناء والاتصالات وما إلى ذلك، معترف بها على نطاق واسع. ونتيجة لذلك قد تم منح الجنسية العمانية لعدد من الأشخاص من الأصل الهندي. وقد تلقى البعض منهم جوائز عالية أيضا من الحكومات الهندية و العمانية.[11] كما تلقى السيد كناسي خمجي والسيد بي محمد علي (كلاهما عضو بارز من الجالية الهندية في عمان) "جائزة تقديرية للهنود المقيمين خارج الهند" عام 2003 و2004 على الترتيب.[12]

## تجليات الثقافة الهندية على المجتمع العماني

وقد أثرت الجالية الهندية المقيمة في عمان كثيرا على المجتمع العماني وخاصة على حياتهم وثقافتهم. وتأثيرهم واضح في جميع مجالات الحياة حتى في

المناسبات الرسمية. ومن المهم أن نلاحظ أن في حفلة الإستقبال التي أقامها السلطان قابوس بن سعيد لاستضافة الرئيس الهندي، كانت الفرقة تعزف أغنية شعبية هندية "يه دوستي هم نهي جهورين غي" معناها "لن نترك هذه الصداقة" من الفيلم الهندي الشهير "شولي".[13] و هذا يشير الى عمق العلاقات الثقافية الثنائية يتمتع بها كلا البلدين.

وكان من الطبيعي بعد هذا التواجد الهندي في عمان لفترات طويلة، وبعد الاحتكاك اليومي بين المجموعات الهندية الوافدة والسكان الأصليين أن تتأثر بعض مظاهر الحياة بهذا الوجود. وكانت اللغة– لغة الحياة اليومية– من أبرز تلك الأمور التي بدا فيها بوضوح التأثير الهندي حيث دخلت مفردات اللغات الهندية في لهجة أهل عمان مثل بنكه (للمروحة) و تجوري (للصندوق) و سامان (للاثاث) و جشما (للنظارة) و بالتي (للسطل) و المفردات الأخرى. وتأثرت اللغة العربية بالمصطلحات الهندية الخاصة بالملاحة وأنواع السفن والعاملين عليها. وقد لوحظ أيضاً أن التأثيرات اللغوية الهندية لم تقف فقط عند النواحي الاقتصادية والملاحية، بل تطرقت تلك التأثيرات أيضاً إلى النواحي الحياتية، فقد انتشر كثير من الكلمات الهندية داخل المنازل العربية في عمان واستخدمها العمانيون في حياتهم العادية اليومية. وفي نفس الوقت تأثرت اللغة الهندية في المناطق الساحلية والمدن الكبرى أكثر منه في الداخل، ويرجع ذلك إلى الصلات التاريخية بين الهند وعمان منذ أقدم العصور وخاصة تلك الصلات التي ربطت بين الطبقة التجارية وبين المناطق التي سكنتها الجاليات الهندية في مسقط، فبناء على الاحتكاك التجاري نتج احتكاك آخر، إذ حدث تبادل لغوي و ثقافي، فتجار عمان الذين قاموا بزيارات منتظمة إلى"بومباي" قد عرفوا كلمات هندية نتيجة احتكاكهم بالمجتمع الهندي حيث استخدموا كلمات هندية لقضاء أمورهم، وإنجاز معاملاتهم التجارية ، لأنهم في كثير من الأحيان لم يجدوا لها مقابلاً في لغة التعامل مع الجالية الهندية المقيمة في مسقط، الأمر الذي دفعهم

إلى استخدام الكلمات الدالة على تلك الاحتياجات مثل "اسبتال" بمعنى "مستشفى" الذي كان يقبل عليه العمانيون أثناء تواجدهم في بومباي.

ويمكننا العثور على كمية هائلة من الكلمات من أصل هندي في مفرداتهم. على سبيل المثال، سنتري (عسكري)، و قولي (الحمال)، و تاوى (آنية عمل الخبز)، و بنكه (المروحة)، و تجوري (الصندوق)، و سامان (الاثاث)، و جشما (النظارة)، وبالتي (السطل)، و تشولها (المدفأة الصغيرة) و غيرها. ويستخدم العمانيون العديد من التعبيرات الهندية في حياتهم اليومية مثل : تشوب (أسكت) وبخشش (العطاء) وشاباش (أحسنت). ووفقا للدكتور سعيد سليمان العيسائي، فإن هذه الكلمات الهندية الأصل لا تستخدم في الحديث فقط، بل إنها تشكل أيضا جزءً للأدب العماني. والبيت التالي يوضح الأشياء أكثر.

دار قلبي دورة البنكه خشم ريم لا يزاغر به[14]

وتحظى الأطباق الهندية بشعبية كبيرة في عمان حيث أنها تستعمل و تستهلك في عمان بدون تغيير أسمائها مثل برياني الهندي (البرياني) وبكورا وكيما ودال وسموسا. و الخضروات الهندية "سيتافل" لم تفقد اسمها الهندي في حين سافرت الى عمان و يطلق عليها العمانيون (الاستفعل).[15]

**السينما والموسيقى الهندية**

تحظى السينما والموسيقى الهندية بشعبية كبيرة بين العمانيين، وأنها تلعب دورا هاما في توطيد العلاقات الثقافية الثنائية بين البلدين. ولتعزيز العلاقات الثقافية قد تم توقيع عدد من الاتفاقات و مذكرات التفاهم بين البلدين. وحول الاتفاقية الثقافية– تم توقيعها في السنوات الأخيرة– أكد سعادة السفير الهندي السابق لدى سلطنة عمان، السيد أنيل ودوا: "أن التوقيع على الاتفاقية الثقافية بين الهند والسلطنة تدل على الاهتمام البالغ لكلتا الحكومتين بتعزيز العلاقات الثقافية بين البلدين والعلاقات البينية بين الشعب الهندي والعماني وبموجب مذكرة التفاهم الموقعة بين البلدين تحصل زيارات الوفود الثقافية وفرق الفنون بين البلدين، وكذلك يتم تبادل المعرفة

والخبرة والمهارات والمعلومات التي تساند البرنامج الثقافية والفنون. علاوة على ذلك تتدرج في جدول الأعمال تنظيم الجلسات الثقافية وجلسات الأدباء والكتاب بين البلدين ونتطلع إلى تبادل زيارات الوفود في مجالات الفنون والموسيقى والمسرحيات والفولكلور. سوف تقوم السلطنة والهند بتشجيع إقامة الأسابيع الثقافية والفنية وبخاصة جدا فيما يخص بالفنون التشكيلية والمعارض الفوتوغرافية في كلا البلدين. علاوة على ذلك سوف تقوم السفارة بتشجيع جهود الجالية الهندية المقيمة بالسلطنة لإقامة البرامج الثقافية بشكل مستمر ونتوقع زيارة مزيد من الفرق الثقافية والمبعوث من المجلس الهندي للعلاقات الثقافية إلى السلطنة في هذا العام.[16]

والشعب العربي وخاصة العمانيون يحبون الأفلام الهندية كثيرا. دخلت السينما الهندية في عمان في السبعينات، و أخيرا، بدأ قنوات التلفزيون بث الأفلام الهندية كل يوم جمعة. وساهمت هذه الأفلام كثيرا في إدخال الثقافة الهندية في المجتمع العماني. ومن البواعث الشعبية للسينما الهندية أنها تتعامل مع الموضوعات مثل التعايش السلمي والتسامح الديني وحرية التعبير والاحترام المتبادل و الحوار بين الأديان. وتبث قنوات التلفزيون العربية و خاصة العمانية بانتظام الأفلام الهندية مع الترجمة العربية. و قد تم تصوير العديد من الأفلام الهندية بما فيها الأفلام لفيروز نادياد والا في عمان لأن لديها المناظر الطبيعية الجميلة. ومعظم الصحف والمجلات الصادرة من الهند متوفرة في عمان. ويمكن الوصول إلى العديد من القنوات التلفزيونية على الهواء باستخدام خدمات الأقمار الصناعية في سلطنة عمان مجانا أو بدفع الاشتراك.

والتشابه الثقافي بين الهنود والعمانيين ملحوظ جدا في كثير من الأشياء مثل الملابس والمجوهرات و أسماء الأماكن والزواج. والملابس الهندية خاصة الساري والفساتين الكشميرية والبنغالية تحظى بشعبية كبيرة بين النساء العمانيات. ولوحظ أن المسار (العمامة العمانية) كانت تصنع في كشمير و تصدر لهم لفترة طويلة. وإن عددا من الهنود في ولاية كيرالا يلبس نفس المسار في حياتهم اليومية. ويقال أن

هناك منطقة في حيدر أباد في الهند الجنوبية تسمى "صلالة" ، تمت تسميتها على مدينة صلالة في عمان. وهناك درجة كبيرة من التشابه بين التطريز على الملابس والخشب والحرف في ولاية راجستان و عمان. وتقاليد الزواج بين الهنود والعمانيين قديمة جدا، و قد بدأ هذا التقليد للزواج مع وصول التجار العمانيين في الهند. إن وصول الإسلام ومستوطنات التجار العمانيين الدائم في الهند قد أجبرهم على الزواج مع بعضهم البعض.[17]

ويتضح التأثير الحضاري بين الفن المعماري الهندي ونظيره العماني فى الحصون والقلاع والبيوت والمساجد، ولايمكن الإنكار أن هذا الفن المعماري الهندي في الأصل قدتأثر بالطابع الاسلامى وخاصة المغولي منه لذا لانجد غرابة في أن يحمل التجار الهنود معهم هذا التأثير ليصبغ المعمار العماني في تلك الفترة التي أعقبت طرد البرتغاليين من مسقط.

ويلعب مكتب الملحق الثقافي العماني في نيودلهي والنادي الاجتماعي الهندي في عمان دورا حاسما في تشجيع وتعزيز الروابط الثقافية بين البلدين. والزيارات الثنائية من قبل الوفود الثقافية والتعليمية قد جعلت العلاقات أقوى وأحسن. العمانيون في الهند ولا سيما الطلاب هم خير سفراء لوطنهم كما أنهم يقومون بعرض ثقافتهم في مناسبات مختلفة. و أحيانا تقوم الفرق العمانية بالبرامج الثقافية في أجزاء مختلفة من الهند. و يقوم الفنان العماني بانتظام بعرض لوحاتهم في مختلف المدن الهندية. و قد تم عرض لوحات الفنانين العمانيين تحت عنوان "بين البحرين" في الهند عام 2008. و قد جلبت عمان مجموعة من الفنانين بمن فيهم أنور سونيا و حسن مير ورادهيكا هملائ و عرضت أعمالهم في نيو دهلي. و قد جذبت اللوحات والتصاميم المعمارية العمانية حوالى مئة زائر يوميا.[18]

قام العديد من الفنانين الهنود بأدائهم في سلطنة عمان خلال السنوات القليلة الماضية. ومعظمهم من صناعة السينما الهندي والتاميلي والمليالمي. و يوفر المجلس الهندي للعلاقات الثقافية في نيو دهلي تسهيلات لزيارة الفنانين الهنود إلى

الدول العربية بما فيها عمان لتقديم نماذج الثقافة الهندية. و مجلة "ثقافة الهند" باللغة العربية الفصلية الصادرة من المجلس المذكور تفتح نافذة على العرب للإطلاع على الثقافة الهندية. وهذه المجلة تحظى بشعبية كبيرة في العالم العربي.

إن النادي الاجتماعي الهندي (النادي الإجتماعي للهنود المقيمين في عمان) يلعب دورا هاما في حياة الهنود الاجتماعية والثقافية الذين يعيشون في عمان بتنظيم الأنشطة الثقافية والرياضية. كما يستضيف النادي الفنانين الزائرين ويشارك أيضا في الأعمال الخيرية.[19] وقد لعبت ولا تزال تلعب المؤسسات التعليمية الهندية دورا هاما لتعزيز العلاقات الثقافية بين البلدين. وبعض المؤسسات المرموقة في الهند قد اهتمت بالتعليم لعدد من قادة عمان مثل تيمور بن فيصل الذي بقي 30 عاما تقريبا في الهند وكذلك السلطان سعيد بن تيمور، والد السلطان قابوس بن سعيد (حاكم عمان الحالي).

إن هناك "بيت عمان" في منطقة أجمير الواقعة في راجستان حيث سكن فيه أعضاء الأسرة الحاكمة في عمان خلال دراستهم في كلية "مايو" الشهيرة. و عدد من الشخصيات العمانية البارزة مثل الشاعر عبد الله بن محمد الطائي و محمد أمين عبد الله والسيد جواد بن جعفر الخابوري، مؤلف الكتاب الشهير "دور عمان في شبه القارة الهندية"، و هؤلاء كلهم أكملوا دراساتهم في الهند. و الشاعر العماني الكبير أبو الصوفي أمضى بعض الوقت في الهند مع تيمور بن فيصل وتعلم اللغة الإنجليزية والأردية.[20]

ومن الحقيقة أن عددا ملحوظا من العمانيين أكملوا دراستهم في الهند و لا يزال يأتي عدد كبير من الطلاب العمانيين إلى الجامعات الهندية و المؤسسات التعليمية للدراسات العليا و لا سيما في الموضوعات الفنية مثل الهندسة وتكنولوجيا المعلومات والطب. وحاليا، هناك عدد كبير من الطلاب العمانيين يدرسون في مختلف الكليات والجامعات في جنوب الهند. ووفقا للملحق الثقافي العماني في نيودلهي لقد تخرج حوالى ألف طالب عماني في مختلف الكليات الهندية وأكثر من

1500 طالب يدرسون حاليا.[21] ومعظم الطلبة العمانيين يفضلون الدراسة في الكليات التي تقع في مدن الهند الجنوبية مثل بونا وحيدر آباد و بنجالور وتشيناي وعدد قليل يأتون إلى المدن الشمالية مثل دلهي. وقد يكون السبب هو المناخ المعتدل في الهند الجنوبية الذي يجذب الطلبة العمانيين.

ليس هذا فقط، لقد تم افتتاح عدد من المؤسسات التعليمية الهندية في عمان بما فيها معهد برلا للتكنولوجيا وفرع جامعة مانيبال لتلبية احتياجات التعليم للعمانيين.[22] وفضلا عن ذلك، سلسلة من المدارس الهندية تلعب دورا هاما في تعزيز الثقافة الهندية في عمان. وإن وجود 16 مدرسة هندية في مناطق مختلفة في عمان يشير إلى أن الجالية الهندية تعلق أهمية كبيرة على التعليم. وتتبع جميع المدارس منهج المجلس المركزي للتعليم الثانوي.[23]

والحرية الدينية في عمان هي واحدة من العوامل الرئيسية للعلاقات الوطيدة بين الهند وعمان. و القانون الأساسي للبلاد يضمن حرية ممارسة الشعائر الدينية لكل المواطنين الهنود في عمان حيث أنشأ الهنود معابدهم. إن معبد شيفا (المعبد الهندوسي) الذي يقع في مسقط ويقال إنه تم إنشاءه قبل مأة سنة. ومعبد كرشنا (المعبد الهندوسي) واقع في روي. و هناك معبد آخر للسيخ و سبع كنائس للمسيحيين. و كل المهرجانات الهندية الشهيرة مثل ديباوالي (عيد الأنوار) و هولي (عيد الألوان) وجنم أشتمي (يوم ميلاد كرشنا) و رام نوومي (يوم ميلاد رام) تحتفل مع كل الحرية الدينية في عمان.[24]

## الخاتمة

لا شك فيه أن العلاقات الثقافية و السياسية بين الهند وعمان استمرت عبر العصور دون أي فواصل أو ثغرات مرئية. إن الإسلام و توسعه ربما كان أكثر حسما من تلك العوامل التي عززت العلاقات الهندية العمانية بطريقة كبيرة. ومن بين عدة عناصر النمو بعد نشر الإسلام كانت الديناميكية الثقافية التي انتشرت عبر

الأراضي ذهب إليها المسلمون. وكان العمانيون مع الدين الجديد بذلوا جهودهم غير العادية في نشر ثقافتهم.

ومع الحفاظ على العلاقات التجارية القوية مع السلطنة العمانية، ظلت الهند محورا للتبادل الثقافي بين هاتين المنطقتين. وكان هناك الإشتراك الثقافي والمادي بين هاتين الحضارتين. والثقافات التي تبدو في كثير من الأحيان متباينة. وكانت على الإتصال الدائم وتبادل المعلومات مع بعضها البعض. وشهدت تلك الفترة أيضا الهجرة المتبادلة من قبل التجار من كلا الجانبين على حد سواء. و الآن هذا الإرث يستمر مع الحفاظ على حالها مع وجود عدد كبير من المغتربين الهنود في الدول العربية بما فيها سلطنة عمان.

---

**المراجع والمصادر:**


[1]. السيد أبو ظفر الندوي، مختصر تاريخ هند (تاريخ الهند الموجز)، ص 27- 28.

2- قاضي أطهر مبارك فوري، عرب و هند عهد رسالت مين (العرب و الهند في عهد الرسالة) ، مكتبة الحق مومباى، ص- 59

[3]. المسبار، العدد 211، 20 مارس 2011، الصادرة من جامعة السلطان قابوس، مسقط، سلطنة عمان، ص_8

[4] . http://www.indemb-oman.org/India_Oman_relations.asp.

[5]. India and Oman: History, State, Economy and Foreign Policy, Ed. Pasha, A.K, Gayan Sagar Publications, Delhi-1999, p 7

[6]. Ibid

[7] . Ibid, P-75

[8] . http://www.indemb-oman.org/India_Oman_relations.asp

[9] . Ibid

[10] .Ibid

[11]. Rahman, Anisur, International Politics, Vol.2, No.III, Winter & Spring 2009, (Biannual Journal), Tehran, Iran, p 102

[12] . Oman in Focus, 2008 Edition, Embassy of Sultanate of Oman, New Delhi, p20

[13] . India and Oman: History, State, Economy and Foreign Policy, Ed. Pasha, A.K, Gayan Sagar Publications, Delhi-1999, p 86

[14] . This is an unpublished paper presented in an International Seminar on "Literary and Cultural Heritage of India and Oman held in Jawaharlal Nehru University, New Delhi, India in November, 2010

[15] . Ibid

[16]. تواصل، العدد 26، ملحق خاص تصدره جريدتا عمان و observer بالتعاون مع جامعة السلطان قابوس بمناسبة إفتتاح الندوة (عمان و الهند: آفاق و حضارة) ، ص 6

[17] . This is an unpublished paper presented in an International Seminar on "Literary and Cultural Heritage of India and Oman held in Jawaharlal Nehru University, New Delhi, India in November, 2010

[18] . Oman in Focus, 2008 Edition, Embassy of Sultanate of Oman, New Delhi, p24-25

[19] . Rahman, Anisur, International Politics, Vol.2, No. III, Winter & Spring 2009, (Biannual Journal), Tehran, Iran, p 106

[20] . This is an unpublished paper presented in an International Seminar on "Literary and Cultural Heritage of India and Oman held in Jawaharlal Nehru University, New Delhi, India in November, 2010

[21] . http://www.omancdin.com/stu-sta.htm

[22] . Oman in Focus, 3rd Edition, Embassy of Sultanate of Oman, New Delhi, May, 2005

[23] http://www.indemb-oman.org/India_Oman_relations.asp

[24] Rahman, Anisur, International Politics, Vol.2, No.III, Winter & Spring 2009, (Biannual Journal), Tehran, Iran, p 108

# دور الكتّاب الهنود في تدوين تاريخ الأدب العربي الهندي

**محمد سليم***

إن الأدب العربى الهندي يُعرف بغزارة إنتاجاته، ووفرة مؤلفاته، وتنوع موضوعاته وكثرة إنجازاته. ومردّ هذه الغزارة فى الإنتاجات والتنوع فى الموضوعات إلى الحقيقة التى لا نكران لها، ألا وهى أن اللغة العربية فى الهند وجدت منذ أن بزغت شمس الإسلام على أرضها رجالا وقفوا أنفسهم على خدمتها وصيانتها فى هذه الأرض تعليما وتعلما، تأليفا وكتابة مما دفع رجالات الأدب والفكر والتاريخ إلى الاعتراف بأن للكتاب الهنود جهودا مشكورة ومحمودة فى ترويج اللغة العربية و الأدب العربى. ولعل هذا من الأمور التى تحيّر العقول أن لغة لم تكن فى وقت من الأوقات لغة رسمية لعموم الهند ومع ذلك بقيت فى أرض الهند حيّة تُرزق، ووجدت رواجا وقبولا بين عدد كبير من الناس. إن هذا لأمر عجاب. والحق أن للمدارس الإسلامية والمعاهد الدينية والمؤسسات الأكاديمية دورا لايُستهان به فى نشر اللغة العربية وعلومها وتراثها فى أرض الهند.

ووجود هذا التراث العربى الزاخر، وهذا النتاج الأدبى الغزير، وهذا الإنتاج الفنى الوافر مما دفع بعض الكتاب الهنود إلى تدوين هذا التراث الضخم وجمع هذا الرصيد الأدبى والثقافى الغنى إيمانا منهم بأن هذا التراث إذا لم يتم تدوينه وجمعه فإنه سيصبح نسيا منسيا أو سيبتلعه الزمان وستعبث به يد الدهر بالتلف والضياع.

---

* الباحث في الدكتوراه، جامعة جواهر لعل نهرو، نيودلهي.

فقام من بين العلماء الهنود من حاولوا الإدلاء بدلوهم فى هذا المجال. يقول الدكتور أحمد إدريس فى كتابه" الأدب العربي فى شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين" بهذا الشأن: " وددت لو أن ألفا أونصف ألف من الباحثين العرب قسموا أنفسهم بين مكتبات شبه القارة الهندية التى تضم الهند وباكستان وبنغلاديش، ونفضوا التراب عن ألوف الكتب العربية التى كتبها أبناء هذه الدول وقت أن كانوا دولة واحدة، يحكمها ملوك باسم الإسلام وينشر الإسلام فيها علماء أجلاء ذابت أجسادهم تحت الثرى، وبقيت لنا كتبهم، أوبعض كتبهم، لتعلن أن اللغة العربية توجد فى كل مكان وصلت إليه أشعة نور القرآن.....ذلك أن ما كتبه أهل هذه المنطقة من مؤلفات مطبوعة ومخطوطة، بل ما بقى منه بعد أن امتدت أصابع الإحراق أو الإتلاف عمدا أو سهوا فأضاعت منه الكثير، يفوق خيال كل عربي، وينحنى له الباحث إجلالا وتقديرا لوفرته وتنوعه وجودته".[1]

ومن المهم أن نذكر هنا بأن تدوين هذا التراث لم يتم على أيدى العرب وإنما حصل ذلك على أيدى الكتاب الهنود ويتضح ذلك كل الاتضاح حينما نرى فى أمهات الكتب الأدبية التى ألفها العرب عن تاريخ الأدب العربي فلا نكاد نجد فيها إلا إشارات قليلة ضعيفة وواهنة عن الأدب العربي الهندى. ويقول الدكتور أبوالحسن على الحسنى الندوي بهذا الشأن: "ولكن الهند بقيت محجبة عن أنظار العلماء والمؤرخين فى العالم العربي لأسباب كثيرة، منها: بعد هذا الجزء من العالم الإسلامى عن جادة الثقافة الإسلامية العالمية التى تمرّ عليها قوافل العلم والتدوين، وبسبب انطوائها على نفسها، وبسبب أن اللغة الفارسية ظلت لغة الديوان ولغة التدوين والتاريخ، طول الحكم الإسلامى فى الهند..... ويدل على ذلك دلالة واضحة أن العلماء الذين ألفوا الكتب فى الطبقات والتراجم فى بلاد العرب على حسب القرون لم يذكروا أعيان الهند وعلماءها ونوابغ رجالها إلا تَحِلّة القسم". [2]

فالحاجة كانت ماسة إلى ظهور من يسدون هذه الثغرة، ويملأون هذا الفراغ، فلم نكد نلبث طويلا حتى رأينا من أدباءنا من حملوا هذه المسؤلية على عواتقهم

وشمروا عن سواعدهم وبنوا عزمهم على إحياء هذا التراث العربى الأدبى الضخم، وتخليد هذا الأدب الثرى الغزير فى صفحات التاريخ. فما كان قد صدر على أيدى الكتاب الهنود البارعين من أدب منثور ومنظوم كان خليقا بأن يحفظ ويصان من عبث الزمان. وأول محاولة فى تدوين تاريخ هذا التراث الأدبى الهندى هى محاولة غلام على آزاد البلكرامى الذى هو معروف بين الأوساط الأدبية ب"حسان الهند" لقصائده الرائعة فى المديح النبوى.

**غلام على آزاد البلكرامى:** غلام على آزاد بلكرامى كان شاعرا موهوبا وأديبا قديرا من الدرجة الأولى. نجد فى شعره روعة الأسلوب وعذوبة البيان ورقة الشعور ودقة الحس والجمال فى تنسيق الكلمات وموسيقى ساحرة تنبثق من شعره لأجل مهارته فى تنضيد الكلمات وتنظيمها. وبالإضافة إلى كونه شاعرا كان ناثرا كبيرا. وكتبه فى الأدب والبيان وتاريخ الثقافة الإسلامية الهندية تعتبر زينة المكتبات ومن خزائن التراث العربي الهندى. وكتابه" **سبحة المرجان فى آثار هندوستان**" هو أول مؤلَف ألف فى تدوين وجمع التراث الأدبى الهندى المنظوم منه والمنثور وفى كتابة تراجم أصحاب ذلك التراث بمن فيهم العلماء والأدباء والنحويون والشعراء وأصحاب الفقه والأصول. ومع أن هذا الكتاب يعتبر أول محاولة جادة فى كتابة تاريخ الأدب العربى الهندى إلا أن صاحبه لم يرتكز فيه على نقطة مركزة أساسية واحدة. بل انتقل فيه إلى أمور أخرى وإلى فنون أخرى غير الفن الذى بدأه به أو غير ما نحن نلتمس فيه الآن فى العصر الحديث حيث أن تاريخ الأدب أيا كان مكانه وأيا كان مهبطه ومولده نلتمس فيه أن يكون على منهج محدد خاص مثل المنهج الذى هو سائد بين الأوساط الأدبية فى العصر الراهن. وللكاتب غلام على آزاد بلكرامى عذره بل أعذاره فهو أول من ألف هذا الكتاب فى هذا الفن فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر، وذلك فى وقت لم يجترئ أحد فى الهند على مثل هذه المغامرة الكتابية لتدوين تاريخ هذا التراث وجمعه. وللمبتدئين أعذارهم وهى مقبولة ومأجورة. أقول إن تأليف مثل هذا الكتاب فى ذلك الوقت لهى مغامرة بذاتها وصاحب الكتاب هو بنفسه

يقول: " وقد تحيّرت فى الإقدام، وتأملت فى الاقتحام، لقلة المواد المؤيدة للتأليف، وفقد الجواهر المهياة للتشنيف، فنصحنى الفؤاد، وهو الراسخ على نهج السداد.....وصنفت هذا السفر المبين، وسميته "سبحة المرجان فى آثار هندوستان".[3] ويقول المؤلف فى مكان آخر فى كتابه "وما رأينا من السلف والخلف كتابا مستقلا فى هذا الباب لا على طريق الإيجاز، ولا على سبيل الإطناب".[4] ويقول الدكتور السيد رضوان على الندوي فى كتابه" اللغة العربية وآدابها فى شبه القارة الهندية الباكستانية عبر القرون": " وأول كتاب ألف فى شبه القارة الهندية عن العلماء، وليس الأدباء والشعراء فحسب، هو كتاب "سبحة المرجان فى آثار هندوستان، للعلامة المؤرخ الأديب الشاعر غلام على آزاد بلكرامى فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر للهجرة الموافق للقرن الثامن عشر الميلادى".[5]

وتكلّمنا فيما مضى عن أعذار غلام على آزاد المقبولة والمأجورة كونه أول من حاول الكتابة فى مثل هذا الفن من أبناء الهند. ومما يؤخذ على هذا الكتاب هو أن صاحبه لم يلتزم فيه بفن تدوين الأدب العربى بمقاييسه ومعاييره التزاما كافيا. بل بدلا من ذلك إنه انتقل من موضوع إلى آخر. ففى الفصل الأول جمع ما للهند من ذكر ومحاسن فى القرآن والحديث. وفى الفصل الثانى انتقل إلى ذكر ما للعلماء الهنود من خدمات فى العلم والأدب فذكر تراجمهم وخدماتهم. ثم انتقل إلى علم البديع فى الفصل الثالث. وفى الفصل الرابع جمع كلام العشاق والعاشقات. ثم إن هذا الكتاب ليس تاريخا محضا للأدب العربى الهندى بمعناه الحديث، حيث إنه جمع فيه ذكر العلماء وإن لم يكونوا قد قرضوا شعرا أو كتبوا نثرا. وأما أسلوب البلكرامى فى هذا الكتاب فهو سلس سيال اللهم إلا ما يرد فى بعض الصفحات من نثر مسجوع متكلف. ومع هذا كله فإن الكتاب لهو جهد مشكور وعمل جليل وصاحبه أدى حقّه وبلّغ أهله ونبّه أصحابه وأهل بلاده ليكملوا ويوسّعوا ما بدأه هو.

وبعد غلام على آزاد البلكرامى مرّ علينا وقت طويل، وزمان مديد، لم نظفر فيه بأيّ كتاب يذكر بهذا الشأن إلا ما نجده من ذكر خاطف أو إشارة طفيفة فى بعض

كتب الأدباء. **فها هو السيد نواب صديق حسن خان يقوم بتأليف كتاب باسم " أبجد العلوم" فى ثلاثة أجزاء.** وفقط فى الجزء الثانى للكتاب نجد ذكر تراجم بعض الأدباء ومؤلفاتهم. ونحن نستطيع أن نقول بأن كتاب السيد حسن خان هذا يكاد ألا يكون تاريخا للأدب العربى الهندى لما يتضمّن هذا الكتاب من العلوم والمعارف والأخبار والمعلومات عن أشياء أخرى غير ما نحن بصدد الكلام عنه.

**عبد الحى الحسنى وكتابه نزهة الخواطر أو الإعلام بمن فى تاريخ الهند من الأعلام:**

وأول كتاب موسع فى تدوين تاريخ الأدب العربى الهندي هو كتاب العلامة الطبيب عبد الحى الحسنى" نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر" والذى قال عن صاحبه أديب الفقهاء وفقيه الأدباء الأستاذ على الطنطاوى فى الذكريات: " إنه مؤرخ الهند حقيقة ولقد استفدت من كتابه العظيم" نزهة الخواطر" فوائد جلية فى تراجم عظماء الهند التى أودعتها فى كتابى (رجال من التاريخ) وفى رسالتى عن أحمد بن عرفان العالم المجاهد الصالح المصلح الذى ذهب شهيدا فى المعركة الإسلامية لإعلاء كلمة الله".[6] ويقول فيه أيضا" وقد قرأت الكتابين اللذين وصلا إلىّ مما ألفه والد السيد أبى الحسن، كتاب( نزهة الخواطر) الذى جمع فيه من سير أعلام الهند، ومن نشأ فيها، مالم يجمعه كتاب غيره، فهو يغنى فى هذا الباب عن كل كتاب".[7] ويقول الدكتور السيد رضوان على الندوى: "وأوسع كتاب فى تراجم العلماء والأدباء والشعراء والحكماء والكتاب والملوك والوزراء والزهاد والأولياء والمغننين والأطباء وغيرهم هو "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر".[8]

وهذا الكتاب للأديب عبد الحى الحسنى وغيره من كتبه تجرى على مسار واحد وفى اتجاه واحد ألا وهو تقديم التراث العربى الهندي للعالم العربى وغير العربى. وجمع المواد وتدوين التاريخ والكتابة لأجل إحياء وابقاء وتخليد التراث العربى كان شغله الشاغل منذ أن كان شابّا. فهو يقول فى مقدمة كتابه " نزهة الخواطر": "فإنى

منذ أن عرفت اليمين من الشمال، وميّزت بين الرشد والضلال، لم أزل ولوعا بمطالعة كتب الأخبار، مغرى بالبحث عن أحوال الأدباء الأخيار، حريصا على خبر أسمعه، أو شعر تفرّق شمله فأجمعه، حتى اجتمع عندى ما طاب وراق، وزيّن بمحاسن لطائفه الأقلام والأوراق، فاقتصرت منه على أخبار أدباء الهند التى أنا فيها، وضربت صفحا عن أدباء الأقاليم الأخر التى تنافيها، حرصا على جمع ما لم يجمع، وتقييد شئ لم يُقل إلا ليقيد ويسمع".[9]

ولعلّنا لا نبالغ إذا أطلقنا على هذا الكتاب اسم "الموسوعة الأدبية" للأدب العربى الهندى ورجاله. وعملنا هذا لا يكون خارجا عن طريق الإنصاف بل هو سيكون عين الإنصاف. فإن تدوين هذا التراث العربى المنثور فى صفحات التاريخ وفى صدور الناس وفى أوراق الكتب فى مختلف اللغات الهندية من الأردية والفارسية وغيرهما لهو عمل شاق ويستغرق وقتا طويلا. وحقا صاحبه بذل جهدا مضنيا فى تأليف هذا الكتاب.

ومما يعطى الكتاب أهميته ويرفع شأنه هو أنه أول مؤلف يغطى فى تدوين تاريخ الأدب العربى الهندى المساحة الزمانية والمساحة المكانية كلتيهما. فهو يبدأ من القرن الأول الهجرى إلى القرن الرابع عشر الهجرى. هذا عن الامتداد الزمانى، أما عن الامتداد المكانى فهو يشمل جميع أراضى الهند من شرقها إلى غربها، ومن شمالها إلى جنوبها. وبهذا الصدد يقول الأستاذ أبوالحسن على الحسنى الندوى: " ولعل الهند هى القطر الإسلامى الوحيد الذى سجلت تراجم أعيانه من القرن الإسلامى الأول إلى القرن المعاصر فى كتاب واحد، فهنالك أقطار إسلامية قد مثلت دورا خطيرا فى تاريخ الفكر الإسلامى، وفى تاريخ العلوم الإسلامية، ونبغ فيها من العلماء والعظماء الذين لا يحصون بحد وعد، كبخارى وسمرقند وأفغانستان وإيران وغيرها، لم يكتب تاريخ رجالها ولم تدون تراجم أبناءها بهذا التسلسل والتحقيق". [10]

وبالرغم من أن هذا الكتاب مؤلف موسع يدوّن تاريخ الأدب العربى الهندى فى امتداده الزمانى والمكانى وجمع فيه صاحبه تراجم أكثر من أربعة آلاف وخمسين ومائة ونيف، بالرغم من هذا كله إلا أنه لا يتفق مع فن تدوين تاريخ الأدب العربى فى معناه الفنى الحديث الذى نحن ندرسه ونفهمه. ومما يؤخذ على صاحبه هو أنه لم يذكر فيه الأحوال السياسية والثقافية فى العصر أو المكان الذى هو يتحدّث عنه. وهذا النقد وإن كان قد أتى فى وجهه الصحيح إلا أنه يفقد كثيرا من وزنه إذا أمعنا النظر فى كيفية وحجم وضخم وزمان ومكان تدوين التراث العربي الذى كان صاحب الكتاب يعمل به أوفيه. وفى الجزء الثامن للكتاب إضافات قدّمها نجل المؤلف أبو الحسن على الندوى فى تراجم بعض الشخصيات التى كتب عنها عبد الحى ووافته المنية بينما حدثت تطورات فى حياة هذه الشخصيات فحاول رصدها أبو الحسن الندوى فذكر القضايا السياسية والاجتماعية التى كانت الشخصيات تعايشها وتمرّ بها . فعلى سبيل المثال لدى ذكر الكاتب لترجمة أبو الكلام آزاد يقول عن الأحوال السائدة آنذاك: " وكانت البلاد فى ذلك الحين تشتعل قلقا واضطرابا بتأثير ما حدث فى ممتلكات الدولة العثمانية وسياسة الحلفاء، وفى مقدمتهم الحكومة البريطانية فى قضية العثمانيين والبلاد الإسلامية كلها، وظهر تقرير" رولت" وصدر القانون الخاص بالمسلمين وكانت حركة الخلافة على قدم وساق، فخاض أبو الكلام فى هذه الحركة وأشعلها بخطابته الساحرة، ومقالاته البليغة القوية، ورافق مستر غاندى الذى كان قد احتضن حركة الخلافة وفكرتها، مجاراة لعواطف المسلمين وتأييدا لقضية عادلة.....وقد دبّ الخلاف فى صفوف المؤتمر الوطنى، واندلعت نيران الفتنة والخلاف بين المسلمين والهنادك بصفة خاصة وحدثت اصطدامات عنيفة بين الطائفتين فى طول البلاد وعرضها".[11]

والحق أن هذا مؤلف كبير وعمل عظيم وكنز ثمين وصاحبه يستحق تقديرا وإعجابا أكثر مما نحن نقدّمهما إليه. وهنا ينطرح سؤال، وهل بقى لأحد شئ بعد هذا الكتاب؟ نعم بقى ولا يزال باقيا. فإن الزمان يسير، والركب الحضارى والثقافى لايزال

يتقدّم، والمستجدات الحديثة تطرأ علينا والتطورات الأدبية تستجد أمامنا. وكل يوم يفتح لنا مجالا جديدا وبحثا جديدا. وقد ظهر بيننا من حاولوا كتابة تاريخ الأدب العربى الهندى فى معناه الفنى الحديث.

فها هو الدكتور السيد رضوان علي الندوى الذى ألف كتابا أسماه" **اللغة العربية وآدابها فى شبه القارة الهندية الباكستانية عبر القرون**" فدوّن فيه تاريخ الأدب العربى الهندى على منهج حديث. فقسّم الأدب العربى الهندى على أساس العصور المختلفة. فذكر العصر العربي والعصر الغزنوى فى فصل، وعصر سلطنة دهلى فى فصل آخر، ثم عصر المغول الأول فى فصل آخر ثم العصر المغولى الثانى فى فصل آخر. وإنه ولو جمع تاريخ الأدب العربى الهندى على المنهج الحديث إلا أن كتابه هذا يفتقر إلى نقطة هامة ألا وهى فقدان التحليل ونقد النصوص التى دوّنها الأدباء الهنود. كما أن الكاتب لم يبحث فيه أسلوب الأدباء وطريقة معالجتهم للموضوعات إلا قليلا نادرا. وهناك كتاب آخر ألفه الدكتور زبيد أحمد والكتاب باللغة الإنجليزية باسم" The Contribution of Indo-Pak to Arabic Literature" وعنه يقول الدكتور السيد رضوان أحمد الندوى: " ولكن هذا الكتاب ليس فى الأدب العربى وحده، بل يشمل علوم التفسير والحديث والفقه والفلسفة والتصوف والمنطق والتاريخ بجانب النحو والشعر والنثر وقد وقف مؤلف عند سنة 1857م.....وهذا الكتاب فى قسمين، الأول فى الكلام على العلوم المذكورة آنفا فى شبه القارة الهندية، والقسم الثانى فيه الكلام عن المؤلفين فى هذه العلوم العديدة المتنوعة ومؤلفاتهم". [12] ولكن مما يؤسف له أن هذا الكتاب فيه نقص من جانب تحليل النصوص التى يتناولها صاحب الكتاب بالبحث والدراسة، ومن جانب آخر نجد الكاتب يذكر أحيانا أسماء الكتّاب ومؤلفاتهم كأنى به يُعِدّ فهرسا للمؤلفين والمؤلفات.

وفى العصر الحديث وبالتحديد فى القرن العشرين وفى وقتنا الحاضر بدأت محاولات جادة وحثيثة واعتناءات كبيرة واهتمامات بالغة بتدوين تاريخ الأدب العربى

الهندى من جميع نواحيه وفنيه المنثور منه والمنظوم. وللأساتذة الجامعيين وغيرالجامعيين وللباحثين جهود مشكورة فى تدوين تاريخ الأدب العربى الهندى. وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر جهود **الدكتور أشفاق أحمد الندوى الذى ألف كتابا باسم" مساهمة الهند فى النثر العربى خلال القرن العشرين**" وذكر تطور الأدب العربى الهندى فى هذا القرن مع ذكر القضايا السياسية والثقافية التى نشأ فيها ذلك الأدب كما أنه بحث خدمات كبار الأعلام فى ترويج اللغة العربية واختار فى كتابه هذا المنهج الحديث لكتابة تاريخ الأدب. كما أن للدكتور **خورشيد إقبال أحمد الندوي كتابا اسمه " اللغة العربية فى الهند عبر العصور**". تكلم فيه صاحبه عن حال اللغة العربية فى أرض الهند منذ أن دخلها الإسلام حتى العصر الحديث، وتحدث فيه عن كبار الكتاب والآثار التى تركوها وراءهم. وبهذا حاول الدكتور أن يساهم فى تدوين تاريخ الأدب العربى مساهمة قيّمة تفيد الأجيال التالية.

وفى هذه الأيام نجد أن تدوين تاريخ الأدب العربى الهندى جار على قدم وساق. ونجد هذا جليا واضحا فيما يقدّمه الباحثون من بحوث جامعية فى الجامعات الهندية المختلفة أو فيما يكتبه أساتذة الفن والفكر وعلماء الأدب والتاريخ من دراسات وبحوث إما عن مساهمة رجال منطقة معينة أو مؤسسة معينة أو عن شخصية أدبية وغيرها. والكل يساهم قدر مستطاعه فى تدوين تاريخ الأدب العربى الهندى وإحياء التراث العربى وإبقاءه والحفاظ عليه من الضياع. وكل هذا جهد مشكور وعمل عظيم.

**المراجع والمصادر**

1. الأدب العربي فى شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين، الدكتور أحمد إدريس، ص 1، الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، 1998.
2. الإعلام بمن فى تاريخ الهند من الأعلام، عبد الحى الحسنى، ص 19، الجزء الأول، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1999.

3.سبحة المرجان فى آثار هندوستان، غلام على آزاد البلكرامى، ص 4–5، معهد الدراسات الإسلامية، جامعة على كره الإسلامية، الطبعة الأولى ، 1976.
4. سبحة المرجان فى آثار هندوستان، غلام على آزاد البلكرامى، ص 62–63، معهد الدراسات الإسلامية، جامعة على كره الإسلامية، الطبعة الأولى ، 1976.
5. اللغة العربية وآدابها فى شبه القارة الهندية الباكستانية عبر القرون، الدكتور السيد رضوان علي الندوي، ص 11–12، مطبعة مكرم، كراتشى باكستان، الطبعة الأولى، 1995.
6. الذكريات، الأستاذ علي الطنطاوى، الجزء الثامن ص، 104–105، دار المنارة للنشر، جدة، السعودية، الطبعة الأولى، 1985.
7. الذكريات، الأستاذ على الطنطاوى، الجزء الثامن ص، 106 دار المنارة للنشر، جدة، السعودية، الطبعة الأولى، 1985.
8. اللغة العربية وآدابها فى شبه القارة الهندية الباكستانية عبر القرون، الدكتور السيد رضوان على الندوي، ص 12، مطبعة مكرم، كراتشى باكستان، الطبعة الأولى، 1995.
9. الإعلام بمن فى تاريخ الهند من الأعلام، عبد الحى الحسنى، ص29، الجزء الأول، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1999.
10. الإعلام بمن فى تاريخ الهند من الأعلام، عبد الحى الحسنى، ص 21، الجزء الأول، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1999.
11. الإعلام بمن فى تاريخ الهند من الأعلام، عبد الحى الحسنى، الجزء الثامن ص 15–16، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1999.
12. اللغة العربية وآدابها فى شبه القارة الهندية الباكستانية عبر القرون، الدكتور السيد رضوان على الندوي، ص 13، مطبعة مكرم، كراتشى باكستان، الطبعة الأولى، 1995.

# السير سيد أحمد خان مصلحا تعليميا

**د. محمد قطب الدين***

تباعا لفشل الثورة الهندية العظيمة في سنة ألف وثمان مئة وسبع وخمسين (1857م)، صب الإنجليز جام غضبهم على أهل الهند وانتقموا انتقاما شديدا. وكان غضب الإنجليز واضحا جدا في قضايا المسلمين كلها، لأن قادة الفكر والسياسة وأقطاب الحكومة من الإنجليز اعتقدوا أن المسلمين هم المسؤولون عن هذه الثورة[1]. وكما يقول البندت جواهر لال نهرو: "هم (المسلمون) كانوا يُعتبرون أكثر مقاتلين ومحاربين ومحتفظين بذكريات الحكومة (المغولية) بالهند، لذلك اعتبرتهم الحكومة (البريطانية) خطرا لها"[2]. فكانوا يؤخذون بأقل تهمة ويعاقبون أشد العقاب. وقام الإنجليز بإحراق بيوتهم واتلاف أموالهم وإراقة دمائهم، "ففي مدينة دلهي فقط، آلاف من المسلمين قد ذُبحوا بالقوات البريطانية وشنقوا على شوارعها، ونُبذت جثثهم تحوم عليها الغربان والحدآن. خرّبت الحارات الكبيرة والمعابد والزوايا وأخفيت من الوجود لمحض اشتباه نشاطاتهم ضد البريطانيين. حُوّلت الأسواق الكبيرة وخاصة سوق خانم إلى ركام أنقاض. مثل هذه الإجراءات الوحشية الهمجية قد شوّشت الناس وإنهم أصيبوا بذعر شديد وأصبحوا يشعرون بأنهم وقعوا فريسة لأيدي المستبدين السفّاكين"[3]. ويشير إلى هذه الحقيقة تامس. ر. متكاف (Thomas R. Metcalf) قائلا ما يفيد: "إن العداوة العنيفة والبغضاء الشديدتين تجاه المسلمين كانتا منتشرتين في أنحاء البلاد، لأن الإنجليز قد زعموا أن المسلمين هم المسؤولون الأصليون عن

*أستاذ مساعد، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي.

إثارة هذه الثورة وهم الذين ستعود إليهم فائدتها. مع أن أول شعلة نار الثورة اندلعت بين الجنود الهندوس الذين أدركوا خطرا ضد ديانتهم إلا أن المسلمين أوسعوا في مساهماتهم للحماية الذاتية وقادوا هذه الثورة لأنهم أرادوا استرداد زمام سلطتهم السياسية عن هذا الطريق كما اعتبر الإنجليز أن المسلمين هم أصحاب الفكرة في هذه الثورة وقادتها للقضاء على حكومة البريطانيين"[4].

وبلغت العداوة والبغضاء من قبل الحكام الإنجليز ضد المسلمين إلى حد أنهم أبعدوا المسلمين عن الحكم والإدارة وأغلقوا أبواب الرزق وجميع فرص الوظائف دونهم. والجدير بالذكر أن بعض الإعلانات الرسمية المتعلقة بالوظائف الشاغرة كانت مختصة للهندوس فقط[5]، بالرغم من وجود المسلمين الأكفاء من ذوى مؤهلات لازمة لهذه الوظائف ولكنهم يُحظرون من التقدم عن طريق إعلان رسمي[6]، فما كان لهم نصيب في سياسة البلاد وإدارتها "وأساءت الحكومة الإنجليزية الظن بهم واستغنت عنهم في وظائفها وإدارتها، فأصبح المسلمون الذين كانوا يملكون زمام البلاد في العهد الماضي القريب– لا نصيب لهم في سياسة البلاد وإدارتها ولا نشاط لهم"[7]. وعلى صعيد آخر، كانت المنظمات التبشيرية تهاجم على العقائد الإسلامية السليمة وتروج العقائد المسيحية في البلاد وتوجه أصابع الاتهام إلى الشريعة الإسلامية عن طريق تنفيذ نظامهم التعليمي العصري المزعوم.

وإن هذه الأوضاع والظروف المعادية للإسلام سببت في تخلف المسلمين في كل مجال من مجالات الحياة. وبالتالي أصيب المسلمون بجمود تعليمي واجتماعي وتسرب إلى نفوسهم اليأس والقنوط وتدهورت أحوالهم العلمية والاقتصادية والاجتماعية وأحدق بهم حضارة الغرب وعاداته. وإن معاهد التعليم الإسلامي في دلهي ولاهور وآكره وجونفور وغوجرات وبيهار وبنغال ومدراس قد أغلقت بعد قيام الحكم الإنجليزي. فأصبح المسلمون واقفين حيارى أمام حضارة غربية زاخرة بالجدة والحيوية والتطورات والمخترعات المستحدثة.

ففي هذه الظروف المضطربة برز في الهند نوعان من القيادة والمدرسة الفكرية. وكل منهما بذلتا قصارى جهودهما لإخراج الأمة الإسلامية الهندية من الشقاوة إلى السعادة ومن اليأس إلى الأمل.

إن المدرسة الفكرية الأولى كان يرأسها علماء الدين ورجال أهل الفهم والفراسة الإيمانية الذين أدركوا أن هذه الأوضاع الراهنة تتحدى الإسلام حيث لم يكن من السهل أن يبقى عامة المسلمين على دينهم وعقيدتهم في وجه التيار المسيحي الجارف وفكروا في تدابير شتى للحفاظ على مظاهر دينية وحضارة إسلامية باقية، ودعوا الناس إلى التجنب والابتعاد عن الحضارة الغربية. ولذا لجأوا إلى إقامة قلعة دينية تصون الدين ومظاهره وتدافع عنه بدلا من الهجوم. واتفقوا على تأسيس مدرسة إسلامية تحقق أغراضهم، وهي دار العلوم بديوبند في ولاية أترابراديش، الهند، "وشارك هؤلاء العلماء في معركة التحرير المعروفة لعام 1274ه /1857م وحاربوا الجيش البريطاني في بلدة شاملى ولكن توقفوا عن القتال حين بلغهم الخبر عن سقوط دلهي واعتقال بهادر شاه ظفر وأصبحوا يركزون عنايتهم على ايجاد سبل ووسائل كفيلة بحفظ العقيدة الإسلامية من أرجاس الحضارة الغربية. فبدأ العالم الجليل مولانا محمد قاسم النانوتوي (1248–1297ه/1832–1879م) وزملاءه يتأملون في النواحي الشتى للأوضاع الراهنة واجتمعوا على إقامة سلسلة من المعاهد التعليمية والدينية في مختلف المناطق في آن واحد، وقرروا انشاء أول معهد من هذا النوع في بلدة متواضعة بدلا من مدينة كبيرة، لذلك وقع الخيار على بلدة ديوبند الواقعة على بعد حوالى 150 كم من دلهي، وتنفيذاً لقرارهم وضع الحجر الأساس لمدرسة في ديوبند في 15 محرم 1283ه/11مايو 1866م سميت أولا بالمدرسة الإسلامية وأصبحت معروفة بأم المدارس في مشارق الأرض ومغاربها"[8].

ومن أهداف هذه الدار هو التمسك بالعقيدة الإسلامية واسترداد المجد الإسلامي وتشكيل المجتمع في ضوء كتاب الله وسنة رسوله وبث الوعي الإسلامي ونفخ روح الحماسة الدينية الإسلامية في نفوس جيل الأمة الإسلامية ونبذ جميع أشكال التقاليد

والعادات غير الإسلامية وإزالة البدع والخرافات عن طريق العلم والمعرفة والحكمة والموعظة الحسنة وإعادة الأمة إلى الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله " أما فيما يتعلق بأهداف دارالعلوم فإنها تهدف منذ إنشائها إلى الاحتفاظ بالعقيدة الاسلامية واستعادة المجد الإسلامي وبناء المجتمع على أساس الكتاب والسنة وبث التوعية الإسلامية وإشعال روح الغيرة الدينية والحماسة الإسلامية في المسلمين ودحض كل نوع من التقاليد الغير الإسلامية والعودة بالأمة إلى تعاليم الكتاب والسنة وإزالة الخرافات عن طريق التعليم والإرشاد الديني"[9].

والمدرسة الفكرية الأخرى التي برزت على ساحة البلاد آنذاك هي مدرسة السير سيد أحمد خان الفكرية وهو زعيم هذه الفكرة الحديثة. وبما أن المسلمين في منتصف القرن التاسع عشر كانوا يعتقدون بأن الجماعات التبشيرية تسعى إلى نشر المسيحية بين الناس وإن أية صلة أو رابطة معها أو مع الإنجليز تؤدي إلى فساد عقيدتهم الدينية فلذلك يجب أن نتجنب عن أي احتكاك أو تعامل اجتماعي مع الإنجليز. وبلغ التجنب والحذر والحيطة والاستنكار إلى حد أن اعتبروا تناول الطعام قاعداً على مائدة الطعام واستخدام السكين والشوكة ضد الإسلام كما أصدر علماء الدين الفتاوى ضد تعلم العلوم الحديثة المعاصرة واللغة الإنجليزية بوجه خاص.[10] "وكان من نتيجة هذا التنافر والتباغض، أن قاطع المسلمون جميع المعاهد والمدارس الإنجليزية واللغة الإنجليزية أيضاً، خيفة أن ينصرف الجيل الجديد إلى الثقافة الغربية والعلوم العصرية التي لا تمت إلى الإسلام والثقافة الإسلامية بصلة، فيضيع عليه دينه. هو أعز شيء وأثمن بضاعة بقيت في أيديهم بعد ما سلب منهم الحكم وحرموا من أسباب العزة والكرامة، فيضيع على الأمة دينها كما ضاعت عليها دنياها"[11]. وتعليقا على أوضاع المسلمين الهنود التعليمية آنذاك يقول الأديب العربي المصري المشهور أحمد أمين: " ...لقد نظر فرأى أن بالهند نحو سبعين مليونا من المسلمين فشا فيهم الفقر والجهل والبؤس والقلق، من تعلم منهم فتعلّم ديني عقيم، لا يفتح نظرا ولايبعث حياة. وهم خاضعون لرجال دين لا يفهمون من الدين إلا رَسمه، يريدون أن

يخضعوا المدنية الواسعة لعقليتهم الضيقة، ولا يعترفون بتغير زمان وتلوّن حياة، وتقدم علم، يعيشون في ركود والعالم حولهم مائج، يرون أن المدنية الحديثة بعملها ونظمها ووسائلها ومقاصدها مدنية كفر لا يصلح للمسلم أن يستمد منها ولا أن يتعاون مع أهلها، وإنهم إذا فتحوا صدورهم لها أحاطت عقائدهم وأخرجتهم من دينهم، في كل بلد أو إقليم "مُلا" وهذا المُلا أو العالم الديني يتسلط على عقول أهله، فإذا فتح المبشرون مدارس حرّم هؤلاء العلماء على المسلمين أن يُرسلوا أبناءهم إليها، ثم لا يفتحون هم مدارس مثلها، بل إذا فتحت الحكومة مدارس فكذلك يحرّمونها على أبناء المسلمين. والهندوس يرسلون أبناءهم إلى هذه وتلك فيتثقفون ويصلحون للحياة ويشغلون المناصب الحكومية، والمسلمون بمعزل عن الوظائف، لأنهم في مدارسهم الدينية البُدائية بمعزل عن الحياة. فالمدارس مملوءة بالنصارى والوثنيين، وفيها القليل النادر من المسلمين. وكانت نتيجة هذا أن أعمال الحكومة المتنوعة– وخصوصا المناصب الكبرى منها– أصبحت وليس في يد المسلمين منها إلا ما نَدَر"[12].

فهذه الأحوال المتدهورة والظروف القاسية حرّكت مشاعر السير سيد أحمد خان وتأثر بها تأثيرا عميقا و شمر عن ساق جده وتفكر وتدبر في ايجاد حلول لمشاكل الأمة الإسلامية وإخراجها من المآزق العلمية والاجتماعية والاقتصادية وصدع بأفكاره النيرة وأخيلته المتفاءلة بأن التعليم الحديث هو المخرج الوحيد للمسلمين من هذا المأزق، وأن تعليم المسلمين سيكسب الفائدة للمجتمع كله ويجلب له مكانا لائقاً في البلاد كلها، "وأحس بأن تعليم المسلمين سينفع المجتمع كله ويحل مكانا لائقا من الوقار والشرف والكرامة في البلاد كلها، وتمنى لو أحرز أكبر عدد من المسلمين قصب السبق والامتياز في مختلف ميادين العلم والمعرفة والمجهود العلمي الفني"[13].
ويقول البروفيسور صلاح الدين العمري:"فهو كان يعتقد اعتقادا راسخا أن الهنديين لا يجدون أي مكان في العالم المتحضر إلا أن يكتسبوا العلوم والمعارف الغربية، وينطلقوا نحو التقدم لبناء الوطن على المنهج الذي سارت عليه أوربا. وإنه شرح

وجهة نظره في هذا الصدد أنه لا يعني بالتعليم مجرد تدريس الكتب المدرسية التي قررت للمقررات الدراسية المعينة، بل يجب أن يكون هدف التعليم محاولة شاملة لتحرير الناس من الشبكة التقليدية والظلامية والخرافية ، بالإضافة إلى ذلك أنه صرح مرارا أن الهنديين لا يستطيعون أن ينالوا حقوقهم السياسية إلا بواسطة التعليم الجديد"[14].

ورأى هذا الزعيم البالغ النظر بأن الفتاوى السطحية ضد العلوم الإنجليزية المعاصرة والاختراعات العلمية الحديثة والتكنولوجيا المستحدثة قد أبعدهم عن ركب العلم والحضارة، كما أحس بأنه لا نتمكن من مكافحة الحملات المسيحية التبشيرية التي تسيء إلى الإسلام إلا بأسلحة علمية وفكرية وثقافية وبأسلوب إيجابي متين[15].

تيقن سيد أحمد خان أن هذه الأمة تبقى متخلفة في مسيرة الحياة ما لم تتسابق وتتقدم في شتى المجالات العلمية والمعرفية وأن الشبان المسلمين سوف يبقون حوذيين وطباخين وخادمين ما لم يتحلوا بحلى العلوم الغربية والفنون الحديثة. فلنستمع إلى ما قال السير سيد أحمد خان تعليقا على حالة المسلمين: " بدأ السقوط بسرعة حتى يبدو أن المسلمين، بعد سنوات قليلة، لا يبقون إلا في الاصطبلات كسائسي الخيل، وفي المطابخ كالطباخين وكالعلافين والحشاشين"[16]. فكان السير سيد يؤمن إيماناً كاملاً بأن التعليم العصري الرائج في البلاد هو الضامن الوحيد للمسلمين بأن ينالوا المناصب العليا والمكانة المحترمة والمشاركة المناسبة في الحكم والإدارة وكذلك العز والكرامة في المجتمع. ومشيرا إلى فكرة السير سيد أحمد خان النيرة يقول أحمد أمين: "... لم يعجب السيد أحمد خان هذا كله، وتساءل في حزم: ما علة هذا الجهل وضيق العقل والفقر ؟ وأجاب في حماسة: إنه التربية. ومن ذلك الحين ابتدأ يضع منهج التربية التي يريدها. وصادف ذلك أن ثورة سنة 1857م كشفت لعقلاء المسلمين في الهند حالهم ووجوب تغيير موقفهم، وشعورهم بتخلفهم عن الطوائف الأخرى، فتناغم تفكير "السيد أحمد" واستعداد الرأي العام المتنوِّر، فأنتج هذا التناغم حركة إصلاح تُعد نقطة تحول في تاريخ المسلمين في الهند"[17].

ويضيف أحمد أمين قائلا عن سيد أحمد خان: "قال لقومه يوما:"انظروا إلى إنجلترا، لقد كانت ثروتها تتمشى يوما فيوما مع تربيتها، كلما زادت تربيتها زادت ثروتها ، وقد كانت منذ قرن وأمامها من العقبات والصعاب التي تعوق التربية أكثر مما عندنا، ولم يكن لها إذ ذاك سكك حديدية ولا آلات ميكانيكية للطباعة ولا نحو هذا، وإنما كان لها سعة نظر وقوة إرادة"[18].

وبما أن سيد أحمد خان كان من أعرف الناس بالشعب ففكر بجدية وإخلاص في أسباب تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية للمسلمين وتوجه سيد أحمد خان إلى هذه المشاكل بسعة النظر ورحابة الصدر والحزم وشعر بالخطر الداهم على المسلمين وشخّص بحذق الأمراض ومفاسد الشعب وبدأ يتخذ اجراءات لعلاجها بالتفكير والتدبير. ويقول الدكتور صلاح الدين العمري: "أدرك سيد أحمد خان بفهمه السديد وبصيرته النيرة مثل رجل واقعيّ أن انعاش القوة المسلمة السياسية لا يمكن بأية طريقة في الظروف الراهنة. وحالما تغلّب على تشاؤمه، بدأ يطيل التفكير في: لماذا هذا الانهيار، وما هو المستقبل؟ فوصل إلى أن السبب الحقيقي يمكن في الأمّية، والعلاج هو التعليم والتثقيف ووقف حياته وطاقاته ومواهبه جميعا لنشر فكرة التعليم وإشاعتها بين الشعب الهندي وخاصة بين المسلمين"[19] .

فلتحقيق هدفه السامي وغرضه النبيل لإصلاح المجتمع ونشر العلم والمعرفة، اتخذ السير سيد أحمد خان خطوات ريادية عديدة منها إنشاء جمعية علمية في عام 1863م أثناء إقامته في "غازي فور" بولاية أترابراديش. وكان من أغراض هذه الجمعية ترويج الفكر العلمي بين مسلمي شبه القارة الهندية وبعث الوعي والرغبة في تحصيل العلوم الغربية الجديدة عن طريق ترجمة الكتب الإنجليزية في العلوم والفنون. "....واتخذ التدابير لتحسين أحوال الناس، ولإخراجهم من ظلمة الجهالة إلى نورالعلم والمعرفة. ففي عام 1863م شكل جمعية علمية ورسم خطة لترجمة المصنفات الإنجليزية إلى الأردية"[20]. ويحلو لي أن أنقل ما قاله الأديب المصري أحمد أمين بهذا الصدد: " وأول ما بدأ به خطته في التربية إنشاؤه جمعية أدبية

السیر سید احمد خان

علمية في عليكره–حيث كان قاضيا بها سنة 1861م– كان الغرض منها نشر الآراء الحديثة في التاريخ والاقتصاد والعلوم، وترجمة أهم الكتب الإنجليزية في هذه الموضوعات إلى اللغة الأردية. وقد كان يرى أن تعلم هذه العلوم باللغة الإنجليزية لا يكفي إلا في تثقيف عدد قليل لا يُجزي، إنما الذي يفيد فائدة كبرى نقل هذه العلوم إلى لغة البلاد حتى يشترك في تفهمها والاستفادة منها أكبر عدد ممكن، ولذلك كانت خطته التي بدأ بها وسار عليها، نقل هذه الكتب الهامة من اللغة الإنجليزية إلى الأردية، ولم يمنعه إعجابه بالإنجليزية ولغتهم وثقافتهم من أن يكون صُلبا حازما شديدا في طلبه نقل الكتب الإنجليزية للشعب ، لا نقل الشعب للغة الإنجليزية"[21].

ومن أعمال سيد أحمد خان الاصلاحية إصدار مجلة بإسم "تهذيب الأخلاق" باللغة الأردية وذلك في عام 1870م. كان من أهدافها إخبار الشعب المسلم الهندي بقضايا العصر الحديث والإشارة إلى المعايب والمفاسد التي كانت منتشرة في المجتمع آنذاك. " وكان من أهدافها الرئيسية وضع الأنامل على مواطن المساويء والمثالب والمنكرات التي كانت تسود المجتمع الإسلامي في تلك الفترة من الزمن. وإنه اتخذ هذه الخطوات إذ كان يعرف جيدا أن الانسان العالم ما لم يكن متحليا بالخصائل الحميدة لايكون نافعا للبشرية بل يخلق أحيانا العوائق في مسير قافلة التنمية والتطور والرخاء والرفاهية"[22]. ومشيرا إلى أهداف هذه المجلة ومحتوياتها يقول الأستاذ محمد صلاح الدين العمري: "استهدف السير سيد من هذه المجلة حفز المسلمين وإنشاء الصلاحية فيهم كي يدركوا قضايا العصر الحديث وإصلاح الأمور وإزالة النقائص والمفاسد التي توهن حيوية المجتمع. هذه المجلة كانت تتسم بتقدم متنوع ومقالاتها كانت تتضمن عناوين هامة مثل الثقافة، والتعليم، والتقاليد والمراسيم، والثقة بالنفس، والتضامن الوطني، وحرية الرأي، والتظاهر الكاذب، والتعصب، وحقوق المرأة، والاستعباد، وغيرها من الموضوعات التعليمية والاجتماعية"[23].

ساهم في هذه المجلة الكتاب والأدباء البارزين أمثال علي خان وجراغ علي وألطاف حسين حالي، وكتبوا مقالات قيمة نوّرت أذهان الشعب وزودتها بالعلم والمعرفة والأخلاق الفاضلة. وفي رأي الأديب العبقري أحمد أمين: "عالج فيها المشاكل الاجتماعية والدينية في جرأة وصراحة وأخذ يفسر القرآن، ويدعو إلى أن القرآن –إذا فهم فهما صحيحا– اتفق مع العقل وأن النظر الصحيح فيه يوجب الاعتماد على روحه أكثر من الاعتماد على حرفيته، وأنه يجب أن يفسر على ضوء العقل والضمير"[24].

وفي عام ألف وثمان مئة وتسعة وستين للميلاد(1869م) سافر سيد أحمد خان إلى انجلترا لزيادة تجاربه ومشاهداته. فشاهد هناك مكتباتها ومؤسساتها التعليمية والأفراد والمجتمع والثقافة عن كثب . أثناء قيامه في لندن إنه اجتمع مع الشخصيات العلمية الأوروبية البارزين والزعماء السياسيين، كما زار الجامعات وحضر النشاطات العلمية والأدبية والاجتماعية، "...وزار الجامعات وشاهد المصانع وحضر الجلسات العلمية والأندية الأدبية والمناسبات الاجتماعية كما اشترك في النشاطات العلمية المختلفة. فشاهد أثناء قيامه في انكلترا تقريبا كل مظهر من مظاهر الحياة البريطانية. وظل مشتغلا في المشروعات والبرامج ليضاهي هذه الانجازات البريطانية في وطنه"[25]. وبعد عودته من إنجلترا تغيرت حياته تغيرا تاما. وأراد أن ينفذ في وطنه العزيز كل ما رآه وما حصل له من التجارب العلمية والمعرفية ويحقق ما حلم به من المشروعات التعليمية والثقافية. كما يشير إلى ذلك أحمد أمين قائلا: "عاد "السيد أحمد" من إنجلترا وهو عاقد العزم على إصلاح حال المسلمين في الهند عقلا ودينا ولغة وخلقا واجتماعا، سواء في ذلك خاصتهم وعامتهم ، مصمم على أن يغزو الجهل والجمود بكل ما يستطيع من قوة ، وأن يحمل المسلمين بكل الوسائل على أن يتقبلوا المدنية الحديثة في علومها وفنونها قبولا حسنا، ويستخدمونها في ترقية حياتهم، وأن يبذل الجهد في التوفيق بين الإسلام والمدنية، فالإسلام في جوهره وأصله معقول واسع الصدر لأحكام العقل، غير مناهض لما يثبته العلم، فإذا نُقّي

مما لحقه، وليس منه، أمكن أن يُقبل المسلمون على العلم الحديث من غير حرج"[26].
ومما لاشك فيه أن رحلته إلى انكلترا كانت مفيدة جدا وفتحت له آفاقا جديدة في مجال التعليم والتربية حيث زار هناك الجامعات الإنجليزية والاسكتلندية وأمعن النظر في المقررات الدراسية ومنهج التدريس وأعجب به إعجابا شديدا حتى كتب إلى صديق له: "لو كنت أنت جئت هنا، لرأيت بنفسك كيف يعلّم ويثقف ويدرّب الأطفال، وكيف يتم إحراز التعليم، وما هي مطامح التعليم وأهداف الثقافة، وكيف ينال الشعب الشرف والكرامة. إن شاءالله سوف أفسر كل ذلك وأنجز عمليا جميع مفاهيم التعليم والتثقيف بعد عودتي إلى الهند"[27].

فلتنفيذ مشروعاته التعليمية والتربوية ولنيل ضالته المنشودة بعد عودته من إنجلترا أراد سيد أحمد خان أن ينشئ معهدا تعليميا للمسلمين في الهند مثل أكسفورد وكيمبردج في إنجلترا. وفي سبيل هذا الغرض السامي واجه مشاكل وصعوبات كثيرة حتى فاز بتأسيس "كلية محمدن الإنجليزية الشرقية" في عام 1875بمدينة عليجراه لولاية أترا براديش، الهند، والتيِ أصبحت فيما بعد من إحدى الجامعات الكبرى في البلاد وسميت بـ "جامعة عليجراه الإسلامية" (Aligarh Muslim University).
"وكان يهدف سيد أحمد خان من إنشاء هذه الكلية أن تكون جسرا بين القديم والجديد، وبين الشرق والغرب. فإنه في حين أدرك حاجة نقل المعرفة والعلوم الغربية إلى المسلمين، لم يكن غافلا عن قيم العلوم الشرقية بل أحب من صميم قلبه أن يحتفظ بالتراث الشرقي القديم وينقله إلى الجيل الناشئ بل إلى الأجيال القادمة"[28].
ولنستمع إلى ملاحظة W.W.Hunter وهو يخاطب الجلسة الأولى لوكالة التعليم في الولايات الشمالية الغربية بعليجراه ما يفيد: "أيها السادة! (الذين أنشئوا هذه الكلية) إنكم تقدمون تراثا فخما تذكاريا إلى أجيالكم القادمة. تتركون خلفكم مآثر المؤانسة الخالدة، ولا ذكريات الفوارق العنصرية، تخلفون آثار النشاط المفيد ولا القوة الهدامة... السادة! هذه الكلية بعلي كره لا تصدر التعليم والتربية فقط إلى مسلمي

الولايات الشمالية الغربية، بل إنها تمثل مثالا رائعا لجميع الهند. هذه الكلية تكون مؤسسة علمية للمسلمين تتحد فيها جوانب التعليم الدنيوي والديني حقيقيا"[29] .

وحدد الأديب المصري الكبير أحمد أمين أهدافها في ثلاث نقاط[30] وهي كما يلي:

(1) أن يتعلم المسلمون الثقافة الغربية والشرقية في غير تعصب ولا جمود.

(2) أن يُهتم فيها بحياة الطلبة الاجتماعية ، فيجدوا فيها مسكنا يقيهم شرور المدن ومفاسدها، فيطمئن الآباء حين يرسلون أبناءهم إليها لأنهم في بيئة صالحة لخلقهم.

(3) أن يعتني نظام الكلية بترقية العقل وترقية البدن وتهذيب الخلق معا وبعبارة أخرى يكون الغرض منها "التربية" لا التعليم فقط.

ويعبر أحمد أمين عن آراءه حول تطور هذه الحركة التعليمية الفذة قائلا: "وتم بناؤه واستقبلت طلبتها تعلّمهم على المنهج الذي اختطه ، ونجحت في خلق جيل من المسلمين جديد مثقف ثقافة واسعة مع سعة في العقل وسماحة في الدين. وانتشر خريجوها في أقطار الهند يحملون رسالة جامعتهم ويضيؤون ما حولهم. وأصبحت كلمة "عليكره" لا تدل فقط على كلية أو جامعة وإنما تدل أيضا على نوع من العقلية الراقية والصبغة الخلقية والاجتماعية الخاصة"[31]. ومشيرا إلى خدمات ملموسة بذلها سيد أحمد خان وأحباءه في مجال التعليم وإنشاء هذا المعهد العلمي، يفيدنا الأستاذ عبدالمنعم النمر في كتابه الشهير "كفاح المسلمين في تحريرالهند" قائلا: "وحين رأوا أنه من العسير إقناعهم بتسليم أبناءهم لهذه المدارس التي تديرها الحكومة ، دعوا إلى إنشاء مدرسة علمية إسلامية يتلقى فيها أبناء المسلمين التعليم الحديث مع تعاليم دينهم في جو مأمون موثوق به حتى يستطيع أبناء المسلمين أن يغترفوا من معين الثقافة الغربية وشاركوا في نهضة البلاد مع زملاءهم الهندوس"[32].

واعترافا لإنجازات هذه المؤسسة التعليمية يضيف الأستاذ النمر قائلا: "فأخذت هذه المدرسة تنمو وسط الأشواك والصعاب وتصير جامعة شهيرة على مر الزمن ، تخرج فيها كثير من المسلمين المثقفين الذين كان لهم أثر كبير في حياة الهند السياسية والاجتماعية..."[33] .

ومما يجدر بالذكر أن جامعة عليجراه الإسلامية لم تكن جامعة محضة بل أصبحت حركة شعبية تُعرف بحركة عليجراه. و تعتبر حركة عليجراه حركة جامعة شاملة لكل خير ورفاهية للأمة المسلمة في الهند. و جامعة عليجراه الإسلامية تعتبر أول جامعة للتعليم الحديث في العالم الإسلامي بأسره. وكان مؤسسها السير سيد أحمد خان صادقا في هدفه إلى رقي المسلمين حيث كان يحرص على أن يحصل المسلمون أيضا مثل إخوانهم الهنود الآخرين على العلوم والمعارف الحديثة التي هي وسيلة لنمو أية أمة. وكان راغبا في تقدم المسلمين إلى الأمام في ميدان التعليم المعاصر. وكان من نتائج إخلاصه وحسن نيته أن الحركة التعليمية التى أقامها قد حظيت بالقيادة في شبه القارة الهندية والعالم وهي لاتزال تتقدم بثبات إلى الأمام[34]. "إن حركة علي جراه التي شرعها السير سيد أحمد خان لم تكن حركة سياسية أو تعليمية محدودة، وإنما كانت حركة جامعة واعية تستهدف إلى أن تمهد الطريق لثورة اجتماعية، وذلك عن طريق تقديم رؤية جديدة عن الحضارة . ومن مآثر هذه الحركة انها انتصرت على جبهة المعركة الأولى للحرية التعليمية والتربوية حتى في عهد الاستعمار والعبودية انتصارا كبيرا. كما أن مآثر السير سيد أحمد خان وحركة عليجراه أنها حثت الأمة المسلمة الهندية التي كانت غارقة في الآلام والهموم إلى أذقانها على أن تفكر عن مستقبلها"[35].

و ذكر جواهر لال نهرو ما يفيد: "إن قرار السير سيد أحمد خان أن يبذل قصارى جهده على تثقيف المسلمين بالثقافة الحديثة كان قرارا صائبا وصحيحا. إني أرى أنه بدون هذا التعليم لم يكن للمسلمين أن يُسهموا أيما إسهام في بناء القومية الحديثة. بل كان هناك خطر أنهم قد يصبحون عبيدا للهندوس للأبد. والذين كانوا قد

أحرزوا عليهم قصب السبق في مجال التعليم، كما كانوا أحسن منهم حالا من الناحية الاقتصادية"[36].

نجحت "حركة عليجراه" في رسالتها نجاحا كبيرا كما حظيت جامعتها بشعبية عامة. ونهل من مناهلها العلمية الصافية آلاف مؤلفة من الناس وشغلوا مناصب منها العليا في الحكومة وتمتعوا بثقتها وخدموا القوم والمجتمع والبلاد على حد سواء، " تعتبر الجامعة الإسلامية بعليجراه، من أقدم الجامعات الهندية التي أسستها الأمة المسلمة في الهند، وأكثرها صيتا وشهرة. ولقد ساهمت هذه الجامعة في تثقيف الشباب المسلم وتنوير فكره وصوغه في قالب جديد، مساهمة لايُنكر فضلها أبد الدهر. فكان معظم زعماء المسلمين في ماضي الهند القريب وأغلبية العلماء الذين نبغوا في مختلف العلوم العصرية، ونالوا شهرة دولية، إما من متخرجي هذه الجامعة أو كانت لهم علاقة ما بهذا المعهد العظيم"[37].

---

**الحواشي:**

[1] المسلمون في الهند، صـ155 ، أبوالحسن علي الحسني الندوي.دار ابن كثير، دمشق، بيروت،الطبعة الأولى، 1999م.

[2] سيرة ذاتية لجواهرلال نهرو، صـ460 ، نقلا عن "السير سيد أحمد خان– حياته وأفكاره، للأستاذ محمد صلاح الدين العمري. ، "طابة" ، شارع /04، إقرأ كالوني، على كره، الهند، الطبعة الثانية–2011م

[3] السير سيد أحمد خان– حياته وأفكاره، للأستاذ محمد صلاح الدين العمري.صـ 82 ، "طابة" ، شارع /04، إقرأ كالوني، على كره، الهند، الطبعة الثانية–2011م

[4] The Aftermath of revolt: India , 1857-1870, by Thomas R. Metcalf,p.298 (Princiton: Princiton University Press,1965)

[5]. WW. Hunter: Indian Musalmans, p. 158, Rupa & CO, 7/16, Ansari Road, Daryaganj, New Delhi.2004

[6] نفس المصدر

[7]المسلمون في الهند، لأبي الحسن علي الحسني الندوي،صـ115

[8] مساهمة دار العلوم بديوبند في الأدب العربي حتى عام 1400ھ/1980م، ص19، للدكتور زبير أحمد الفاروقي. دارالفاروقي، دلهي الجديدة، الهند، سنة الطباعة غير مذكورة.

[9] مساهمة دار العلوم بديوبند في الأدب العربي حتى عام 1400ھ/1980م صـ20 ، للدكتور زبير أحمد الفاروقي،

[10] المقالة "السير سيد أحمد خان – عملاق بين الرجال" للسيد كبير، مجلة "ثقافة الهند"، نيودلهي، ص45، المجلد52، العدد 3، 2001م.

[11] مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند، ص76، للدكتور عبد الحليم الندوي. مطبعة نوري المحدودة، مدراس، الهند، سنة الطباعة غير مذكورة.

[12] زعماء الإصلاح في العصر الحديث، لأحمد أمين، صـ125. دارالكتاب العربي، بيروت، لبنان.سنة الطباعة غير مذكورة.

[13] مقالة "السير سيد أحمد خان – عملاق بين الرجال" للسيد كبير، مجلة "ثقافة الهند"، نيودلهي، ص47، المجلد52، العدد 3، 2001م

[14] السير سيد أحمد خان– حياته وأفكاره، للأستاذ محمد صلاح الدين العمري. صـ84

[15] نفس المصدر، ص41

[16] سيد أحمد، محاضرات، صـ244 نقلا عن السير سيد أحمد خان– حياته وأفكاره، للأستاذ محمد صلاح الدين العمري.، صـ81

[17] زعماء الإصلاح في العصر الحديث، لأحمد أمين، صـ126

[18] نفس المصدر

[19] السير سيد أحمد خان– حياته وأفكاره، للأستاذ محمد صلاح الدين العمري صـ83

[20] السير سيد أحمد خان– حياته وأفكاره، للأستاذ محمد صلاح الدين العمري، صـ132

[21] زعماء الإصلاح في العصر الحديث، لأحمد أمين، صـ 127

[22] "بين السيد أحمد خان وجمال الدين الأفغاني" مقالة للدكتور محمد أسلم الإصلاحي، مجلة "ثقافة الهند"، المجلد 59، العدد 4. 2008

[23] "المختار من مقالات السير سيد أحمد خان ، تعريب وتقديم للأستاذ محمد صلاح الدين العمري، صـ23، الطبعة الأولى2010م ، ملتزم الطبع والنشر، ، "طابة" ، شارع /04، إقرأ كالوني،نيو سر سيد نغر، على كره، الهند،

[24] زعماء الإصلاح في العصر الحديث، لأحمد أمين صـ130–131

[25] السير سيد أحمد خان– حياته وأفكاره، للأستاذ محمد صلاح الدين العمري، صـ144

[26] زعماء الاصلاح في العصر الحديث صـ129

[27] سيد أحمد خان، للنظامي، صـ 66 نقلا عن السير سيد أحمد خان– حياته وأفكاره، للأستاذ محمد صلاح الدين العمري، صـ153.

[28] السير سيد أحمد خان– حياته وأفكاره، للأستاذ محمد صلاح الدين العمري، صـ228.

[29] سيد أحمد خان للنظامي، نقلا عن السير سيد أحمد خان– حياته وأفكاره، للأستاذ محمد صلاح الدين العمري، صـ229–230 .

[30]. زعماء الإصلاح في العصر الحديث، لأحمد أمين صـ130.

[31] نفس المصدر

[32]. "كفاح المسلمين في تحريرالهند" ،صـ 42–43 ، عبدالمنعم النمر، مكتبة وهبة، 1964م

[33]. نفس المصدر صـ 42–47 .

[34]. مجلة "ثقافة الهند" صـ 133–134 . المجلد 61 ، العدد2، 2010 .

[35]. أهمية رؤى السير سيد أحمد خان في العصر الراهن ، للبروفيسور أختر الواسع ، مجلة "ثقافة الهند" صـ84 . المجلد 60 ، العدد1 ، 2009 .

[36]. نفس المصدر صـ87–88.

[37] مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند، للدكتور عبد الحليم الندوي، صـ 79

# العلامة شبلي النعماني وندوة العلماء
# نظرة في التاريخ

**أ. د. مسعود عالم الفلاحي***

## حركة إصلاح المنهج التعليمي

الإسلام دين يرفض الجمود وينشد الحركة، والمنهج الدراسي في الجامعة –أيا كانت– لابد أن يخضع لهذه الحركة والانطلاق، فيزيد فيه من المواد التعليمية ما تجب زيادته ويخرج منها ما هو أولى بالحذف، قال الله تعالى:

" اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ.[1]

وقال رسول الله – صلى الله تعالى وسلم: "طلب العلم فريضة على كل مسلم."[2]

وهذان النصان القرآني والحديثي يؤكدان على تحصيل العلم مطلقا عن عِلْمٍ دون عِلْمٍ، مما يدل على وجوب حصول العلم في كل عصر، وصياغة المنهج الدراسي وفق متطلبات كل عصر.

وإصلاح المنهج الدراسي ظل في نصب أعين العلماء في كل زمان، ومارسه الكثيرون، وقد تحدث فيه العلامة ابن خلدون[3] في مقدمته تحت عنوان "إن كثرة التآليف في العلوم عائقة عن التحصيل" بتفصيل أكثر، حيث يقول بعد ذكر عدد من الكتب الفقهية:

---

* رئيس قسم اللغة العربية وآدابها، بجامعة خواجه معين الدين جشتي الأردية والعربية والفارسية، لكناؤ، الهند. masoodfalahi@gmail.com

"وهي كلها متكررة، والمعنى واحد، والمتعلم مطالب باستحضار جميعها، وتمييز ما بينها، والعمر ينقضي في واحد منها، ولو اقتصر المعلمون بالمتعلمين على المسائل المذهبية فقط، لكان الأمر بدون ذلك بكثير، وكان التعليم سهلا....."[4]

ثم ينتقد هذا المنهج السائد المكروه قائلا:

"ولكنه داء لايرتفع لاستقرار العوائد عليه، فصارت كالطبيعة التي لايمكن نقلها ولا تحويلها."[5]

ويقول أيضا :

"وأما العلوم التي هي آلة لغيرها مثل العربية والمنطق وأمثالهما فلا ينبغي أن ينظر فيها إلا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط، ولا يوسع فيها الكلام ولا تفرع المسائل، لأن ذلك مخرج لها عن المقصود..... وصار الاشتغال بها لغوا مع ما فيه من صعوبة الحصول على ملكتها لطولها وكثرة نوعها. وربما يكون ذلك عائقا عن تحصيل العلوم المقصودة بالذات لطول وسائلها، مع أن شأنها أهم والعمر يقصر عن تحصيل العلوم المقصودة بالذات لطول وسائلها، مع أن شأنها أهم والعمر يقصر عن تحصيل الجميع على هذه الصورة، فيكون الاشتغال بهذه العلوم الآلية تضييعاً للعمر وشغلا بما لا يعني. وهذا كما فعل المتأخرون في صناعة النحو وصناعة المنطق، وأصول الفقه، لأنهم أوسعوا دائرة الكلام فيها نقلاً واستدلالاً وأكثروا من التفاريع والاستدلالات بما أخرجها من كونها آلة وصيرها من المقاصد. وربما يقع فيها أنظار لا حاجة بها في العلوم المقصودة (بالذات، فتكون لأجل ذلك) [فهي] من نوع اللغة، وهي أيضا مضرة بالمتعلمين على الإطلاق، لأن المتعلمين اهتمامهم بالعلوم المقصودة أكثر من اهتمامهم بوسائلها. فإذا قطعوا العمر في تحصيل الوسائل فمتى يظفرون بالمقاصد....."[6]

وفي الهند الحديثة كان العلامة شبلي النعماني[7] على رأس العلماء الذين حملوا لواء الإصلاح والتجديد في المنهج الدراسي في المدارس والجامعات، بل هو يعد من مؤسسي حركة الإصلاح في المنهج الدراسي، فكان يود كثيرا أن يخلف من

بعده عددا لا بأس به من العلماء الموسوعيين الذين يخدمون الدين بشكل جامع، ومن أجل ذلك جند الشيخ نفسه، حيث أنشأ كثيرا من المقالات، وألقى الخطب القيمة، وأوضح أن المنهج الدراسي القديم أصبح عقيما يحتاج إلى تعديل وتغيير، وعلى العلماء أن يدركوا هذا الأمر قبل فوات الوقت، ونادى العلامة شبلي النعماني به أولا في مذكرة رحلته إلى الروم ومصر والشام (عام 1982م، الموافق عام 1309هـ)، وذرف الدموع السخينة على ما شاهد في جامعات تلك البلاد بما فيها الجامع الأزهر من منهج قديم لا يغني شيئا، وقال متأسفا:

"الحق أن المناهج الدراسية في مصر والشام والروم هي أقل نفعا حتى من مناهج الهند الدراسية. "[8]

وقد أثمرت جهود العلامة شبلي النعماني إثمارا عجيبا، يقول العلامة الشيخ سيد سليمان الندوي[9]:

"لم تضع قطرات الدموع هذه؛ حيث بدأت بعد أعوام قليلة حركة تجديد المنهج الدراسي في الجامع الأزهر عام 1899م، وكتب في هذا الشيخ سيد رشيد رضا المصري منشئ مجلة المنار الشهيرة، واستند في كتابته عن إصلاح المنهج الدراسي في المجلة الصادرة 30 /جمادى الثانية عام 1317هـ(4/ نوفمبر عام 1899م) إلى أقوال ثلاث شخصيات مبرزة في العالم ، وهي 1- الشيخ أحمد جان الروسي، 2- والشيخ الشنقيطي المغربي، 3- والشيخ العلامة شبلي النعماني الهندي[10]، ولو نجحت حركة إصلاح المنهج الدراسي في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لعمت هذه الحركة في العالم كله."[11]

ومكث الشيخ في جامعة علي جراه الإسلامية 16 عاما، وترجح له هناك أن سيل العلوم في أي اتجاه يسير، وما يؤول هذا السيل بالعلوم الإسلامية، والشكوك الناشئة من العلوم الجديدة تحتاج إلى أي نوع من الاستعدادات والمؤهلات، وجعلته رحلاته إلى بلاد مصر والشام واسع الاطلاع على الحاجات الجديدة للعلماء، وهذه هي العقدة الأساس لإصلاح المنهج الدراسي، مما خلا عنها العلماء الآخرون[12].

وكان العلامة يشدد على أمرين فيما يتعلق بإصلاح المنهج الدراسي، الأول: إدخال الكتب الفلسفية الجديدة مكان الكتب الفلسفية القديمة، والثاني: ضرورة تسلح العلماء باللغات الإنكليزية والهندية والسنسكريتية لتمكنهم من إصلاح المثقفين الجدد ودعوة غير المسلمين إلى الإسلام والرد على اعتراضات المستشرقين على الإسلام[13].

وكان يعتبر الخلل في المنهج الدراسي هو السبب لتخلف المسلمين، فقد قال:

"بدا نقص هذا المنهج من أول يومه، ودليله أن هذا المنهج متى نفذ بدأ انحطاط العلوم والفنون ومازالت في انحطاط، فكان العلماء الذين تربوا على هذا المنهج أقل معرفة من أساتذتهم، ثم تلامذتهم جاءوا أنقص منهم وهلم جرا، حتى جاء هذا العهد ولم يبق في الدنيا فضل ولا كمال."[14]

إن مقاصد التعليم في رأي العلامة عديدة كالآتي:

1- "المقصود من التعليم هو تحصيل الفن نفسه.
2- الطريق الأمثل للتحصيل أن يتلقى كل فن بشكل منفرد ومستقل، حتى يبلغ الطالب فيه منتهاه، ولا تتلقى العلوم الكثيرة بشكل مخلوط، فإنه لا ينتهي بالطالب إلى درجة الكمال في أي علم وفن.
3- لا بد من مراعاة الأقدم فالأقدم (الأهم فالأهم) من بين العلوم الكثيرة، فيعتنى بالعلوم التي هي مقصودة بذاتها اعتناء بالغا، ويوجه اهتمام قليل بالعلوم التي هي وسيلة وبالعرض، ثم العلوم المقصودة بالذات يجري فيها الفرق في المراتب والدرجات، فما هو أشرف العلوم وأعظمها شأنا هو أكثر العلوم اهتماما واعتناء به.
4- لا بد من مراعاة غاية كل علم وفن."[15]

وفي ضوء هذه المبادئ يقول العلامة شبلي النعماني:

1- "إن المنهج الدراسي الحالي يشتمل على كثير من الكتب المليئة بالمباحثات اللفظية التي جاءت في كتاب من الكتب، حيث إذا بينت

المسألة في لفظ آخر سقط أساس هذه المباحثات، فجاء في الشمسية: العلم إما تصور فقط وهو الخ... فجاء شارح الكتاب القطبي وتحدث بتفصيل فيه إطناب ممل عن أن ضمير "هو" يرجع إلى التصور أو التصور فقط، وسود القطبي ومير في هذا صفحات كثيرة، ولئن كان المصنف ذكر المرجع بنفسه لذهبت هذه الأبحاث التي لا طائل تحتها، وهكذا يبذل جهود على لفظ وكلمة جاءت في الكتاب بدل أن تبذل العناية بمعاني الكتاب وغايته.

وهذه هي حال أكثر الكتب المندرجة في المنهج الدراسي، فإن المسائل اللفظية هي الأكثر من المسائل المهمة للعلوم والفنون.

2- الخلل الكبير في المنهج الدراسي السائد أن معظم الكتب المندرجة فيه تشتمل على فنون مخلوطة؛ مما قد يشوش الطالب في تحديد الفن الذي يدرسه أو يريد أن يدرسه، فمثلا "ملا حسن" و"حمد الله" و "القاضي مبارك" أسماء كتب في المنطق؛ إلا أن معظم الأبحاث فيها هي أبحاث الإلهيات وما بعد الطبيعة، نحو علم الباري والجعل البسيط والجعل المركب ووجود الكلي الطبعي في الخارج والذهن وما إليها....

3- ومن الخلل الذي هو عندي كبير أنه قد أُعتبر العلوم الآلية غير المقصودة بذاتها علوما مقصودة بذاتها، ويبذل فيها أعوام وسنون، فالنحو والمنطق علوم غير مقصودة بالذات؛ ولكن الكتب الدراسية تشتمل في الأغلب على هذه الفنون، إن قصد المنطق أن ينفع في فهم الفلسفة؛ ولكن كتب المنطق هي أكثر بأضعاف من كتب الفلسفة، "الصغرى"، و"الكبرى" و"ميزان المنطق" و"التهذيب" و"شرح التهذيب" و"القطبي" "مير القطبي" و "الملا حسن" و "الملا جلال" و"مير زاهد"

و"حمد الله" والقاضي مبارك وما إليها من ركام الكتب المنطقية داخلة في المنهج الدراسي، ولكن الفلسفة لها ثلاثة كتب منها "الميبذي" هو الكتاب الوحيد الذي يدرس كاملا، أما غيره فهو يدرس منه الأبحاث المختارة ، وهكذا يبذل أوقات كثيرة في فن النحو والصرف، أما علم الأدب – وهو غاية النحو والصرف– فليس له إلا أوقات قليلة جدا، ولهذا لا نجد في زحام المتخرجين واحدا بلغ الكمال في أي فن وعلم."[16]

شن العلامة شبلي حربا على الوضع التعليمي الجامد، فأكد على الحركة التعليمية في أكثر من خطبة ومقال، وكان يضرب مثلا في ترجمة العلوم اليونانية إلى العربية وإصلاح هذه العلوم من خلال علم الكلام، يقول في خطبة له:

"ليس للعلماء أن يخافوا من العلوم الجديدة باعتبارها مخالفة للإسلام، ومخلة في العقائد الإسلامية، فإنهم إذا أتقنوا هذه العلوم علموا – كالإمام الغزالي– المسائل التي هي تخالف الشريعة الإسلامية. "[17]

**مساهمته في حركة ندوة العلماء**

كان للمسلمين التجار في مدينة كانفور دور عظيم في دراسة الوضع المتخلف للمسلمين في الهند؛ فأنفقوا من أموالهم في نصرة الدين الحنيف، نشأ في قرية مارهره بمديرية "إيته"(Itah) شيخ صالح اسمه "مولوي بزرك"، واستفاد من الشيخ الشاه عبد العزيز[18] والشاه رفيع الدين[19]، وقد سعى سعيا مشكورا في إحياء العلوم الدينية في هذه الديار، وكان له طالب باسم المفتي عنايت أحمد من سكان باره بنكي، كان عالما فاضلا كثير التأليف، فأقام هو وأستاذه في مدينة كانفور، وأسس هناك "مدرسة فيض عام " سنة 1277هـ الموافق1860م، وقد كان فيها من العلماء الشهيرين أنذاك

الشيخ فضل رحمان والشيخ لطف الله رحمهما الله، ممن كانت تقواهم وصلاحهم وعلمهم وفضلهم فوق شك وارتياب.

كان المسلمون آنذاك متخلفين، وتفتح في كل ناحية مدارس عصرية إنجليزية، وتجري المناظرات بين المسلمين والنصارى بكل احتدام، وتصنف كتب كثيرة ضد الإسلام والمسلمين، وكان الفكر الأوروبي يبسط سيطرته ونفوذه في جميع أرجاء البلاد، وكان العلماء القدامى منقطعين إلى إشعال الفتنة المذهبية وتكفير بعضهم البعض، وكان المنهج الدراسي في المدارس يمثل الانحطاط والتخلف، ويعجز عن إنجاب علماء قديرين يلبون حاجة الوقت.

في عام 1310هـ الموافق عام 1882م حضر نخبة من العلماء والمفكرين في حفلة تتويج العمائم لمدرسة فيض عام كانفور، كان بعضهم شبابا وأكثرهم شيوخ مسنين، وكلهم متخرجين من المنهج الدراسي القديم، وقد شارك فيه ثلاثة علماء كبار من خريجي دار العلوم ديوبند، وهم 1- الشيخ أشرف على التهانوي[20] (مدرس مدرسة فيض عام) 2- والشيخ خليل أحمد السهارنفوري[21] (مدرس دار العلوم ديوبند) 3- والشيخ محمود حسن الديوبندي[22]( رئيس المدرسين بدار العلوم ديوبند)[23].

وقرر العلماء تشكيل مجلس العلماء، ودعوة جميع العلماء إلى حضور الحفلة السنوية لمدرسة فيض عام، وتعين اسم هذا المجلس "ندوة العلماء"، وتم له إعلان وإشهار على نطاق واسع، وإذا علم المسلمون أهداف الندوة سرى فيهم روح التيار الجديد والحماس الزائد، وشارك في الحفلة كثير من العلماء، وكان على رأس العلماء المشاركين فيها العلامة شبلي النعماني، الذي كان رأى تخلف المدارس الإسلامية في مصر، والشام، والهند والروم، فكان يتألم بقلبه، ويحترق بجسده، مما ذكره في كثير من كتاباته وخطاباته .

انعقدت الندوة الأولى لندوة العلماء في مدرسة فيض عام في الفترة: 15-17 من شوال عام 1311هـ ، الموافق 22-24من أبريل عام 1894م، وقد شارك فيها علماء كل الأطياف والاتجاهات، فكان فيهم – مع علماء الحنفية – من جماعة أهل

الحديث الشيخ إبراهيم الأروي والشيخ محمد حسين البتالوي[24] ومن جماعة الشيعة الشيخ غلام الحسنين الكنتوري، وكان الشيخ شبلي قدم دستورا جامعا للندوة ، تدارسه 30 عالما بارزا ووافقوا عليه بعد روية وتدبر، ثم كانت جلسة ثالثة في صبيحة 7 من شوال برئاسة الشيخ لطف الله، فنهض العلامة شبلي النعماني معلنا: إن جلسة اليوم هذه تفكر في ثلاثة اقتراحات مركزية:

1- **الاقتراح الأول:** إن منهج التعليم الحالي في حاجة إلى الإصلاح والتغيير.
2- **الاقتراح الثاني:** من المناسب أن يشارك رؤساء المدارس الإسلامية أو وكلاؤهم في حفلات ندوة العلماء كل عام.
3- **الاقتراح الثالث:** لابد من ايجاد ارتباط وثيق بين المدارس الإسلامية الكثيرة، وتتخذ اثنتان أو ثلاث من المدارس الكبيرة كدار العلوم ديوبند ومدرسة فيض عام والمدرسة الأحمدية آره بدرجة دار العلوم ، وتجعل سائر المدارس فروعها وهي تشرف عليها .
4- **الاقتراح الرابع:** مساعدة المدرسة فيض عام باعتبارها مدرسة كبيرة تخدم الدين والمسلمين، ويقصدها طلاب كثيرون وهي لضيقها لا توفر الراحة المطلوبة للطلاب، فيجب على كافة المسلمين في الهند أن يبذلوا في بناء مبنى في المدرسة يسع مائتين من الطلبة.[25]

وأيد العلامة شبلي النعماني الاقتراح الأول بكلمة بليغة، تناول فيها المنهج التعليمي في العهد النبوي وكيف تغير المنهج في كل عهد، وكيف أدخلت علوم الفلسفة في العالم الإسلامي، وكيف تأسس المنهج النظامي وما هي النقائص في منهجنا التعليمي، ثم شكلت لجنة ضمت 12 عالما – ومنهم العلامة شبلي– لإعداد المنهج الجديد، وكلهم كتبوا ما أمكنهم من المنهج الدراسي أما العلامة شبلي فقد رسم بعض الملامح للمنهج مما يبدو أن كاتبها قائم في عاصمة من عواصم قسطنطينية.[26]

العلامة شبلي النعماني

وأشار الشيخ منصور علي المراد آبادي بإدخال العلوم الجديدة في المنهج الدراسي فاختلف العلماء، حيث أيد هذا الرأي الشيخ شبلي والشيخ إبراهيم الآروي وغيرهما من العلماء بينما رفضه الشيخ فاروق وغيره من العلماء، وقوبل الرأي الأخير بالقبول باتفاق أكثر العلماء، وتم تقرير 10 أعوام كفترة دراسية.[27]

في عام 1314هـ الموافق 1896م سافر وفد ندوة العلماء إلى بتنه(Patna)، وانعقدت له حفلة في رحاب الكلية الرسمية بانكي بور، بتنه، حضرها نحو أربعة آلاف من عامة المسلمين، وقد ألقي فيها العلامة شبلي كلمة مؤثرة بليغة جدا نفذت إلى قلوب المثقفين العصريين وألغت الحواجز بين العلماء والمثقفين، وأقامت صلة حب ووفاء متبادلة لخدمة الإسلام بين الجماعتين .[28]

أقامت ندوة العلماء حفلتها الرابعة في مدينة ميروت (Meerut)عام 1314هـ الموافق عام 1897م ، تحدث فيها العلامة شبلي عن ضرورة إقامة دار علوم تابعة للندوة في مدة ساعة ونصف على وجه نادر ومؤثر جدا، حتى لكأن كل كلمة منه سحر زلال وأن لكل فقرة من كلامه قوة السحر ونعومة الحرير، فتمكنت الخطبة من نفوس الحضور كل التمكن.[29]

وأقيمت الحفلة الخامسة للندوة في مدينة شاه جهان فور عام 1315هـ الموافق عام 1898م، وتمت الموافقة فيها على شراء أرض بمدينة لكناؤ –الهند ، واكتراء أرض مناسبة في الحال لإجراء التعليم، وتكوّن لذلك وفد، وكان فيه العلامة شبلي النعماني عضوا [30]، ثم حاولوا لتغطية مصاريف عام كامل للدرجة الابتدائية للمدرسة، وبذل الأعضاء فيها ما وسعوا وكان منهم العلامة شبلي النعماني.[31]

ولما كان العلامة شبلي من رواد حركة الندوة وإصلاح المنهج الدراسي في الهند اختير عميد الشؤون التعليمية في ندوة العلماء عام 1905م، وظل على هذا المنصب لمدة 8 سنوات، وهي السنوات تعد أرقى العهد التعليمي في تاريخ الندوة، وأيد الشيخ العلامة تدريس اللغة الإنجليزية والسنسكريتية، وأقام قسما لتدريس اللغة

الهندية والإنجليزية، ليتمكن الطلبة الخريجون من مقاومة الحركة الآرية (آريه سماج) [32]– التي كانت في ذلك الوقت على شباب وفتوة –[33].

وحرص الشيخ على خلق ذوق عربي خالص في الطلبة فراسل رؤساء ومدراء تحرير المجلات والصحف العربية ووردت كثير من الصحف والمجلات، وجمع القديرين من الأساتذة، وأسس أقساما للعلوم والفنون، وقسما لفهم القرآن، وطور الجامعة في نظامها الإداري، وجمع التبرعات من الأماكن المختلفة، وبفضل جهوده الجبارة انعقدت في ندوة العلماء حفلة تاريخية شارك فيها العلامة رشيد رضا المصري منشئ مجلة "المنار" ، وكانت هذه الحفلة تاريخية طيبة[34]، وهي الحفلة الأخيرة في عهد العلامة شبلي النعماني في ندوة العلماء، وصدق ما تنبأ به في تلك الحفلة من "أن هذا مطر أخير على أرض الندوة ، عليه حياتها ومماتها".[35]

**مخالفة الشيخ في الندوة واستقالته:**

لما كان الشيخ شبلي عميد الشؤون التعليمية في الندوة عام 1905م كانت شؤون الندوة منقسمة على ثلاثة أقسام ، ولكل منها مسئول خاص: 1– القسم التعليمي، وعميده العلامة شبلي، 2– القسم الإداري وناظره الشيخ عبد الحي الحسني، 3– القسم المالي وناظره الشيخ احتشام علي الكاكوري.

وما كان هذا التقسيم قائما على حسن الانتظام؛ بل كان لفقدان رجل قدير يحمل هذه الأعباء، أو لفقدان الثقة على رجل واحد منهم، يقول الشيخ سيد سليمان الندوي:

"كان هذا نظاما فقد الوحدة، وكانت هذه الأنهار الثلاثة تجري في مسالك مختلفة، ولا تجتمع في مكان، ولا تصير الأمور كلها إلى رجل واحد يوحد الأمر ويحكم النظام، نعم! إن الوحدة والمشاركة تتجلى في إخلاص العاملين."[36]

وجري القطار ما بقي دهن الإخلاص حتى جاء زمن وقد حل سوء الظن مكان الثقة، وتناثرت الروحانية، وتطايرت الظنون، وكان الآخرون يشتغلون بأمور أخرى.

أما الشيخ شبلي فكان يجلس في ندوة العلماء، ليقدم لها من حل ويخفف لها من المشكلة، إن تطور الندوة بلغ بالعلامة شبلي قمة الشهرة فسرى في المعاصرين دبيب الحسد والنميمة، ولم يكن في مخالفي الشيخ تقواه وحسن نيته، وكان العلامة شبلي أقام 16عاما في علي جراه، ولم يوافق على نظام علي جراه، ولذلك قاد تأسيس الندوة، ولكن عامة العلماء كانت تفكر أن الشيخ من رجال حركة علي جراه ولم يشارك في حركة الندوة إلا ليفسدها ويوجهها في غير وجهة.[37]

كان العلامة مخالفا للتقديس الزائد، ولذلك كان العلماء يخالفونه، ويعتبرون فكرته التعليمية مضرة بالطلبة، وقوبل كتاباه "علم الكلام" و"الكلام"– مع حذر شديد باعتراض شديد من العلماء، وكانت بعض أبحاثه حربا على الأفكار المذهبية الخالصة، ولذلك كان العلماء الجاهلون بعلوم المتكلمين ينتقدون الشيخ نقدا شديدا، ولا يعدونه جديرا بإدارة المدرسة الدينية، وكذلك الإصلاحات التي قام بها العلامة شبلي في منهج ندوة العلماء أثارت انتقاد العلماء له. يقول الشيخ سيد سليمان الندوي:

"إضافة إلى أن الإصلاحات التي أجراها العلامة شبلي جعلت العلماء ينفرون منه فكان الشيخ شبلي يخرج الكتب العقلية التي طبع العلماء على حبها، ويحل محلها العلوم العصرية التي كان العلماء يكفرون تعليمها، كان العلامة مؤكدا على ضرورة اللغة الإنجليزية بينما كان العلماء يرفضونها رفضا تاما."[38]

كان في ندوة العلماء أعضاء من ذوي اتجاهات مختلفة ولم يحاول العلامة تكثير أعضاء يوافقونه في الرأي والفكرة، مع أن المخالفين جربوا هذه العملية، وزادوا في 15عضوا فورا، وقل عدد الأعضاء الموافقين للعلامة شبلي النعماني، وتسلط المخالفون على نظام الندوة، إصلاح المنهج التعليمي كان هدف ندوة العلماء، ولكن جرى فيها أربعة أعوام ذلك المنهج المتبع في دار العلوم ديوبند وأمثالها من الجامعات، وسببه كثرة العلماء القدامى في أعضاء الندوة، فهم يترجحون لكثرتهم.[39]

وإذا أراد العلامة شبلي الإقامة في ندوة العلماء كتب إليه النواب محسن الملك[40]: لا تجد لك منافسا وشريكا في وقت العسرة والشدة ولكن إذا ظهرت آثار التطور والرقي انقض عليك العلماء دفعة واحدة ويصيرون لك منافسين ومخالفين."[41]

وقد صدقت هذه النبوءة وحدث ذلك في حفلة التأسيس، حيث أصبح الشيخ خليل أحمد السهارنفوري – الذي كان مدير المدرسة مؤقتا وبعد وفاة المدير قام مقامه – حريفا للشيخ شبلي، وقاد حركة لإنهاء إدارة العلامة شبلي النعماني في 1909م.[42]

ثم تعمق الخلاف، وأصبحت كل الأخطاء منسوبة إلى العلامة شبلي، مع أن العلامة كان منها براء.[43]

فضاق بذلك ذرعا وقدم استقالته إلى مكتب ندوة العلماء بمدينة مومباي عام 1913م، واستقال معه الشيخ عبد الحي الحسني والمنشئ احتشام علي الكاكوري أعمالهما وفعل كذلك الآخرون، وفي الحفلة عام 1913م تم تعيين الشيخ خليل أحمد السهارنفوري مدير الندوة والشيخ عبد الحي الحسني[44] والاحتشام علي نائبيه، وكان العلامة شبلي يكره إدارة الشيخ خليل أحمد السهارنفوري؛ "فإنه لم يكن يتفق على هدف الندوة وأغراضها الصحيحة، وكان يريد أن تتحول الندوة إلى مدرسة كأية مدرسة قديمة".[45]

وإذا بلغ الطلبة نبأ استقالة العلامة كتبوا تَتْرى إليه يلحون عليه استرجاع الاستقالة، لكن الشيخ ثبت على رأيه، ومع هذا أعلن أن خدمة الندوة هي غاية حياته فكتب في رسالة له إلى طلبة الندوة:

"إخواني الأعزة! السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قد وصلتني رسالاتكم البليغة تَتْرى، وما كنت من القسوة أن لا أتأثر بها، ولكن العمل في الوقت الحالي صعب جدا، فإني لا أنفع الندوة في هذه الأيام، وقد لقيت جزاء ما عملت، وهذا جزاء وفيته، أنتم آيسون ولكن لا داعي إلى هذا، فالأمة

نهضت وهي تتعهد بمصالحها وإن تأخرت النتيجة قليلا، ولكن النواة التي تم غرسها لن تضيع بإذن الله.

الندوة ما هي؟ قد شاع أنها حركة دينية ضد هذا الزمن، والمعارف القرآنية – وهي خطوة في هذا الاتجاه، الندوة ستحصد بذورها ولو بعد برهة.

مع ما قدمت من استقالة فإن الندوة هي غاية حياتي، وأخدمكم لا بالقلوب بل باليدين أيضا. وعلى الله التكلان.[46]

وكتب في رسالة إلى المفتي عبد الله التونكي وغيره من مدرسي المدرسة:

"أشكركم على مواساتكم لي، ولكن بينوا هل من بد من هذا؟ مضت أربع سنوات وما كان فيها سوى مخالفتي، فلست أقدر على نفع الندوة، وإن كنت حرا ولو لسنة وسنتين لنفعتها بعض النفع.

فالمناسب أن يشتغل الآخرون بكل اهتمام عساهم ينفعون المدرسة، أما أنا فأبقى خادما للطلبة والمدرسين كما كنت سابقا، وستظهر علاقة الحب والوفاء واضحة الآن، ولا يجدون خشونة الرئاسة ويدركون أني كيف أعمل معهم كالإخوان."[47]

وفي 19 من يوليو عام 1913م كتب إلى الشيخ مسعود علي الندوي:

"إن قطع الصلة عن الندوة مستحيل، ولكن هذا يتوقف على نوعية العلاقة."[48]

وقد وردت رسائل كثيرة من مختلف أنحاء البلاد تؤكد عليه الرجوع من استقالته لكنه ثابت على رأيه ، وفي 8 من ديسمبر عام 1913م عاد العلامة شبلي إلى لكناؤ فعقد الطلبة اجتماعا، وقد انشد فيه العلامة قبل كلمته بيتين متأسفا متحسرا كأنه مودع.

(فعلنا بعض ما استطعنا في حين كنت شابا، لكن الواقع أن الآمال تعلقت بكم أما شمسي فقد مالت إلى الأفول.)

وفي أواخر عام 1913م رضي العلامة شبلي بتدريس صحيح البخاري لطلبة الندوة خارج المدرسة وبدأ التدريس، ثم نهاه عن ذلك مدير الندوة، وأراد الطلبة

حضور الشيخ في حفلة سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم – لكن جرت المحاولة على خلاف ذلك، ثم صدر السماح به، وهكذا حدثت وقائع دفعت الطلبة– مع منع الشيخ – إلى إضراب عام في 7 من مارس عام 1914م، استمر نحو ثلاثة شهور، ومع هذا الإضراب انقسم الناس مع مسائل قومية، كان الطلبة يكتبون مقالات قوية جدا، إن الصراع السياسي والقلبي قسّم الأمة إلى جماعتين: 1– جماعة الأحرار، وكان من زعمائهم الشيخ أبو الكلام آزاد ومحمد علي وسيد حسرت موهاني وظفر علي خان والعلامة شبلي، و 2– جماعة المتخلفين ومنهم آفتاب أحمد والهادي إسحاق والآخرون، وجماعة الأحرار كانت مع الطلبة والجماعة الأخرى كانت تقف بجانب الإدارة، شارك في هذا المسير القائمون على جامعة علي جراه الإسلامية والجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند بحجة إصلاح النظام ومواساة المدرسة، فعم البلاد هذا الصراع حتى الشهرين والنصف.[49]

وقد عجب العلامة شبلي من موافقة أهل علي جراه لإدارة الندوة، فقد تجاوزوا كل حدود النفاق، فإنهم كانوا في يوم من الأيام يكرهون اسم الندوة واليوم واقفون مع إدارتها، وقد قرض العلامة شبلي نظما رائعا في هذا الصدد أسماه "حرب النفاق: حب علي أو بغض معاوية"، جاء فيه[50]:

ما يفيد:

1- من العجائب أن الندوة يقف بجانبها من كانوا يجتنبون استعمال هذا الاسم
2- والذين كانوا يرون أن الندوة ليست إلا لغوا وعبثا أو نوعا من الحلم اللذيذ
3- ويعتقدون أن هذا المنهج التعليمي هو حرب على منهج السير سيد أحمد خان[51] العالي القدر
4- ويعتبرون الندوة سدا منيعا أمام العلوم الغربية
5- وما كانت الندوة في نظرهم إلا مكر وخداع للأمة كافة شبابا وشيبا
6- والذين كان يؤذيهم اسم الندوة فيضطربون اضطرابا
7- المثير للعجب أن هؤلاء وقفوا بجانب الندوة في حفلة دهلي[52]

8- حتى أصبحوا أن من انتقد الندوة هاجموه بكل شدة وعتاب
9- ومن أخذ علي الندوة خطأ واحدا ردوا عليه بمئة ردود
10- وكان فيهم كواكب علي جراه فمنهم قمر ومنهم "آفتاب"[53](شمس)
11- غرق الحضور جميعا في الحيرة والاستعجاب أنى هذا الانقلاب وهذه الثورة العظيمة
12- أين الندوة من علي جراه ؟ وكيف اجتمعوا هنا هذا الاجتماع ؟
13- ماهي العلاقة ومتى حدثت هذه الصداقة والارتباط؟ ولماذا غاب هذا الكرم والإخاء طيلة هذه المدة
14- العجيب أن الندوة المسكينة التي ظلت مثار السخط والغضب لدى هؤلاء عادت مورد الثناء والكرم سبحان الله
15- تلهج بالثناء على الندوة جماعة من الناس كانت تستكره اسمها
16- "هذا بغض معاوية دون حب علي " هذا هو القول الفصل عند الجميع
17- هذه القصة ما تمت بعد فالمذكور هو الباب الأول فقط.

وأرسل أهل علي جراه (Aligarh Conference) بالمشاورة مع أهل العلم وفدا إلى ندوة العلماء ليكتب انطباعا عن ندوة العلماء ورضي أهل الندوة بأن يكتب مجموعة من المنشئين انطباعا عن الندوة، تكسب به الندوة شهادة الامتياز والعرفان، فتأثر العلامة شبلي به وكتب نظما آخر رائعا باسم "ندوة العلماء وانطباعات الأغيار"ما يفيد[54]:

1- جاءت نوبة مشاهدة الندوة باقتراح حفلة العلماء والحكماء
2- منهم شركاء النزاع القديم ومنهم بناة العمل ومؤسسوه
3- ومنهم أمناء السر وكتاب الكتابات عن آفتاب
4- وهو الكأس وهو طينه وهو الصلح وهو الحرب
5- ومن عجائب قدرة الله أن الندوة التي تدعي هداية الأقوام
6- والتي هي أمل النشأ الجديد وذكرى السلف الصالح

7- والتي يظن أنها ملتقى العلماء والأبرار وتعترف بفضلها مصر والشام
8- والتي اشتاق لزيارتها ذلك العالم العربي الجليل الذي من روائع أدبه مجلة المنار[55]
9- والتي يحذو حذوها المخالفون ولو لم يعترفوا الآن
10- والتي أعطت الخطابة العربية نهجا جديدا وانتهجت منهجا خاصا للجرح والنقد
11- والتي ألغت اختلاف القديم والجديد، من عجائب الدهر أن هذه الندوة
12- يحضرها للبحث والتفتيش الجهلاء الذين هم في حاجة إلى الإصلاح
13- أصبحت الندوة لعبة بيد هؤلاء الذين ليس لهم إلمام بالعلوم الشرقية
14- آه لأصحاب الجبات والعمائم رضوا باتباع طائفة من الكتاب المنشئين
15- هذه قصة وجع وجرعة ألم؛ لا بل هي نياحة للندوة التي تلفظ نفسها الأخير.

والحاصل أن حركة ندوة العلماء قد تم اختناقها قبل أن تورق وتثمر، ولم يدع العلماء الجامدون الندوة لتتطور وتزدهر، فقطعوها غراسا قبل أن تكون دوحة.

---

**الحواشي:**

[1] سورة العلق، الآية:5.1

[2] الحديث روي عن عدد من الصحابة بأسناد ضعيفة. لكن الحافظ السيوطي صححه بمجموع طرقه التي بلغت خمسين طرقا، كما صححه المحدث الألباني في تخريج أحاديث " مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام" للدكتور الشيخ يوسف عبد الله القرضاوي، و ذكر السخاوي أن ابن شاهين رواه بسند رواته ثقات. وهو في صحيح الجامع الصغير وزيادته (3913)، (3914) نقلا عن القرضاوي، يوسف: تيسير الفقه للمسلم المعاصر في ضوء القرآن والسنة (نحو فقه ميسر معاصر)، القاهرة، مكتبة وهبة، مصر، ط. الثانية، 1425هـ/2004م، ص 174.

دار العلوم التابعة لندوة العلماء، لكناؤ، الهند

[3] عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (732 - 088 هجري/1332. 1406م) مؤرخ من شمال أفريقيا، تونسي المولد أندلسي الأصل.

[4] حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله محمد الدرويش، توزيع: دار البلخي، دمشق، تاريخ الطبع/ 1425هـ/2004م، الفصل الثالث والثلاثون، 344/2.

[5] المرجع السابق، 344/2

[6]المرجع السابق، الفصل الثالث والثلاثون: في أن العلوم الآتية لا توسع فيها الأنظار ولا تفرع المسائل، 351/2.

[7] هو شِبْلي حبيب الله بن سراج الدولة النعماني ( 1332 - 1275هـ) / 1857 – 1914م)، ولد في قرية بندول من أعمال أعظم كرة الواقعة اليوم ضمن أتر براديش، الهند. كان فصيحا بالعربية و الفارسية و الأردية و التركية و الهندية .

[8] الندوة، المجلد 1، الرقم 2، جمادي الثاني 1322هـ نقلا عن الندوي، سيد سليمان (مرتب): مقالات شبلي (تعليمي)، بعناية مسعود علي الندوي، أعظم جراه، مطبع معارف، ط.1932م، 128/3

[9]هو الشيخ العلامة الأستاذ السيد سليمان الندوي الحسيني(1302. 1373هـ/1884. 1953م)، أحد العلماء المبرزين في علوم التفسير والتاريخ والأدب والكلام ونوابغ الفضلاء والمؤلفين في القارة الهندية.

[10] أخبار البشير، إتاوة(Itawah)،10/دسمبر 1899م، نقلا عن الندوي، سيد سليمان: حيات شبلي، أعظم جراه، مطبع معارف، دار المصنفين، ط. الرابعة، 1983م ص 19.

[11] الندوي، سيد سليمان ( مرتب): حياة شبلي، .Op.Cit ، 19.

[12] المرجع السابق، ص 19، 303.

[13] المرجع السابق، ص 19، 20.

[14] الندوي، سيد سليمان( مرتب): مقالات شبلي، .Op.Cit ،128/3.

[15] المرجع السابق، 128/3.

[16] المرجع السابق، 3/ 129.. 132.

[17] الندوي، سيد سليمان ( مرتب): حياة شبلي، .Op.Cit ، ص21.

[18] المحدث شاه عبد العزيز بن ولي الله بن عبدالرحيم العمري الدهلوي، (1159 - 1239 هـ/1745. 1823م) أحد كبار العلماء المسلمين العلماء في عصره، لقبه البعض بـ "سراج الهند" وبـ "حجة الله "يراه البعض كأحد مجددي الإسلام في زمانه.

[19] هو عبد الوهاب بن ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي(1163. 1233هـ/1749–1817م). هو كاتب وشاعر و متصوف من أهل الهند. ولد في دهلي، وأخذ عن أخيه عبد العزيز ، كما أخذ الطريقة الصوفية على الشيخ محمد عاشق بن عبيد الله البهتلي. كان يجيد العربية و الفارسية، و من آثاره "دمغ الباطل" و "أسرار المحبة".

[20] هو *أشرف علي* بن عبد الحق *التهانويّ*،( 1280 .1362 هـ/1863. 1943م )وُلِدَ في بلدة "تهانَهْ بَهَوَنْ" في مديرية "مظفر نكر" بولاية "أترا براديش". وتخرج من جامعة دار العلوم عام 1299م/1881م. إن هذا الإمام الجليل والعلامة الكبير قد اشتهر مقامه لدى العام والخاص في جميع العلوم الإسلامية والمجالات الدعوية المتنوعة لا سيما في دعوة أهل الديار الهندية. هو من ألمع علماء هذا القرن وأكثرهم تأليفا إذ يعد من المكثرين، أنّ له نحو ثمانمائة من المصنفات، منها نحو اثني عشر كتاباً بالعربية.

[21]هو خليل أحمد بن مجيد علي بن أحمد علي بن قطب علي الأنصاري الحنفي، ولد في قرية نانوته من أعمال سهارنفور، ونشأ ببلدة أنبيتهه .أخذ عن يعقوب النانوتوي ، و محمد مظهر النانوتوي، والحسن السهارنفوري، و رشيد الكنكوهي، و أحمد دحلان، وعبد القيوم البرهانوي، وأحمد البرزنجي، و عبد الغني المجددي.وله آثار قيمة نحو بذل المجهود في حل أبي داود، والمهند على المفند، وتنشيط الأذان، و مطرقة الكرامة على مرآة الإمامة، وهدايات الرشيد في إفحام العنيد،وإتمام النّعم على تبويب الحكم.

[22] شيخ الهند الشيخ محمود حسن الديوبندي (1268. 1339 هـ / 1851 – 1920 م) هو عالم إسلامي بارز في الهند لقبوه بشيخ الهند. ولد ببلدة بريلي الواقعة اليوم ضمن أتراپراديش، والده هو الأديب والشاعر ذو الفقار على الديوبندي. ناضل ضد الإنكليز واعتقل من قبلهم ونفي إلى مالطة من آثاره ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأردية.

[23] الندوي، سيد سليمان ( مرتب): حياة شبلي، .Op.Cit ، ص 303، 304.

[24] محمد حسين البَتَالَوي (1256 -1338هـ/1840-1920م) أبو سعيد محمد حسين بن عبد الرحيم (أو: رحيم بخش) بن ذوق محمد البَتَالَوي اللاهوري الهندي. كان أحد أسلافه من طائفة كايسة الهندوكية، فأسلم. هو محدّث مشهور، و له مؤلفات كثيرة و منها: المشروع في ذكر الاقتداء بالمخالفين في الفروع،و منح الباري في ترجيح صحيح البخاري، والبيان في رد البرهان (في مبحث الاجتهاد والتقليد)،وهداية الرب لإباحة الضب، والاقتصاد في بيان الاعتقاد (في صفات الباري جلَّ مجدُه)، والاقتصاد في حكم الشهادة والميلاد،والمفاتيح في بحث التراويح،وكشف الأستار عن وجه الإظهار.

[25]الندوي، سيد سليمان ( مرتب): حياة شبلي، .Op.Cit ، ص 307، 309.

[26] المرجع السابق، ص 310..

[27] المرجع السابق، ص 311.

[28] المرجع السابق، ص 313.

[29] المرجع السابق، ص 314.

[30] المرجع السابق، ص 315

[31] المرجع السابق، ص 316

[32] "آريه سماج" "حركة تجديدية هندوكية"، وكان لها زعماء بارزون وعلماء ينطقون بلسانها، وقد كثرت المناظرات بينها وبين خصومها، كما كانت بعثات تبشيرية تتألف من القسس والرهبان، وكان الصراع على أشده بينهم وبين علماء المسلمين. أسست "آريه سماج" شدهي شنغتن(Shudi Sanghatan حركة تطهيرية) لارتداد المسلمين إلى الهندوسية.

ولد "سوامي دياننند سرسوتي"[Svami Dayananda Sarasvati] 1824-1883م، كان اسمه الأصلي "مول شنكر" [Mool Shankar] في بيت الرفاهية والنعيم، وكان أبوه من جباة الضرائب، دعا إلى الإصلاح في الديانة الهندوسية، وشق فيها مذهباً جديداً سماه "آريه سماج"(Arya samaj) ، وله مصنفات كثيرة تحمل آراءه ومعتقداته التي دعا الناس إليها. وله مناظرات مع علماء الإسلام.

[33]الندوي، سيد سليمان ( مرتب): حياة شبلي، .Op.Cit ، ص414-415

[34]المرجع السابق، ص 421-505

[35]المرجع السابق، ص 505

[36]المرجع السابق، ص 639.

[37]المرجع السابق، ص 640

[38] المرجع السابق، ص641

[39] الندوي، سيد سليمان (مرتب): مقالات شبلي.Op.Cit ، 126/3

[40] النواب محسن الملك، منير نواز جنغ المعروف بـ سيد مهدي علي (1838 . 1907م). هو زعيم سياسي مسلم هندي و صديق حميم لـ السير سيد أحمد خان. وقد شارك في حركة علي جراه (Aligarh Movement)، وكان واحدا من مؤسسي "الحزب الإسلامي لعموم الهند "(All India Muslim League)

[41] الندوي، سيد سليمان ( مرتب): حياة شبلي، .Op.Cit ، ص641.

[42] المرجع السابق، ص641.642.

[43] المرجع السابق، ص645.650.

[44] هو عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي (١٨٦٩-١٩٢٣م ).وهو باحث ومؤرخ هندي. له تصانيف، منها: "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر"، و"جنة المشرق ومطلع النور المشرق" في جغرافية الهند وأخبار ملوكها وخطوطها وآثارها، و"معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف" باسم "الثقافة الإسلامية في الهند" و"تلخيص الأخبار" في الحديث، وكتاب "الغناء". وكلها بالعربية .وصنف كتبا بلغة الأردو شعراً وأدباً وتراجم وتاريخاً.

[45] الندوي، سيد سليمان ( مرتب): حياة شبلي، .Op.Cit ، ص650.

[46] الندوي، سيد سليمان (مرتب): مكاتيب شبلي، أعظم جراه، مطبع معارف، ط. الرابعة 1966م، 22. إلى طلاب دار العلوم، 329.32/1.

[47]المرجع السابق،32. إلى المولوي عبد السلام المهتمم و الأساتذة و الطلاب، 340.329/1.

[48] المرجع السابق، أعظم جراه، مطبع معارف، 1971م، 43. إلى الشيخ مسعود علي النوي، 119/2،

[49] الندوي، سيد سليمان: حيات شبلي،Op.Cit، ص 655.

[50] الندوي، سيد سليمان : كليات شبلي (ديوان شبلي)، .Op.Cit ، ص103

[51] (1817م-1898م) هو مؤسس جامعة علي جراه الإسلامية بالهند.

[52] انعقدت هذه الحفلة في دلهي عن إضراب الندوة في 10 مايو 1914م، (الندوي، سيد سليمان: كليات شبلي (ديوان شبلي) ،Op.Cit، ص 103)

[53] تلميح لـ صاحبزاده آفتاب أحمد خان(1867.1930م) وهو الذي جعله السير سيد أحمد خان أمينًا لـ جامعة علي جراه الإسلامية، و كان شيخ الجامعة لـ جامعة علي جراه الإسلامية من 1924م إلى 1926م.

[54] الندوي، سيد سليمان : كليات شبلي (ديوان شبلي)، .Op.Cit ، ص104–105

[55] المقصود منه هو العلامة سيد رشيد رضا مدير المجلة "المنار" ( المرجع السابق ص 104)

## المصادر والمراجع


### المصادر العربية:

1. القرآن الكريم
2. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: مقدمة ابن خلدون، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله محمد الدرويش، توزيع: دار البلخي، دمشق، تاريخ الطبع/ 1425هـ/2004م.
3. القرضاوي، يوسف: تيسير الفقه للمسلم المعاصر في ضوء القرآن والسنة (نحو فقه ميسر معاصر)، القاهرة، مكتبة وهبة، مصر، ط. الثانية، 1425هـ/2004م.

### المصادر الأردية:

4. الندوي، سيد سليمان: حيات شبلي، أعظم جراه، مطبع معارف، دار المصنفين، ط. الرابعة، 1983م.

5. الندوي، سيد سليمان (مرتب): كليات شبلي (ديوان شبلي) بعناية مسعود علي الندوي، أعظم جراه، مطبع معارف، 1932م.
6. الندوي، سيد سليمان(مرتب): مقالات شبلي (تعليمي)، بعناية مسعود علي الندوي، أعظم جراه، مطبع معارف، ط.1932م.
7. الندوي، سيد سليمان(مرتب): مكاتيب شبلي، أعظم جراه، مطبع معارف، ط. الرابعة 1966م، المجلد الأول.
8. الندوي، سيد سليمان (مرتب): مكاتيب شبلي، أعظم جراه، مطبع معارف، ط. 1971م، المجلد الثاني.
**9.**

| | | | |
|---|---|---|---|
| THAQAFAT-UL-HIND | | : | Statement of ownership and other particulars. |

**FORM IV**
**(See Rule 8)**

| | | | |
|---|---|---|---|
| 1. | Place of Publication | : | Indian Council for Cultural Relations,<br>Azad Bhavan, Indraprastha Estate,<br>New Delhi-110 002 |
| 2. | Periodicity of its Publication | : | Quarterly |
| 3. | Printer's Name | : | Satish C. Mehta |
| | Whether citizen of India? | : | Yes |
| | Address | : | Director-General, Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002 |
| 4. | Publisher's Name | : | Satish C. Mehta |
| | Whether citizen of India? | : | Yes |
| | Address | : | Director-General, Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002 |
| 5. | Editor's Name | : | S. A. Rahman |
| | Whether citizen of India? | : | Yes |
| | Address | : | Indian Council for Cultural Relations,<br>Azad Bhavan, Indraprastha Estate,<br>New Delhi-110 002 |
| 6. | Name and address of individuals who own the newspaper | : | Director-General<br>Indian Council for Cultural Relations,<br>Azad Bhavan, Indraprastha Estate,<br>New Delhi-110 002 |

I, Satish C. Mehta, hereby declare that the particulars given above are true to the best of my knowledge and belief.

Sd/- Satish C. Mehta
Signature of Publisher

Registered with the Registrar of Newspapers of India: Regd No. 14387/57